الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي ـ أم البواقي

كلية الآداب واللغات والعلوم
الإنسانية والاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

مدرسة الدكتوراه في النقد
والدراسات الأدبية واللغوية
التخصص: أدب قديم
قطب التكوين: أم البواقي

بنية الخطاب الحجاجي في فن المناظرة

بلاط المأمون أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم

إعداد الطالب
سمير بعزيز

إشراف الأستاذ الدكتور
الربعي بن سلامة

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د. العلمي المكي	**أستاذ محاضر**	**جامعة أم البواقي**	**رئيسا**
أد. الربعي بن سلامة	**أستاذ التعليم العالي**	**جامعة قسنطينة**	**مشرفا**
د. فاتح حمبلي	**أستاذ محاضر**	**جامعة أم البواقي**	**عضوا مناقشا**
د. إسماعيل زردومي	**أستاذ محاضر**	**جامعة باتنة**	**عضوا مناقشا**

السنة الجامعية: 2010 - 2011

الإهداء

إليك ...

أنت وحدك ...

أهديي ثمرة هذا العمل.

" أبو عبد الله "

مقدمة

مقدمة:

كانت ولا تزال نظرة الدارسين والباحثين إلى الشعر تختلف عن نظرتهم إلى النثر، ذلك أن الجوانب الفنية المتعددة في الدراسات الأدبية للشعر تتنوع بتنوع مضامينه ومواضيعه، بالإضافة إلى ما يمتاز به من سعة خيال، وتدفق شعور، وثورة عاطفة. في حين نجد أن تلك الجوانب قد يغيب بعضها في النثر وربما ينعدم.

وكثيرة هي المواضيع النثرية التي ينعدم فيها الجانب الشعوري الذي لا مجال للعاطفة فيها، كأنواع عديدة من المقالات والرسائل مثلا، وبالأخص فنون المناظرة التي يوجه فيها الخطاب إلى العقل قبل العاطفة، فالمتحاجون فيها يسعى كل واحد منهم إلى استحضار الأدلة والحجج التي يتغلب بها على خصمه، مع التركيز على القدرات العقلية التي يعتمدها في إبطال حجة غيره، ولا شك أن هذه جوانب ليس للعاطفة فيها نصيب.

اهتم العرب بالقضايا الأدبية اهتماما كبيرا, سواء في ميادين الشعر أو في مجالات النثر، فأبدعوا فيهما أيما إبداع، وكانوا يتمتعون بأذواق متميزة فريدة, وأحاسيس مرهفة بالإضافة إلى الذكاء الوقاد وصفاء الروح، وقد أعطوا كل ذي حق حقه. وربما كان اعتناؤهم بالجوانب الفكرية أصلا في بناء الشخصية عندهم، بينما الجوانب الشعورية تأتي في الدرجة الثانية بعدها، فما كانت العرب لتتخذها غاية فتجمع لها المجامع وتؤلف فيها المؤلفات.

إن فنون المناظرة ميادين واسعة, يصول فيها الفكر ويجول فيها العقل، والمناظرات العربية على مر العصور، براهين قوية تعكس نضج الفكر العربي، لا سيما في صدر القرن الأول الهجري، وأقصد بالذات تلك الفترة التي برزت فيها الخلافات الفكرية والاتجاهات العقدية، بسبب تنوع مشارب أصحابها، حيث يسعى كل صاحب فكرة واتجاه إلى هدم فكر خصمه، ودحض حججه، وتوهين براهينه، ليبني على أنقاضها مذهبه الذي يتبناه، معتمدا في ذلك على سعة نقله وقوة حفظه وعمق فكره وحدة ذكائه، موظفا ما ثبت عنده من نقول, بمنهج عقلي دقيق, لينتصر في الأخير لفكرته التي يتبناها.

لا يستطيع أحد أن يشك في خطورة هذا الميدان وصعوبة مسالكه، ووعورة منافذه، فهو ميدان أرباب العقول الصافية، والنفوس القوية، لا يدخله إلا المتمرسون، ولا يقتحمه إلا الحذاق المتمكنون، فهو لا يسع كل الناس, بل ولا بعض خاصتهم، فأهله وإن كثروا فهم قلة إذا ما قورنوا بغيرهم في باقي الفنون الأخرى.

لم تكن المناظرة مبارزة فكرية، ورهانا عقليا يتبارى في ميدانه هؤلاء فحسب، بل كانت تبنى فيها الأفكار، وتتحدد فيها المناهج، وتتضح من خلالها العقائد، فكم من فكر فيها قام على أنقاض فكر آخر, وكم من مذهب شيد على آثار مذهب آخر, وكلما دار فيها الرهان دورته, واتسعت من خلاله دائرة الحوار, كلما ظهرت على السطح أسس الفكر, ومبادئ العقل, وقوة المنطق, وآليات الاستنباط, وأساليب الحوار والحجاج.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتبين المستوى الفكري الراقي الذي بلغه الإنسان العربي في تلك الفترة, مع الاختلاف الشديد والكبير في الاتجاهات والمواقف آنذاك، ومن خلالها محاولة الوصول إلى بنية الخطاب الحجاجي, وآليات الاستنباط العقلي في إقامة الحجة وردها، والتركيز على الجوانب الفنية فيها بالاعتماد على آليات البحث العلمي في ضوء الدراسات الحديثة التي اعتنت ببنية الخطاب ومناهج تحليله.

1- أهمية الموضوع:

ولعل أهمية هذا الموضوع تبرز بالدرجة الأولى في محاولة الكشف عن جانب من جوانب الفكري العربي، بالإضافة إلى معرفة هيكل بناء خطابه الحجاجي، وطرق الاستدلال وقواعد الاستنباط فيه، ومدى التوافق بين أصول التفكير العربي مع غيره، ولعل دراسة الشكل اللغوي لتلك المناظرات لا يقل أهمية عن دراسة مضمونه، فإن للغة العربية وبنية نصوصها دورا مهما في إقامة الحجة وتجليتها. لذلك سيكون لها نصيب معتبر في هذه الدراسة, بالإضافة إلى قلة الدراسات التي اعتنت بهذا الموضوع – في حدود ما أعلم –, لذلك تزداد أهميته حسب نقص الدراسات التي أقيمت حوله.

2- أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب والدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع ما يلي:

أ) أسباب ذاتية:

إن من أهم الأسباب التي جعلتني أميل إلى اختيار هذا الموضوع بالذات, هو الإعجاب الكبير بالجوانب المختلفة في الفكر العربي الأصيل، وذلك من خلال فن المناظرة, الذي يجمع شتات الكثير من العلوم والمعارف الناضجة التي توصل إليها العرب في كل العصور، والتي تظهر على ألسنة المتناظرين, وخاصة في المراحل الزمنية الأولى من تاريخ الأمة الإسلامية.

وقد كنت كلفت من أحد الأساتذة الكرام, الذين درسنا على أيديهم في السنة الأولى ماجستير, ببحث مناظرة دارت بين الخليفة العباسي المأمون وفقهاء عصره، وبعد دراستها

وجدتني مجبرا على خوض غمار البحث في هذا الموضوع, الذي أوقفني على كثير من القضايا كنت أرغب في الاطلاع عليها, ولم أجد المحفز لذلك، لكنني وجدت إلحاحا كبيرا من داخلي يدفعني إلى خوض غمار هذه التجربة, دون علمي المسبق ببعد قعرها, ودقة مداخلها, وخطورة مسالكها, فما كان مني إلا أن قررت دخولها, وأملي كبير في تحصيل العلم, والبحث عن دقائقه في الفكر العربي الأصيل, والخروج في الأخير بالزاد الذي يطمح إلى تحصيله كل طالب للعلم.

ب) أسباب موضوعية:

من بين الأسباب الموضوعية الدافعة بالباحث إلى دراسة مثل هذا الموضوع, هو الموضوع ذاته، أي أن فن المناظرة علم تقل فيه الدراسات التطبيقية, ولو من باب الجمع والإحصاء والتصنيف, بالشكل الذي يضع الباحث في صورة معرفية تجمع له شتاته, وتطلعه على الجوانب المعرفية فيه. هذا من حيث الموضوع, أما من حيث الدراسة والمنهج المتبع, فقد وجد من مارس ذلك على نصوص أخرى غير المناظرات, فقام " عبد الله صولة " بدراسة الحجاج في كتابه " الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ", وكذلك فعل أبوبكر العزاوي في كتابه " اللغة والحجاج ", وطبقت سامية الدريدي نظرية الحجاج على نصوص الشعر العربي القديم, وقد ألفت في ذلك كتاب " الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ". وأثناء عملية جمع مصادر هذا البحث, عثرت على عنوان رسالة ماجستير لطالبة بكلية الآداب (جامعة عنابة), موسومة " بنية الخطاب الحجاجي في كتاب الهوامل والشوامل للتوحيدي ", ساءني جدا أنني ما تمكنت من تحصيل هذه الدراسة بعد رحلة شاقة في البحث عنها.

وموضوع المناظرة فن له جذوره لدى جميع الأجناس البشرية, وخاصة تلك الأجناس التي وصل إلينا من تراثها كم معتبر من الآثار الفكرية والأدبية, قد خلدت بها ذكرها في التاريخ البشري، وكان لها الأثر البارز في توجه كثير من المذاهب الفكرية والاتجاهات الفلسفية في الفكر العربي.

3- إشكالية الموضوع:

إن الإشكال العام الذي يدور حوله هذا الموضوع, وتسعى الدراسة للإجابة عنه, هو: محاولة التعرف إلى بعض الجوانب من مستويات الفكر العربي من خلال نصوص بعض المناظرات في بلاط المأمون, ومقاربتها من داخل بنيتها, باعتبار هذا الزمان زمن نهضة علمية

وفكرية جبارة, إذا ما قورنت بالأزمنة الأخرى, ولقد رأيت أن الدراسة تكتمل مباحثها, إذا وُفقت إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

– إن لكل خطاب حجاجي مميزات وخصائص يشترك فيها مع غيره، فهل كل النصوص تشترك في البناء ذاته ؟ أم لكل نص بنيته الخاصة ؟

– فإذا كان الأمر كذلك, فما هي السبل والطرق العلمية التي تحدد لنا هذه البنية ؟

– إن بناء أي نص له مكوناته وعناصره التي تؤسسه وتبنيه, فما هي تلك المكونات والعناصر داخل البناء الحجاجي ؟

– النص الحجاجي خطاب له قصد في التأثير والإقناع, ولا يتم هذان الأمران إلا عن طريق الحجج التي توجه المتلقي حسب رغبة الباث, فما هي الحجج التي المعتمدة في عملية التوجيه هذه ؟

– هل كل النصوص الحجاجية تعتمد نفس الحجج ؟ أم أن الحجج وأنواعها وأصنافها تختلف حسب طبيعة النص وقوة الحجاج فيه ؟

– ما هي الأساليب والطرق التي تمكن المحاج من عرض حججه بالشكل الذي يحقق له مقصده من الخطاب ؟

– هل تشترك نصوص المناظرات مع باقي الخطابات في عملية بناء الفكر الحجاجي؟ أم أنها تخالفها ؟ باعتبارها نصا يُعلن فيه القصد الصارخ في التأثير المباشر في المتلقي من خلال عملية الحجاج.

– هل المناظر يعتمد الأساليب نفسها في بناء الفكر الحجاجي داخل نص المناظرة ؟

– هل مقام المناظرة يقتضي اشتراك نصه في الاعتماد على الحجج ذاتها ؟ أم أنه نص يحتدم فيه الصراع من خلال تدافع بالحجج مما يحتم على منتجه اتجاها آخر في بناء حجته ؟

– ما هي الأساليب والطرق التي ينتهجها المناظر حتى يبني أفكاره على أنقاض فكر خصمه ؟ وهل لهذه الأساليب قوانين تحكمها وتضبطها ؟ أم أنها تكون مجرد اجتهادات تكون بحسب المتناظرين والمقام الذي يجمعهم ؟

وكانت الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال المنهجية التالية:

4- منهجية البحث:

حاولت في هذا البحث أن أجيب عن أسئلة الإشكالية المطروحة في فصلين, الأول نظري والثاني تطبيقي، فأما الجانب النظري؛ فقد افتتحته بتمهيد ذكرت فيه مفهوم الخطاب وأهم

مميزاته, لأدخل بعده في الموضوع من خلال تحديد مفهوم الحجاج وتبيين أنواعه وخصائصه, ثم انتقلت إلى ذكر بنيته وأهم العوامل المؤسسة لها, فبدأت بالكلام عن الحجج وأنواعها, والأساليب المستعملة في إقامة الحجة في العملية الحجاجية, ثم تكلمت عن أهم الروابط والعوامل الحجاجية التي تربط الحجج ببعضها, وتقرن الحجج بنتائجها, لأصل في نهاية هذا الفصل إلى التعرف على فن المناظرة من خلال مفاهيمها ونشأتها وتحديد بنيتها, وأهم المناظرات المذكورة في التراث الإسلامي.

وأما الفصل التطبيقي فكانت بدايته التعرف على شخصية الخليفة العباسي المأمون, باعتبارها المحور الذي تدور حوله معظم نصوص المناظرات المدروسة في هذا الجانب, ثم أتبعتها بذكر تلك المناظرات من جهة التعريف بها والتحقيق في صحة نسبتها إلى قائليها, لأصل إلى محاولة تحديد بنية تلك المناظرات من الناحية التطبيقية, وذلك بالاعتماد على الهيكل الذي توصلت إلى وضعه في الدراسة النظرية حتى تقوم الدراسة التطبيقية عليه, وفي الأخير ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الفصلين الذين وزعت عليهما محاور الدراسة.

ولقد فرضت طبيعة الموضوع مناهج عدة في الدراسة بحسب ما يقتضيه المقام, ولكن الغالب كان لثلاثة منها؛ المنهج الوصفي, والمنهج التاريخي, والمنهج التحليلي, مع حضور المنهج الاستقرائي والمنهج المقارن أحيانا, اللذين كانا يتخللان البحث من حين لآخر.

5- الهيكل التنظيمي للبحث:

مدخل: مخصص للمفاهيم المتعلقة بالخطاب ومميزاته.

الفصل الأول: الخطاب الحجاجي وفن المناظرات:

وفيه تعريف للخطاب الحجاجي وأنواعه, وخصائص النص الحجاجي, ومحاولة تحديد بنية الخطاب الحجاجي من خلال: الحجج وأصنافها وأنواعها, وذكر العلاقات والأساليب الحجاجية, ثم الروابط والعوامل الحجاجية. وتعريف أيضا بفن المناظرات وبعض النماذج منها في التراث الإسلامي ثم محاولة الوصول إلى تحديد بنيتها.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية على نص المناظرات: بلاط المأمون – أنموذجا –:

وفيه تعريف بالمأمون من خلال شخصيته العلمية وأهم أوصافه, والمناظرات التي وقعت في بلاطه, ثم بنية المناظرات من الناحية التطبيقية: الأطراف المنتجة لها, التوطئة ثم مراحلها والحجج المستعملة فيها, مع ذكر الأساليب الحجاجية فيها وأهم الروابط والعوامل الحجاجية الموجودة في نصوصها, ثم في الأخير مرحلة النتائج المحققة من المناظرة.

الخاتمة:

وقد حاولت فيها أن أرصد أهم النتائج والملاحظات التي توصلت إليها.

ثبت للمصادر والمراجع:

فهرس للموضوعات:

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجع التي أعانت على إخراج البحث بهذه الصورة, وقصدت عدم الإكثار منها لأن معظمها يشترك في المعلومة نفسها, لذلك استغنيت بذكر البعض نيابة عن غيره ما دامت الفائدة تحصل بذلك.

وأهم هذه المصادر:

- أبو بكر العزاوي, اللغة والحجاج.
- باتريك شارودو, الحجاج بين النظرية والأسلوب.
- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي.
- سامية الدريدي الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري, بنيته وأساليبه.
-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني, ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة.
- عبد العزيز بن يحيى الكناني, الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن.
- محمد سالم محمد الأمين الطلبة, الحجاج في البلاغة المعاصرة.

وغيرها من المصادر والمراجع المثبتة في آخر البحث.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: الربعي بن سلامة, على ما خصصه لي من وقت, وعلى ما قدمه لي من نصح وتوجيه, جعل البحث يخرج بالشكل الذي هو عليه.

كما لا أنسى أساتذتي الذين لم يبخلوا علي بالنصح والتوجيه وإمدادي بالكتب والمراجع التي يسرت لي طريق البحث والدراسة, وأذكر على رأسهم فضيلة الدكتور العلمي لراوي, وفضيلة الدكتور العلمي المكي, وفضيلة الأستاذ الشافعي بديار, والشكر موصول إلى كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيع, وبالله التوفيق.

تمهيد

الخطاب الأدبي مفهومه ومميزاته

1- مفهوم الخطاب الأدبي:

يتأسس مفهوم أي كلمة بداية على أبعادها في القواميس التي جمعت استعمالاتها المعجمية عند أصحابها, ثم دراسة تطورها الاصطلاحي في العلوم التي جعلت منها وعاء, يحمل مفاهيم معينة توصل إلى الغرض المقصود من وراء استعمالها.

والخطاب كلمة يشترك فيها اللسان البشري دون تفريق بين منتجه ومتلقيه, فأينما وجد البشر وجد التواصل بالضرورة لحاجة الجنس البشري له, وأينما كان التواصل فثم الخطاب. والعرب أمة تقدس اللسان وتعيش بمنتجاته, لذلك اهتم علماؤها منذ القديم بجمع القواميس والمعاجم التي أرادوا من خلالها الإحاطة باللسان العربي ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا, فألفوا: (**معجم العين**) و (**لسان العرب**) و (**القاموس المحيط**) وغيرها من الكتب التي تخبر عناوينها عن مضامينها, حيث لا يخفى على ذي عقل ما لهذه العناوين من إطلاقات تترجم مقاصد أصحابها في سعيهم نحو الإحاطة بكل كلمة استعملت في لغتهم.

ذكر **ابن سيده** الخطاب في كتابه (**المحكم والمحيط الأعظم**), فقال:"الخطاب، والمُخاطبة: مراجعة الكلام. وقد خاطبه، وهما يتخاطبان.وخطب الخطيبُ على المنبر، يخطُب خطابة. واسم الكلام: الخُطْبة (...) ورجل خطيب: حَسَنُ الخُطبة"([1]). يعتبر ابن سيده الخطاب مرادفا للكلام المبني على ثلاثة أسس, المتكلم (الباث), والمستمع (المتلقي)، والكلام (الخطاب)، وقد شاركه في ذلك ابن منظور لما تكلم على مادة (خ ط ب) في اللسان

قال: "... في الحديث: " إِنَّه لحَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُخَطَّبَ ", أَي يجابَ إِلى خِطْبَتِه. يقال خَطَب فلانٌ إِلى فلانٍ فَخَطَّبَه وأَخْطَبَه أَي أَجابَه الخِطابُ, والمُخاطَبَة مُراجَعَة الكَلامِ, وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً وهُما يَتخاطَبانِ (...) والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيب, وخَطَب الخاطِبُ على المِنْبَر واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً, واسمُ الكلامِ الخُطْبَة ... خَطَبْتُ على المِنْبَرِ خُطْبةً بالضم (...) خَطَب على القوْم خُطْبةً (...) الخُطْبَة عندَ العَرَب الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّع ونحوُه (...) والخُطْبَة مثلُ الرِّسَالَةِ التي لَها أَوّلٌ وآخِرٌ ... ورَجُلٌ خَطِيبٌ حَسَن الخُطْبَة وجَمْع الخَطِيب خُطَباءُ وخَطُبَ بالضم خَطابَةً بالفَتْح صار خَطِيباً "([2]).

وأما في (**تاج العروس**), فقد أضاف **الزبيدي** على سابقيه خاصية جديدة لمعنى الخطاب حين وصفه بالمفاعلة, فقال:" ... والخِطَابُ والمُخَاطَبَةُ : مُرَاجَعَةُ الكَلَامِ وقَدْ خَاطَبَهُ بالكَلَام

---

[1]- ابن سيده، علي بن إسماعيل, المحكم والمحيط الأعظم, ت: عبد الحميد هنداوي, مادة (خطب).

[2]- ابن منظور, محمد بن مكرم الإفريقي, لسان العرب, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2005م, مادة (خطب).

مُخَاطَبَةً وخِطَاباً وهُمَا يَتَخَاطَبَانِ قال الله تعالى: " وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا " (...), والخُطْبَةُ والمُخَاطَبَةُ : مُفَاعَلَةٌ من الخِطَابِ والمُشَاوَرَة "([3]).

وسأكتفي بذكر هذه الكتب نيابة عن الباقي, لأن أصحابها يدورون في فلك واحد, ويدندنون حول الدلالات نفسها. لذلك سأنتقل إلى البحث عن معاني الكلمة وتطورها عند أهل الاصطلاح.

تعددت محاولة تحديد دلالة (الخطاب) بتعدد أراء النقاد, الذين سعوا إلى تحديد هذا المفهوم انطلاقا من زاوية نظر تبين مذهب كل واحد منهم ومنهجه الذي يتبعه في دراسته. وقد كان للمدارس الغربية أثر واضح في إبراز هذه المعاني والدلالات على الساحة النقدية, وكان النقاد العرب على رأس من اقتفى آثارها .

يرى **عبد السلام المسدي** بأن (الخطاب) كيان مستقل بذاته, تنقطع وظيفته المرجعية عن أي كيان خارج عنه, وإن ما يميز الخطاب عنده " هو انقطاع وظيفته المرجعية, لأنه لا يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمرا خارجياً, إنما هو يبلغ ذاته, وذاته هي المرجع والمنقول في نفس الوقت"([4]). في حين يفرق **المسدي** بين نقل الأحداث على صورتها بلغة متميزة, وبين تصوير الواقع بلغة فريدة تخلق عالما لغويا يختلف عن العالم الواقعي, باستخدام تقنيات أسلوبية جمالية. واجتمع **المسدي** و**أنطوان مقدسي** في رأي واحد إذ يعتبران (الخطاب):" جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها، وهي مكتفية بذاتها أي أنها مكانا وزمانا وجودا ومقاييس لا تحتاج إلى غيرها "([5]).

أما **سعد مصلوح** حسب ما نقل عنه **نور الدين السد** فهو يحدد مدلول الكلمة, انطلاقا من الوظائف التي يؤديها الخطاب باعتباره عملية تواصلية, فهو " رسالة موجهة من المنشئ للمتلقي, تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذالك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة أي(الشفرة) "([6]).

وقد انتقد **نور الدين السد** هذا الرأي, الذي تجاهل فيه **سعد مصلوح** الوظائف الأخرى للخطاب, كالشعرية والتعبيرية مثلا. كما يرى أن هذا التعريف ينطبق على مستويات من الخطابات دون مستويات أخرى, لأن **مصلوح** يشترط بين الباث والمتلقي الشفرة اللغوية

---

[3]- الزبيدي, محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2007م. مادة (خطب).

[4]- المسدي, عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3, ص116.

[5]- أنطوان مقدسي، " الحداثة والأدب "، مجلة الموقف الأدبي، ع9, دمشق. نقلا عن: السد، نور الدين, الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة, الجزائر, 1997م, ص67.

[6]- السد، نور الدين, الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة, الجزائر, 1997م، ص68.

المشتركة بينهما, وهي علم الطرفين بمجموع الأنماط الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية, ولا يمكن الأخذ بهذا الشرط كقاعدة مطلقة لكل خطاب, فلو تغير لسان الباث عن لسان المتلقي لانعدمت الوظيفة التواصلية حينها. ويختلف **محمد مفتاح** مع **سعد مصلوح** في تحديد مفهوم الخطاب من زاوية نظر, تتحدد من خلال بحث المسألة من الجوانب الوظائفية.

وإن كان **سعد مصلوح** حصر (الخطاب) في وظيفة واحدة, فإن **محمد مفتاح** جعل الخطاب : " مدونة كلامية يتألف من كلام, وليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زيا (...) وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائلها وهندستها في التحليل فهو تواصلي, يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب إلى المتلقي"([7]), ويقرر بأن " الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه "([8]).

وهذا الذي ذهب إليه **محمد مفتاح** يتيح لنا فرصة الدخول إلى الدراسات الغربية، التي كان لها الأثر الواضح في تحديد المفهوم لدى النقاد العرب, فقد أشار **بنفنيست** (**E.Benveniste**) إلى الوظيفة التفاعلية للخطاب, وأبان عنه بأنه: " أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو ومستمع، وعند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة "([9]).

بالإضافة إلى الوظيفة التواصلية التي تتحدد من انتقال المعلومة وتوصيلها من الباث إلى المتلقي, تبرز وظيفة أخرى باعتبار التأثير, وهذا ما ذكرته **كريستيفا** (J.Kristeva) في تعريفها للخطاب بأنه ما " يدل على كل لفظ يحتوي داخل بنياته الباث والمتلقي مع رغبة الأول في التأثير على الآخر"([10]).

وقد حاول الناقد **دومينيك مانكينو** (Maingueneau . D) أن يجمع أقوال النقاد الغربيين في تحديد مدلول هذا المصطلح في كتابه (مقدمة في مناهج تحليل الخطاب Initiation aux méthodes de l'analyse du discours), الذي اعتنى به الباحث **عبد القادر شرشار** في كتابه (تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص).

---

[7]- مفتاح، محمد, تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي, بيروت, لبنان, ط2, 1986م, ص120.

[8]- نفس المرجع. ص120

[9]- الحربي، فرحان, " الأسلوبية في النقد العربي الحديث " (دراسة في تحليل الخطاب)، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م ، ص39.

[10]- شرشار, عبد القادر, تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق, سوريا, 2006م, ص67.

ذكر الباحث في هذا الكتاب عدة تعاريف للخطاب الأدبي عند أكثر من ناقد غربي, يمكننا أن ننقل منه تعريف **هاريس** (Z.Harris) الذي تبناه **مانكينو** بذاته, فهو يرى أن الخطاب: " ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض "([11]). إن نظرة **هاريس** للخطاب الأدبي تجعله متميزا عن باقي الخطابات, وسبب ذلك أنه يشكل خطابا مغلقا؛ فمنتجه له من الكفاءة ما يؤهله في التعامل مع الكتابة واللغة، ولا يشبه في عمقه التعاملات السائدة والمتعارف عليها، من هنا لا يعطي الخطاب الأدبي نفسه إلا لفئة معينة, فهو مغلق على ذاته من كل جهة إلا من جهة مبدعيه.

ويمكن أن نجمل القول في الأخير بعد هذه الجولة مع النقاد العرب والنقاد الغربيين فنقول: إن الخطاب هو" مجموعة من الجمل منطوقة كانت أو مكتوبة، في حالة اشتغال أفقي – أي نمط أو تركيب – على موضوع محدد. ويسعى التلفظ به إلى التأثير في المتلقي بواسطة فرضيات ورؤى وأحاسيس، مما يتطلب مبدئيا ديمومة في إنتاجه وتلقيه وتماسكا داخليا وتدليلا مقنعا وصورا تعبيرية ولغة واضحة "([12]).

2- مميزات الخطاب الأدبي:

من خلال تحديد مفهوم الخطاب, تتجلى لنا أهم مميزاته في النقاط التالية.

1- الخطاب الأدبي بنية واحدة مكتفية بذاتها, لا تتأثر بالعوامل الخارجية ولا تحتاج إليها, بخلاف الخطابات الأخرى. فالخطاب السياسي مثلا يقع مضمونه خارجه, وهو يحتاج دائما إلى الوسائل الإجرائية كي يبرهن على مصداقيته, والخطاب الفلسفي تكون فيه المعرفة الفلسفية كامنة في الخارج, عكس الأدبي, الذي هو بنية منغلقة على ذاتها. وهكذا باقي الخطابات.

2- تواصلي, يأخذ هذه الميزة من اللغة وطبيعتها, يهدف إلى توصيل المعلومة ونقلها من الباث إلى المتلقي عبر الشفرة اللغوية المشتركة بينهما.

---

[11]- نفس المرجع, ص94.

[12]- بنحدو، رشيد, النص الأدبي من الإنتاج إلى التلقي، أطروحة مرقونة بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس، إشراف حسن المنيعي، 1991م، ص251.

3- تفاعلي, لأنه يعتمد على خاصية التأثير في المتلقي من قبل الملقي, ولا يتم ذلك إلا عن طريق القناة التي توصل ما بينهما, فلا يسمى خطابا إلا إذا كان بين طرفين بينهما تفاعل، يسعى فيه أحدهما إلى التأثير على الثاني. وتبعا لهذه الميزة يمكن إدراج فعل الكلام كميزة خاصة بالخطاب، لأنه شكل من أشكال التأثير على الغير.

4- يتميز الخطاب عما سواه بالاتساق والانسجام، ولا يستطيع تمييزه إلا متكلم اللغة المتخصص، فعند تلقي أي مقطع لغوي فهو يحكم عليه بأمرين: " إما أنه يعتبره وحدة كاملة وبالتالي فهو خطاب، وإما أنه مجرد جمل غير مترابطة مما يعني أنه ليس خطابا، فوجود وسائل الاتساق أو غيابها تحدد خطابية المقطع أو عدميتها "([13]).

5- يتميز الخطاب الأدبي بأدبيته التي هي أساسا وليدة تركيبته الألسنية ", لكن هذه الأدبية لا تتواجد في أجزاء منه فقط وإنما تتجلى في الخطاب كاملا, لأنها قوة إيحائية مكثفة تسكن النص وتمتد على كل أطرافه (...) ولأن أدبيته لا تكمن في أسلوبه فحسب، بل في دلالته التعبيرية والرمزية "([14]).

[13]- بنحدو, رشيد، المرجع السابق, ص255.
[14]- السد, نور الدين ، المرجع السابق ، ص ص (75 – 96).

الفصل الأول

الخطاب الحجاجي وفن المناظرات

أولا: مفهوم الحجاج:

يعتبر الحجاج خاصية من خصائص الخطاب، من حيث إن المخاطب يستهدف من خلاله إقناع المستمع بوجهة نظر معينة, فهو قائم على أسس الخطاب من حيث أركانه, ومع هذا التداخل, هناك فوارق تجعل الخطاب الحجاجي يتميز بشكل خاص, أرغم الدارسين المعاصرين على اعتباره علما قائما بذاته, قعدت له القواعد وأفردت له نظريات خاصة به, فما هو الخطاب الحجاجي ؟ وما هي مكوناته وأركانه؟ وهل يختلف من حيث بنيته عن غيره من الخطابات ؟ أم أنه شكل من أشكال الخطاب الآخر؟ هذا ما سأحاول توضيحه مع قضايا أخرى تتعلق بهذه المسألة، من خلال ما سأورده في هذه المباحث.

1- تعريف الخطاب الحجاجي:

نستطيع من خلال محاولة فهم هذا المصطلح, بأن الخطاب الحجاجي ينبني أساسا على عنصر التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني, والحجاج ركيزته الأساس التي يقوم عليها, ولا اعتبار له إلا بها, وقد أضحت قضاياه محط أنظار النقاد ومحل اهتمامهم, فجعلوه من أهم وظائف اللغة التي لا تحقق تواصلا ناجحا وفعالا دونه.

وسأحاول تتبع هذه الكلمة (حجاج) انطلاقا من دلالتها المعجمية، مارا بمعانيها في التراث العربي, وأختم بما استقرت عليه دلالتها عند النقاد العرب والغربيين.

يعتبر القرآن الكريم أصل علم العرب ومنبع معرفتهم, وما ألفوا كتبهم إلا لحفظه وخدمته والاعتماد على نصوصه التي حفظت لهم اللسان العربي. وحتى نحدد دلالة المصطلح الذي نحن بصدد دراسته لا بد من المرور بالاستعمال القرآني له حتى نصل إلى باقي الدلالات المتعلقة به.

أ) الحجاج في القرآن الكريم:

وردت كلمة (حجاج) في القرآن الكريم بصيغ[15] مختلفة؛ أحيانا تكون الصيغة فعلا ماضيا مثل (حاج, حاججتم, حاجك ...)، أو مضارعا مثل (يتحاجون, يحاجوكم، تحاجون ...), وأحيانا اسما مثل (الحجة, حجتكم, حجتنا ...). وقد اختلف علماء القرآن في تعيين العدد الصحيح للمواضع التي ذكرت فيها هذه الكلمة ومشتقاتها, فمنهم من جعلها سبعة وعشرين موضعا, ومنهم من حصرها في عشرين موضعا فقط ([16])، والسبب يرجع إلى الصيغ

---

[15] - ينظر: صولة, عبد الله, الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية, منشورات كلية الآداب بمنوبة, تونس, 2001م, ص12.

[16]- ميارة, لمهابة محفوظ, " مفهوم الحِجاج في القرآن الكريم ", مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق, العدد (81) الجزء (3).

المشتقة من جذر الكلمة (حجج), ولو اقتصرنا على ما يتعلق بموضوع البحث (الحجاج) لكان العدد محصورا في عشرين موضعا. ووردت كلمة (ح ج ج) في القرآن الكريم بثلاث صيغ:

الأول: صيغة الفعل الماضي: قال الله تعالى:

1- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} البقرة: 258.

2-{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} آل عمران: 61.

3- {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ} آل عمران: 20.

4- {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} آل عمران: 66.

5- {وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ} الأنعام: 80.

الثاني: صيغة الفعل المضارع: قال الله تعالى:

6-{قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ} البقرة:76.

7- {قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} البقرة: 139.

8- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ} آل عمران: 65.

9-{فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ} آل عمران: 66.

10- {أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ} آل عمران: 73.

11- {قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ} الأنعام:80.

12- {وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ} الشورى: 16.

13-{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ} غافر: 47.

الثالث: صيغة الاسم: قال الله تعالى:

14- {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} البقرة: 150.

15- {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء: 165.

16- {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} الشورى: 15.

17- {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} الأنعام: 149.

18- {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} الأنعام: 83.

19- {حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} الشورى: 16.

20- {مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الجاثية: 25.

اتفق الطبري([17]), وأبو حيان الأندلسي([18]), والزمخشري([19]), وابن عاشور([20]), وغيرهم من المفسرين على أن المحاجة هي المجادلة والتخاصم, وكل اكتفى بما ذكر, مع أن بين المصطلحات الثلاثة فوارق معتبرة, ستظهر عند كلامنا عن المصطلح من الناحية اللغوية.

[17] - الطبري، محمد بن جرير, جامع البيان في تأويل القرآن, ت: أحمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط1، 2000 م.

[18] - الأندلسي, أبو حيان محمد بن يوسف بن على, البحر المحيط, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1993م.

ب) الحجاج في اللغة:

تكاد تجمع القواميس على أن الحجاج والمحاجة مصدران لفعل حاجج, قال ابن منظور: " الحَجُّ القصدُ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّتِه. والتَّحاجُّ التَّخاصُم. وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ, وفي الحديث: " فَحَجَّ آدمُ موسى" أَي غَلَبَه بالحُجَّة. واحْتَجَّ بالشيءِ اتخذه حُجَّة, قال الأَزهري: إِنما سميت حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن القصد لها وإِليها. والحُجَّةُ الدليل والبرهان يقال حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ فَعِيل بمعنى فاعل "([21]).

وفي القاموس: " الحَجُّ القَصْدُ، والكَفُّ، والقُدُومُ. والغَلَبَةُ بالحُجَّةِ. والتَّحاجُّ: التخاصُمُ"([22]).

وقال ابن سيده: " والحُجّةُ: ما دوفعَ به الخَصمُ، والجمعُ حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجاجا: نازَعه الحُجةَ. وحَجَّهُ يحُجُّهُ حَجا: غَلَبَهُ على حُجّته. وفي الحديث:" فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى", واحْتَجَّ بالشيء: اتخذه حُجةً "([23]).

وقال الزبيدي: " الحُجَّةُ " بالضَّمّ " : الدَّلِيلُ و" البُرْهَانُ " وقيل : ما دُفِعَ به الخَصْمُ. وقال الأَزهريّ: الحُجَّةُ: الوَجْهُ الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخُصومة. وإِنما سُمِّيَت حُجّةً لأَنّها تُحَجُّ أَي تُقْصَدُ ؛ لأَنّ القَصْدَ لها وإِليها وجمعُ الحُجّة حُجَجٌ وحِجَاجٌ. " والمِحْجاجُ بالكسر: الجَدِلُ ككَتِفٍ وهو الرَّجلُ الكثيرُ الجَدَلِ "([24]).

وقال الجوهري:" الحُجَّةُ: البرهان. تقول حاجَّهُ فحجَّه أي غلبه بالحُجَّةِ. وفي المثل: لَجَّ فَحَجَّ. وهو رجلٌ مِحْجاجٌ، أي جَدِلٌ. والتحاجُّ: التخاصُم "([25]).

لقد دارت دلالة هذه الكلمة (ح ج ج) على عدة معاني, منها: الحج : القصد والكف, والحجاج: المنازعة والتخاصم, والحجة: الدليل والبرهان.

يمكن أن نستخلص من التعريفات السابقة أن الكلمة باعتبار مدلولها الذي قصدناه بالدراسة موزع على أربعة أطراف:

1- الحجيج أو المحاج وهو الغالب بالحجة.

---

[19] - الزمخشري, محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم جار الله, الكشاف, دار إحياء لتراث العربي, بيروت, لبنان, ط2, 2001م.

[20] - ابن عاشور, الطاهر, التحرير والتنوير, مؤسسة التاريخ العربي, بيروت, لبنان, ط1, 2000م.

[21] - ابن منظور, المصدر السابق, مادة (حجج).

[22] - الفيروز آبادي, محمد بن يعقوب بن محمد، أبو طاهر, القاموس المحيط, تح: محمد نعيم العرقسوسي, مؤسسة الرسالة, ط1, مادة (حجج).

[23] - ابن سيده, المصدر السابق. مادة (حجج).

[24] - الزَّبيدي, مرتضى, المصدر السابق, مادة (حجج)..

[25] - الجوهري, أبو نصر إسماعيل بن حماد, تاج اللغة وصحاح العربية المعروف ب " الصحاح ", دار الحديث, القاهرة, مصر, 2009م. مادة (حجج).

2- والمحجوج أي المغلوب في الحجاج.

3- الحجة أو الحجج وهي الأدلة والبراهين التي تدور على ألسنه المتحاجين.

4- التحاج أي التخاصم ويقصد به طريقة وأسلوب كل خصم في دفع حجة الآخر والنهوض بحجته.

ونظرا لما بين المعاني المعجمية والدلالات الاصطلاحية من ارتباطات فإننا سنعرج على تبيين المعنى الاصطلاحي للكلمة حتى يكتمل المفهوم الكلي لها.

ج) الحجاج في الاصطلاح:

أما من حيث الاصطلاح, فقد تعددت دلالة هذه الكلمة بحسب العلم الذي يستخدمها, فكما يعتمدها البحث اللغوي عموما والبلاغي على وجه الخصوص في تقعيد بعض النظريات, نجد الدرس الفلسفي أيضا يبني عليها الكثير من قضاياه المنطقية, وعليها أسس المتكلمون علم الجدل والمناظرات. كما نجد لها اهتمامات أخرى في علم النفس وعلم الاجتماع. وفي ظني أن سبب هذا التداخل يعود بدرجة أولى إلى الطابع الفكري والفلسفي للكلمة, الناتج عن الاختلاف في وجهات النظر وتعدد القناعات.

اهتم العلماء قديما وحديثا بمصطلح الحجاج, حتى استقل بنظريات خاصة, الشيء الذي يجعلها قد " تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعد الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكية **(أرسطو)** أو البلاغة الحديثة **(برلمان، أول بريخت تيتيكا، مشال مايير....)** أو منتميا إلى المنطق الطبيعي **(جان بلير غريز)**"([26]).

ونبدأ في تحديد التعريف الاصطلاحي للحجاج من خلال قاموس لالاند الفلسفي, الذي يبين أن الحجاج أو المحاجة : " سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد نفس النتيجة، كما أن الحجاج " طريقة في تنظيم واستعراض الحجج أو تقديمها ". والحجة: " استدلال موجه لتشريع أو دحض قضية معينة، أو تفنيدها ". والدليل: " عملية توجه التفكير العقلي بصورة يقينية ومقنعة. ويتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلق منها. ويحيل الدليل إلى الواقع، ليأخذ مضمونا ماديا تصبح بموجبه الوقائع والأحداث والوثائق بمثابة أدلة. ويتميز الدليل بميزة الحقيقة "([27]).

---

[26] - العزاوي, أبو بكر, اللغة والحجاج. العمدة في الطبع, ط1, 2006م, ص14.

[27] - لالاند, القاموس الفلسفي, دار الفكر, بيروت, لبنان, ط2, 1986م. مادة (حجج).

تذكرنا هذه الإشارات الفلسفية بالتعريفات السابقة في المعاجم العربية, حيث دار مفهوم الحجاج حول محور البرهان والبرهنة, والدليل والاستدلال وغيرها.

وبالمقابلة بين اللغات نجد أن " كلمة (الحجاج) يقابلها في اللغة الفرنسية مصطلح (Argumentation), الذي يدل على عدة معان متقاربة, كالقيام باستعمال الحجج أو هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة "([28]).

من خلال هذه الإشارات, يتضح لنا أن الحجاج أو المحاجة لفظ يتضمن دلالة ومعنى يستمدهما من طبيعة سياقه المتمثل في التخاصم، والتنازع، والجدل، والغلبة, والبرهنة والاستدلال وغيرها.

وإذا رجعنا إلى الدراسات القديمة, نجد أن الدارسين اهتموا اهتماما بالغا بالحجاج ضمن الخطاب واعتنوا بتأثيراته الفعلية, فقد ربط **أرسطو** الحجاج بالخطابة والجدل, وجعله قاسما مشتركا بينهما, على اختلاف بنيته في كليهما. وحدد العلاقة بين الخطابة والجدل بعبارته المشهورة (Antistrophose), التي عبر عنها **ابن رشد** في تلخيصه لخطابة **أرسطو** بـــ: " التناسب " حين قال : " أن صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل, وذلك أن كلتيهما تؤمان غاية واحدة وهي مخاطبة الغير "([29]).

" وإن كان أرسطو في البلاغة القديمة قد ربط الحجاج بمجال الخطابة والجدل على اختلاف بنيته في كليهما, فإن البلاغة الجديدة متمثلة في آراء **بيرلمان (C. Perleman) وتيتكاه (L.Tyteca)**, قد جعلت الحجاج مختلفا عن الجدل والخطابة, إلا أنه يأخذ منهما, فيأخذ من الأول تأثيره الفكري, ومن الثاني توجيه السلوك أو العمل والحض عليه . ويرى **بيرلمان** أن الحجاج جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب, بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه, أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع. وقد ألف **بيرلمان وتيتكاه** مصنفا في الحجاج, ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره "([30]).

نجد أنفسنا أمام هذا التداخل بين المفاهيم, مرغمين على أن نفرق أكثر بين طبيعة الخطابات العادية والخطابات البرهانية, ومهما بدا الاشتراك واضحا بينهما, فلا شك " أن الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم

---

[28] - أعراب، حبيب, " الحجاج والاستدلال الحجاجي", عالم الفكر، مجلة دورية محكمة، الكويت، ع1 سبتمبر 2001م ، ص99.

[29] - الطلبة, محمد سالم محمد الأمين, الحجاج في البلاغة المعاصرة, دار الكتاب الجديد, لبنان, ط1, 2008م, ص32.

[30] - الدريدي, سامية, الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري, بنيته وأساليبه, عالم الكتب الحديث, إربد, الأردن, ط1, 2008م, ص21.

على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فالحجاج (Argumentation) ينتمي إلى نظام الخطاب الذي يختلف تماما على النظام الذي تنتمي إليه البرهنة أو الاستدلال المنطقي (Demonstration), فهي من النظام الذي عادة ما نسميه (المنطق) "[31].

فالاستدلال يتكون من أقوال مستقلة بعضها عن بعض، و كل قول منها يعبر عن قضية ما، فهو مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما نقوله أو نفترضه, ويلزم من مقدماته أن تكون النتائج فيها حتمية, فقولنا مثلا :

كل اللغويين علماء , زيد لغوي , فالنتيجة الحتمية أن زيدا عالم.

أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل نفس الخطاب. هذا " يعني أن الجمل التي يتكون منها الخطاب هي حجج ونتائج، يتم فيها تقديم الحجة لتؤدي إلى نتيجة معينة. فقولنا أن: الجو جميل, لنذهب إلى النزهة. فجمال الجو يدعو ويدفع إلى التنزه، وهذه طريقة يعتمدها المتكلم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج إلى النزهة, أو بالذهاب إلى شاطئ البحر, أو إلى حديقة عمومية للتجول فيها من أجل الترويح عن النفس والاستمتاع بجمال الطبيعة. فالمتكلم يقدم هذا العنصر باعتباره حجة ودليلا لصالح النتيجة المقصودة "[32].

ويمكن أيضا أن نلاحظ بأن الحجاج يخالف الاستدلال في النتائج, فالأول يمكن نقضه ودحضه, والتسليم بالمقدمة فيه أمر نسبي بالنسبة إلى المخاطب, بينما الثاني نتائجه ملزمة لمن حكم بصحة مقدماته.

وقد ركز[33] **أزفالد ديكرو (O.Ducrot) و أوسكمبر (Ausscombre)** على التسلسل في بنية الأقوال اللغوية, بهدف التفريق بين الحجاج اللغوي وبين غيره, وسبب ذلك يرجع إلى أن: " الحجاج في اللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق, فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر "[34]. أي أن النتيجة في الخطاب تكون قولا مبنيا على قول آخر, يهدف من خلالها المتكلم إلى إقناع المتلقي الذي يصل إلى النتائج بالاعتماد على البنية اللغوية للأقوال, لا من مضمونها الإخباري. وانطلاقا من هذا المفهوم أسس **ديكرو** نظريته التي تهتم بالوسائل اللغوية, وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، حيث تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي

---

[31] - العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص18.
[32] - العزاوي,أبو بكر, المرجع السابق. ص17.
[33] - ينظر: صولة, عبد الله, المرجع السابق ص36.
[34] - الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص23.

مؤداها: " أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"([35]). ويمكن الإشارة إلى عنصر التوجيه الذي يعده **ديكرو** مفهوما أساسيا في النظرية الحجاجية([36]), حيث يعتبره غاية الخطاب الحجاجي, التي تتمثل في فرض نمط من النتائج على المخاطب, باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن له أن يسير فيها. فالخطاب يسد المنافذ على أي حجاج مضاد, فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها([37]).

قام **ديكرو وأوسكمبر** بتأليف كتاب مشترك بينهما, عنوانه([38]): (الحجاج في اللغة) (L'argumentation dans la langue), ويعتبر هذا الكتاب أصلا لوضع نظرية لسانية جديدة, تدرس الحجاج في إطاره اللغوي الخاص, معزولا عن تلك النظريات الفلسفية والمنطقية والبلاغية وغيرها.

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها **أوستين (Austin) و سورل (Searle)**. " وقد قام **ديكرو** بتطوير أفكار وآراء **أوستين** بالخصوص " ([39]). لذلك يرى كثير من الباحثين أن المدرسة العامة التي تنتمي إليها دراسة الحجاج هي المدرسة البراغماتية, التي تهتم باستعمال الكلام كظاهرة استدلالية وتداولية واجتماعية ([40]). ومن هنا عرف الحجاج بأنه: " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ". و" يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها "([41]).

مما تقدم نتوصل إلى أن الحجاج خاصية من خصائص الخطاب, يسعى المخاطب فيه لإقناع الآخر بوجهة نظر معينة, ويتم ذلك بتقديم جملة من الحجج المترابطة والمتسلسلة التي تأخذ حجيتها من بنيتها اللغوية, و تقوم بتوجيه المستمع إلى وجهة مقصودة يسير فيها وفق ما سطر له مخاطبه.

هناك العديد من وجوه التداخل بين المعارف والعلوم التي أولت اهتماما ملحوظا لظاهرة الحجاج, ويرى الدارسون أن السبب يرجع إلى تشعب مفاهيمه وتنوع مجالاته، وتعدد استعمالاته

---

[35] - نفس المرجع, ص25.
[36] - ينظر: صولة,عبد الله, نفس المرجع, ص39.
[37] - الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص23.
[38] - ينظر: صولة, عبد الله, المرجع السابق, ص38.
[39] - العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص14.
[40] - نفس المرجع, ص16.
[41] - نفس المرجع, ص14.

وتباين مرجعياته, الشيء الذي يقودنا إلى " الاعتراف بوجود أكثر من سياق لهذا المفهوم, وأكثر من حقل وظيفي له. فهناك حجاج خطابي (بلاغي), وحجاج قضائي (قانوني), وحجاج فلسفي وحجاج رياضي ... إلخ. ومن هنا كان من البديهي أن يكون له كخطاب وكعمليات استدلالية إقناعية علاقات معقدة ومتجددة سواء مع البلاغة الكلاسيكية والحديثة أو مع المنطق والبرهان, أو مع اللسانيات "([42]).

من هذا المنطلق يتعين علينا الفصل بين أنواع الحجاج, ودراسة كل نوع حسب الفن أو العلم الذي يستعمله. لأن الدراسة دون ذلك تسقطنا في الخلط وعدم الدقة. ومن أجل تحقيق الدقة وتوخي الصواب, اقتفينا آثار الدارسين الذين فصلوا القول في هذه المسألة, فألفينا دراسة الباحث **حبيب أعراب** تفي بالغرض المطلوب, فقد اتبع فيها منهجا علميا يتوافق مع بحثنا في تحقيق غايته. وهذا تلخيص ما جاء في بحثه([43]).

بدأ الباحث **حبيب أعراب** حديثه عن الدلالة اللغوية للكلمة, ثم تكلم عن معنى الحجاج انطلاقا من تعريف **بيرلمان (CH.Perelman) وميشال مايير(M.Meyer)** اللذين يعتبرانه الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا, مهما كان متلقي هذا الخطاب, ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك([44]). ويرى أن الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية, وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق, والسبب في ذلك أن كل خطاب حال في اللغة التي تمنحه عناصر الاستدلال([45]).

وقال حين تحدث عن الأجناس المعرفية التي تسعى إلى ضم الحجاج إلى حضيرتها الخاصة, ومقاربته من زاويتها المحددة: " سنركز من الزاوية النظرية, على وضعية مفهوم الحجاج وعلاقته بكل من التداولية واللسانيات, ثم بالبلاغة والخطابة, ثم بالقضاء, وأخيرا بالفلسفة "([46]).

وقد جمع الباحث **حبيب أعراب** أنواعا شتى من الخطابات الحجاجية, انطلاقا من العلاقة التي تربطها بمجالات العلوم والمعارف المهتمة بدراستها, وسنكتفي بذكر أهم أنواعها المرتبطة ببحثنا ولها علاقة مباشرة بموضوعنا.

---

[42] - أعراب، حبيب, المرجع السابق, ص100.
[43] - ينظر: نفس المرجع, ص ص(97- 138).
[44] - ينظر: صولة, عبد الله, المرجع السابق, ص40.
[45] - ينظر: صولة, عبد الله, المرجع السابق, ص40.
[46] - أعراب، حبيب, المرجع السابق, ص100.

ثانيا: أنواع الخطاب الحجاجي:

أ) الخطاب الحجاجي البلاغي:

كان كلامه في هذه الجزئية منطلقا من تحديد مفهوم الخطابة قصد التفريق بينها وبين البلاغة, وأن البلاغة والإقناع هما أهم ما يميز أسلوب الخطابة. ثم تحدث عن الخطابة عند " أرسطو " والعلاقة المتوترة بينها وبين الفلسفة في الفكر اليوناني, ليصل إلى البلاغة عند العرب, فبين أنها اشتملت على عدة علوم, منها علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع. وفي هذا الطرح ذكر تعريفها من منظور **الجرجاني** في (أسرار البلاغة) **والسكاكي** في (مفتاح العلوم). فاستنتج في الأخير أنها " قد أُخذت كمحدد أساسي للخطابة, لأن الخطابة تخاطب جمهورا معينا, ومن ثم حاجتها للبلاغة لإقناعه والتأثير فيه. ومن منطلق أن الخطابة تحتاج إليها, فإنها تحتاج بالتالي للصور البلاغية وللحجج والحجاج, فالتأثير والاستمالة يتطلبان الإبانة والوضوح وأساليب الإقناع. ومن هذا المنطلق يجب الإقرار بوجود حجاج بلاغي يجد عناصره الأساسية في المعاني البلاغية كأدوات إقناعية مثل الشاهد والاستشهاد والحجة والدليل والاستدلال ... إلخ "([47]).

ثم تكلم الباحث عن معاني الشاهد والحجة والبرهان والدليل عند **الجاحظ** ليبين أن: الحجاج البلاغي قد تعدى نطاق الخطابة ليجد مكانته المنهجية في حضيرة العلوم والكتابة, فإنه مع ذلك قد بقي محتفظا بخصائصه الأصلية: كسب تأييد المتلقي في شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة, ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معا, حتى يتقبل ويوافق على القضية أو الفعل موضوع الخطابة.

وإذا كان للبلاغة تأثيرا في المتلقي فإنها تفتقر إلى عنصر الإقناع والتفحيم، الذي لا يتم لها إلا إذا تلاحمت مع الحجج والمحاجة.

وفي الأخير يصل الباحث إلى أن هناك حجاجا يمكننا نعته بالبلاغي يتسم بعدة سمات أهمها:

- اشتراطه لرغبتين هما إرادة المتكلم (المؤثر والمقنع) وإرادة المتلقي (المتأثر والمقتنع).
- خضوع حججه للتراتبية والتنظيم: القوة, الضعف, البدء, الختم, الإبطال, الإثبات ... إلخ.

---

[47] - أعراب، حبيب, المرجع السابق, ص101.

– اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعي.

وأما أهم أهدافه فيمكن اختصارها في:

– استمالة المتلقي وإغراؤه لكسب تأييده وتوافقه الضمني أو الصريح.

– التأثير في المتلقي وإقناعه, وقد يصل التأثير إلى درجة القيام بالفعل الذي يريده المخاطِب.

ب) الخطاب الحجاجي التداولي:

ينطلق الباحث في هذه المسألة من أن الحجاج ظاهرة متلبسة بألبسة لسانية وأسلوبية, وبالتالي غدت مقاربتها لسانيا أمرا طبيعيا بل ضروريا, مع الإشارة إلى أن أهمية هذه المقاربة ملقاة على عاتق التداولية.

ويبرر الباحث اعتقاد من يرى أن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي من شأن التداولية (Pragmatique) , لأن الخطاب الحجاجي " يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول والتلقي (...) أي أن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفاعلية "([48]).

وبعد حديثه عن سعة مجال التداوليات وتشعبها, يرى أن الخطاب الحجاجي ينطوي على البعد التداولي في عدة مستويات:

1– مستوى أفعال اللغة المتداولة في الحجاج.

2– مستوى السياق الذي تضفي فيه بعض الأدوات والصيغ والتعابير السمة الحجاجية على تخاطب ما مما يجعل الحجاج ضمنيا أو صريحا.

3– المستوى الحواري أو التحاوري.

وبعد هذه الجولة مع التداولية, يردنا إلى علاقة الخطاب الحجاجي بالدراسات اللسانية الحديثة, التي حاولت أن تعالجه كظاهرة لسانية نصية تبرز فيها مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام, والوقوف عند العناصر والروابط الحجاجية التي تؤسس بنيته الداخلية, ثم تشريح سلالم الحجاج داخل المنطوقات والأقوال.

وقد أشار إلى دراسات وأبحاث **بنفنيست** (**E.Benveniste**), التي يرى فيها أن اللغة لا تتحول إلى خطاب يجسد العلاقة بين المتكلم والمستمع إلا من خلال التلفظ (Enonciation). وبعد أفكار هذا الأخير حول التلفظ والتكلم والخطاب جاءت آراء **أزفالد ديكرو** (**O.Ducrot**) الذي يرى أن التكلم هو المصدر المسؤول عن الخطاب الحجاجي, ويوجب التمييز بين المتكلم

[48] - أعراب، حبيب, المرجع السابق, ص106.

والمتلفظ. فيتخذ التلفظ صورتين ضروريتين من بين أشكال الخطاب, إحداهما بمثابة مصدر التلفظ, والأخرى بمثابة الهدف منه. ومن هنا يركز على أن المعنى لا يحدد من دون الرجوع إلى مقاصد القول وحجاجه([49]).

ثم تعرض الباحث إلى مسألة التفريق بين الاستدلال المنطقي والخطاب, التي تكلمنا عنها آنفا, وتوصل إلى أن الحجاج كامن داخل اللغة, وأن استعمال الحجج ليس عنصرا يضاف إليها بل يسري فيها سريانا طبيعيا, مما يجعل النتائج تبنى على تراتبية الحجج وتسلسلها وفق نظام وعلاقة معينة, تسمى (السلم الحجاجي), وهذا ما سأتكلم عنه في مبحث البنية الداخلية للخطاب الحجاجي.

ج) الخطاب الحجاجي الفلسفي:

هناك علاقة وطيدة بين الفلسفة واللغة, لأن الفلسفة لا تشتغل إلا على اللغة وحولها، ومادامت اللغة تزخر بأنواع الخطاب فمن ثمة هي مرتبطة بها, وللخطاب سياق لغوي تندمج فيه علاقة المتكلم بالمتلقي, وهو الذي يعرف في الفلسفة بـــ (الأنا) و(الآخر), ومن هنا تبرز العناصر الثلاثة التي تشكل المحاور الأساسية للفلسفة والتفلسف.

" فإذا كان الحجاج فعالية خطابية وتداولية وبلاغية, فإن القول الفلسفي يشكل حقلا وإنجازا خاصا لهذه الفعالية "([50]). والممارسة الحجاجية والاستدلالية في الفلسفة ليست مقصودة لذاتها, لأنها مبررة بغايات بعضها تعليمية وعقلية (إقناعية, حوارية ...), وبعضها الآخر غايات منهجية وفكرية (سجالية, جدلية, تحليلية, نقدية ...).

ولا يستقيم الحديث عن الحجاج في الفلسفة دون إثارة علاقة الحجاج الفلسفي بالحقيقة واللغة والمنطق والبلاغة.

وبعد الكلام عن الحجاج في الفلسفة, انتقل الباحث **حبيب أعراب** إلى الكلام عن علاقة البرهان بالحجاج الفلسفي, أهي علاقة تطابق أم تفارق؟ ويخلص في الأخير إلى أن الفلسفة تستدل بالحجة لا بالبرهان أو الدليل, ويدعم موقفه هذا بقوله " أن البرهان محكوم بمعايير هي غير معايير الاستدلال بالحجة والحجاج. فالبرهان إما أن يكون صحيحا وإما أن يكون خاطئا. والحالة الثالثة إما منعدمة أو مقيدة بشروط. والبرهان يكون صحيحا بصحة نتائجه وكفايتها الذاتية, أي

---

[49] - ينظر: صولة, عبد الله, المرجع السابق, ص39.

[50] - أعراب، حبيب, المرجع السابق, ص111.

استغناؤها عن دعم أو تقوية خارجية. كما أن صدق البرهان هو صدق قضاياه وما يلحمها من علاقات "([51]).

ثم كعنصر ثالث يتحدث فيه عن الحجاج الفلسفي ومسألة الجدل والحوار, التي يرى فيها أن الاستدلال الحجاجي في الفلسفة لا يمكن أن يقف على رجليه من دون الاستناد إلى أرضية حوارية جدلية بالمعنى التداولي والتواصلي لهذه الأرضية. وبالرغم من محاولة الفلاسفة رسم الحدود الفاصلة بينهم وبين الجدل, في حقيقة الأمر ما كانت أعمالهم الفلسفية إلا ممارسة فعالة للجدل والمحاجة.

" إن الحوارية والجدل يقتضيان صوغ الأطروحات (المواقف) في شكل أحكام وجمل تؤكد أو تنفي. وقد تسبق أو ترافق أو تعقب هذه الأطروحات سلسلة من الحجج, هي أيضا أفكار وقضايا لفظية "([52]).

وما يهمنا معرفته في هذه الجزئية, أن الاستدلال الحجاجي راسخ في الخطاب الفلسفي الذي يقوم على أرضية الحوار والجدل, وأن السمة الحجاجية فيه مفتضحة بعلامات قابلة للتحليل والدراسة.

هذا ما أردت قوله حول أنواع الخطابات الحجاجية التي يكثر استعمالها, وقد اكتفيت بذكر هذه الأنواع الثلاثة دون غيرها, بسبب التداخل الذي يجمع بينها خلال الممارسة الكلامية, وصعوبة التفريق بينها أثناء ذلك.

ثالثا: خصائص النص الحجاجي:

يتميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص بعدة خصائص ومميزات، جمعها **بنوا رونو (Benoit Renaud)** فيما يلي:

1) القصد المعلن([53]): ويحاول من خلاله المحاج البحث عن إحداث أثر في المتلقي أو إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام([54]). " وقد نجح رجال الإشهار في استعمال هذه الفكرة في التواصل، بهدف تحقيق ما يطمحون إليه "([55]).

---

[51] - أعراب، حبيب, المرجع السابق, ص117.

[52] - نفس المرجع, ص121.

[53] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص26.

[54] - وهو بحث تأثيري يتجه نحو مثال من الإقناع, يتمثل في مقاسمة طرف أخر (الطرف المحاور أو المرسل إليه) نوعا من الكون القولي إلى حد يصبح فيه ذلك الطرف الآخر مستدرجا نحو الأخذ بنفس الأقوال التي كان يتلقاها. باتريك شارودو (Patrick charaudeau), الحجاج بين النظرية والأسلوب, ترجمة:أحمد الودرني, دار الكتاب الجديد المتحدة, بيروت لبنان, ط2009/1, ص15.

[55] - انظر: باتريك شارودو, نفس المرجع, ص63.

2) التناغم: وهو ما يعبر عنه " **باتريك شارودو** ": بانتظام المنطق الحجاجي([56]), حيث يقوم النص على منطق معين في كل المراحل التي يمر بها، ويوظف على نحو دقيق من التسلسل والإحكام, "وهو الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات في المتلقي بقصد الطرف المحاج "([57]).

3) الاستدلال: " وهو السياق العقلي الذي يسير وفقه الخطاب الحجاجي, لأن النص الحجاجي في أبسط صوره هو ترتيب عقلي للعناصر اللغوية المكونة له ترتيبا يستجيب لنية الإقناع "([58]).

4) البرهنة: "وتعتبر أسلوبا من أساليب المنطق الحجاجي تتيح تنظيمه وفق ما يسمى بالعقل الاستدلالي"([59]).

رابعا: البناء الحجاجي في الخطاب:

يمكننا أن نعتبر كل قول مبني على متكلم ومتلق ورسالة بينهما لها غاية أو مقصد معين خطابا في أبسط مفهوم له, والخطاب الحجاجي خطاب يشترك مع باقي الخطابات من حيث شكله, أي أنه يبنى على مثل ما بني عليه غيره من الخطابات اللغوية, إلا أنه قد يختلف معها في الوظائف والغايات.

فهو ذو طبيعة تستدعي طرفين أساسيين ينتجانه, ويعتبران هما أساس العملية الحجاجية فيه, هذه الأخيرة التي لا يمكن لنا أن نحيط بها ومعرفتها عن قرب إلا من خلال معرفتنا لهما. وقد اختلفت التسميات التي تطلق عليهما باختلاف النقاد, فـ **جاكبسون (Jacobson)** مثلا يطلق عليهما: المرسِل والمستقبل, و**أوستين (Austin)** يسميهما: المخاطِب والمخاطَب.

ومعرفة هذين العنصرين وطبيعة كل واحد منهما, أمر ضروري له دوره في تحديد بنية الخطاب, فهما أصل إنتاج النص الحجاجي, الذي يعتبر أصل الدراسة.

1- أطراف الحجاج:

أ) المخاطِب(المرسِل):

وهو الطرف الذي يسعى دائما إلى الإقناع أو التأثير في المتلقي, وبحسب طبيعة الخطاب؛ قد يكون هذا الطرف ممثلا في شخص واحد, وقد تمثله مجموعة من الأشخاص. لكن أبرز ما يمكن أن يتصف به هذا الطرف هو السعي إلى إقناع المتلقي أو تغيير رأيه, و يتم ذلك على

---

[56] - يتكون النص الحجاجي من ثلاثة عناصر أساسية تنتظم وفق منطق ثابت, سيأتي الكلام عنها مفصلة عند ذكر البنية.

[57] - الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص26.

[58] - باتريك شارودو, المرجع السابق, ص36.

[59] - نفس المرجع, ص36.

مستوى مخاطبة العقل وتحريك العاطفة والتأثير فيهما بواسطة اللغــة. ويجب على هذا الطرف أن يعرف وضعية مخاطبه ورغباته وميوله, والوقوف على المنطلقات والدوافع التي كانت من ورائها لتحقيق الإقناع واجتناب حججه المضادة.

وبما أن الخطاب ذو طبيعة حجاجية, فإن هذا الطرف نطلق عليه اسم المُحَاج, باعتباره صاحب المبادرة في تقديم الحجج التي يسعى من خلالها إلى بناء فكرته أو موضوعه الذي يريد إقناع غيره به. ومن خلال عملية الحجاج يكون هذا الطرف مدعوا إلى تبني عدة مواقف: بالنسبة إلى ما يبثه الطرف الآخر من أخبار من جهة، وبالنسبة إلى المتلقي ذاته من جهة ثانية, وبالنسبة للحجاج الذي يقدمه من جهة أخرى([60]):

* **مواقف بالنسبة إلى الخبر:** وهي ترتبط من ناحية بالمعرفة التي يمتلكها المحاج عن الخبر, ومن ناحية أخرى بالخيار الذي يتخذه فيما يتعلق بصحة الخبر. فهو إما مع الخبر أو ضده, وإذا لم يتخذ موقفا فإنه ينبري مستعرضا ما ينتمي إلى (مع) وما ينتمي إلى (ضد) على نحو مفصل([61]).

* **مواقف بالنسبة إلى باث الخبر**([62]): وهو ما يتخذه المحاج من مواقف تجاه الطرف الآخر, فهناك:

– موقف رفض الوضع: ويكون بنقص الثقة بين أطراف الحجاج, ومنه يكون اتخاذ موقف إزاء الخبر في حد ذاته.

– موقف قبول الوضع: وذلك بمجرد التزام الأطراف بالدخول في العملية الحجاجية, مما يبين أن كل الأطراف لها ما يكفي من النفوذ والثقة والمعرفة للمشاركة في إطار الإشكالية.

* **مواقف بالنسبة للحجاج**([63]): وهنا يتعلق الأمر بالمواقف التي ترتبط بنموذج الالتزام الذي يتبناه المحاج حيال الإشكالية الخاصة به, وفيه يكون بين حالين:

– حال التزام: وفيه يتبنى المحاج الإشكالية, حيث تتحول هذه الأخيرة إلى مناظرة تصبح فيها الأطراف الأخرى مع حججها محل شك, ويأخذ الحجاج الشكل الجدلي.

---

[60] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص ص(68 – 73).
[61] - ينظر: نفس المرجع.
[62] - ينظر: نفس المرجع .
[63] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص71.

– عدم التزام: وهو عدم انخراط المحاج في العملية الحجاجية, ويتعامل معها عن بعد, كاستعماله جمل لا تخلو من الإبهام الذي يمحو به حضوره المباشر (يجدر القول, من المنطقي ...), أو يستعمل الشواهد والمراجع في شكل أقواس وملاحظات وإحالات ...إلخ.

وإذا تأملنا العملية الحجاجية باعتبار فاعلها, فإننا سنجده يعتمد على أسلوبين اثنين في خطابه؛ الأول مطبوع بطابع عقلي, والآخر بطابع تأثيري. ومن هذا المنطلق يمكن تحديد مسار دراسة بنية هذا الخطاب التي تتعسر دون التعرض لتحديد طبيعة أسلوب المحاجج.

فقد يمتزج في النص الحجاجي الطابع العقلي الذي يعتمد على منطق البرهنة في صوره المختلفة, والطابع التأثيري الذي يسخر خططا قائمة على الوسائل القولية في الإغراء والإقناع اللذين يتجهان نحو الامتزاج. وقد جعل **باتريك شارودو** نوعين من العقل يعملان على بناء النص الحجاجي:

العقل الاستدلالي([64]): وينهض على آلية تتصل أساسا بإقامة روابط سببية مختلفة بين قولين أو عدة أقوال. بينما هذه الروابط تقوم على ما نسميه (انتظام المنطق الحجاجي), الذي تتعلق مكوناته في الوقت نفسه بالمعنى الذي تتضمنه هذه الأقوال, وبنماذج الروابط التي توحدها.

العقل الإقناعي([65]): وينهض على آلية تتصل أساسا بإقامة الدليل بواسطة الحجج التي تبرر الأخبار التي تحصل عن العالم والروابط السببية التي تصهر الأقوال فيما بينها.

وقد اعتمدت هذا التقسيم لأحاول من خلاله الإحاطة بدراسة بنية أي نص حجاجي مهما تغير المجال المعرفي الذي ينتمي إليه. لأن تغاير هذه المجالات يقضي بالتزام منهج معين في الدراسة, فالحجاج الفلسفي مثلا المبني أساسا على العقل ومبادئه والمنطق وآلياته يقضي بأن تكون الدراسة فلسفية, وكذلك الحجاج التداولي يقضي نوعا آخر من الدراسة تتناسب وطبيعة موضوعه, وهكذا نجد نفس الشيء بالنسبة لأنواع الخطابات الأخرى التي تلزمنا بمجال ضيق لدراستها, إن نحن لم نوضح منطلقات ومعالم الدراسة التي سنسير وفقها بغية الوصول إلى الهدف المرجو منها.

ب) المخاطَب(المستقبِل):

---

[64] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص16.

[65] - ينظر: نفس المرجع, ص13.

وهو الطرف المقصود بعملية الحجاج, وقد يكون شخصا واحدا كما يمكن أن يكون مجموعة أشخاص, يسعى المخاطِب إلى إقناعها أو التأثير فيها من خلال خطابه. وهو ما نطلق عليه اسم المحجوج باعتبار العملية الحجاجية.

يبنى الحجاج عند " **باتريك شارودو** " (**Patrick charaudeau**) على عدة عناصر تعتبر أساسه([66]):

* خبر عن العالم يجب أن يمثل إشكالا بالنسبة إلى شخص ما.

* فاعل يلتزم بهذه الإشكالية (قناعة), وينشئ برهنة لمحاولة تأسيس حقيقة لهذا الخبر.

* فاعل آخر مهتم بالخبر نفسه إشكاليةً وحقيقةً, هو الذي يشكل هدف الحجاج. إن الأمر يتعلق بالشخص الذي يتوجه إليه الفاعل المحاجج, على أمل استدراجه نحو مقاسمة الحقيقة نفسها (الإقناع), مع العلم أن ذلك الشخص بإمكانه قبول الحجاج أو رفضه, أي: (أن يكون مع) أو (أن يكون ضد).

وهكذا يتحدد الحجاج في علاقة ثلاثية بين (فاعل محاجج) و(خبر عن العالم) و(فاعل هدف).

إن هذه الدراسة وضعت خصيصا لبحث نص المناظرة الذي يعتبر مزيجا من البنى المتداخلة, ترى فيها قوة الأقوال اللغوية حينا, والبرهنة والاستدلال والمنطق أحيانا أخرى, وهذا ما يصعب علينا تحديد مجال واحد لدراستها وإلغاء الباقي, باعتبار تصنيف طبيعة النص واعتماد المجال المعرفي الذي ينتمي إليه. وسيظهر هذا جليا عند الكلام على المناظرة ومباحثها, وهذا ليس أوانه لذلك سأرجئ الكلام عنه إلى حينه.

وبالعودة إلى كلام " **باتريك شارودو** " السابق, الذي حدد فيه عناصر الحجاج, يمكن أن نستخلص المكونات الأساسية لأي عملية حجاجية في النقاط التالية:

2- الأطروحة أو الإشكالية:

وهي ما يطرح في النص من طرفي المحاجة, تمثل قناعة معينة, يسعى أحد الطرفين إلى البرهنة عليها ليؤسس حقيقة ما؛ يستدرج من خلالها الطرف الآخر نحو إقناعه بها. وهي نوعان([67]):

---

[66] -. ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص 18.

[67] - ينظر: الميداني, عبد الرحمن حبنكة, ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة, دار القلم, دمشق, ط4, 1993م, ص380.

أ) الأطروحة المدافع عنها:

وهي القضية التي يسعى طرف إلى فرضها بإقامة الحجج والبراهين, حتى يجعلها ثابتة ويجر الطرف الآخر لقبولها والتسليم بمقتضياتها.

ب) الأطروحة المدحوضة:

ويكون فيها أحد الطرفين ضد ما طرح عليه من أفكار فيسعى إلى تفنيدها ودحضها وفق قناعة تقوم على حجج وبراهين معينة يراها مناسبة.

ويرى **شارودو** أن لكل عملية حجاجية كيان خاص يسمى (الجهاز الحجاجي), مركب من ثلاثة أطر([68]):

* **الخبر:** وهو ما يبثه أحد طرفي الحجاج, ويتكون من قول أو عدة أقوال تفيد شيئا ما, وقد يتطابق أحيانا مع ما نسميه "الأطروحة".

* **الحكم:** وهو الموقف المتخذ من الطرفين اتجاه الأطروحة, إما الاتفاق (فيكون مع) وهذا ما سيقوده إلى التدليل على صحة ما ذهب إليه. وإما الاختلاف (فيكون ضد) فيتوجه إلى البرهنة على دحض الأطروحة إما كليا أو جزئيا([69]).

* **الإقناع:** وهو حدث يتعلق بطرفي الحجاج ينشأ بإقامة الدليل على الموقف المتبنى([70]).

3- الحجج:

تتنوع الحجج بتنوع النصوص والخطابات, فقد نجد نصا حجاجيا مبنيا على الحجج اللغوية التي يتم تقديمها لتؤدي إلى نتيجة معينة, وقد نجد نصا ثان مبنيا على الاستدلالات والبرهنة المنطقية, بينما نجد نصا آخر يجمع الأول والثاني معا, وهكذا. لذلك وجبت الإشارة إلى ذكر أنواع الحجج .

أ) الحجج اللغوية:

وهي " عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي أخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك, و قد تكون الحجة ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق " ([71]).

وتتسم هذه الحجج بعدة سمات([72]):

---

[68] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص18.

[69] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص 61.

[70] - ينظر: نفس المرجع, ص 61.

[71] - العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص18.

* **إنها سياقية:** فالسياق هو الذي يصير العنصر الدلالي حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة، المتضمنة لقضية واحدة، قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

* **إنها نسبية:** فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها. وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

* **إنها قابلة للإبطال:** وذلك بحسب قوة الخصم في دفع حجة الطرف الآخر([73]).

وتدعى العلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة (**العلاقة الحجاجية**)، وإذا كانت هذه العلاقة ترتيبية فإننا نطلق عليها ما يعرف عند ديكرو (**السلم الحجاجي**), وهو علاقة ترتيبية للحجج. ويتسم بسمتين اثنتين: **أولاهما:** كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة. **وثانيهما:** إذا كان القول يؤدي إلى نتيجة ما, فهذا يستلزم أن الأقوال التي تعلوه درجة تؤدي إليها من باب أولى، والعكس غير صحيح([74]).

وللسلم الحجاجي عدة قوانين تحكمه, أهمها([75]):

– **قانون النفي:** وهو أنه إذا كان قول ما مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة.

– **قانون القلب:** ويرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تتميما له، ومفاد هذا القانون أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية. ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى وهو أنه إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة.

– **قانون الخفض:** يوضح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة: (moins que). وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع، في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضا في سلمية تدريجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية. فلا تندرج الأقوال الإثباتية والأقوال المنفية في نفس الفئة

---

[72] - ينظر: العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص ص(19-20).
[73] - ينظر: نفس المرجع, ص ص(19-20).
[74] - ينظر: نفس المرجع ص21.
[75] - ينظر: نفس المرجع, ص ص(22-24).

الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي. ومع ذلك فقد اقترح أحد المناطقة المعاصرين صياغة تقريبية لهذا القانون نوردها كما يلي:

" إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها "([76]).

ب) الحجج غير اللغوية:

بعد الكلام عن بنية الحجاج وانتظام الحجج فيه من المنظور اللغوي الذي يمثله بشكل اللغوي الفرنسي **أزفالد ديكرو**, أنتقل إلى الحديث عن نوع آخر من الحجج وذلك من وجهة نظر منطقية باعتبار " أن كل العمليات المنطقية اللسانية تساهم بطرق متباينة – بصفة مباشرة أو غير مباشرة – في الانتظام الحجاجي للخطاب "([77]).

فكل علاقة حجاجية تتكون من ثلاثة عناصر: قول الانطلاق (معطيات, مقدمات منطقية), قول الوصول (الخلاصة, الحاصل), وأقوال العبور (الدليل, الحجة, الاقتضاء)([78]).

* **قول الانطلاق**([79]): ويمكن أن نرمز له بالرمز (أ1), يتشكل في صيغة ملفوظ يمثل معطى انطلاق موجها إلى الحث على قبول قول آخر يقوم مقام المبرر لذلك المعطى في حركة معاكسة. فيمكن تسمية قول الانطلاق " معطى أو مقدمة منطقية ".

* **قول الوصول**([80]): ويمكن أن نرمز له بالرمز (أ2), ويمثل ما ينبغي أن يقبل باعتباره ناتجا عن قول الانطلاق(أ1) وعن الرابط الذي يصله به([81]).

* **قول العبور**([82]): إن العبور من (أ1) إلى (أ2) لا يتم بطريقة اعتباطية. بل ينبغي أن ينجز بواسطة قول يبرر الصلة السببية التي توحد بين(أ1) و (أ2). إن هذا القول يمثل كونا من الاعتقاد حول الطريقة التي تتحدد بها الأفعال فيما بينها على مستوى التجربة أو معرفة العالم, فهذا الكون من الاعتقاد ينبغي إذن أن يكون قاسما مشتركا بين الأطراف المحاورة([83]), المنضوية

---

[76] - ينظر: العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص 24.

[77] - باتريك شارودو, المرجع السابق, ص18.

[78] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص18.

[79] - ينظر: نفس المرجع .

[80] - ينظر: نفس المرجع..

[81] - هذا الرابط هو دوما " رابط سببي ", إن القول مقدمة منطقية يمكن هو الآخر أن يتطابق مع خلاصة علاقة حجاجية أخرى؛ فقولك:" السماء زرقاء " مثلا, يمكن أن يكون الخلاصة/ النتيجة لقولك: " صادت الريح السحب " والذي يمكن أن يكون نفسه خلاصة لقولك " هبت الريح " إلخ. لذلك وقع الاحتفاظ بمصطلح " سببية " لتسمية كل علاقة حجاجية. (ينظر:" الحجاج بين النظرية والأسلوب "). هامش الملاحظات ص24. وفي العلاقة السببية تكون بعض الأحداث أسبابا لأحداث أخرى، وبعض المواقف سبب لمواقف أخرى(ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق).

[82] - ينظر: نفس المرجع .

[83] - قد سبق ذكر هذا المبدأ ضمن المبادئ التي يقوم عليها الحجاج.

تحت راية الحجاج, على نحو يظهر فيه دليل على ثبات الصلة التي توحد بين(أ1) و (أ2) والحجة, التي قد ينبغي عليها – من وجهة نظر الفاعل – أن تحث الطرف المحاور أو المرسل إليه على قبول هذا الخبر باعتباره حقا. إن هذا القول (أو سلسلة الأقوال) الذي غالبا ما يكون مسكوتا عنه ومضمرا يمكن أن يسمى **دليلا** و**اقتضاء** أو **حجة** حسب إطار الإشكالية الذي يندرج ضمنه.

ويمكن توضيح ذلك بالمثال التالي:

* (أ1) السماء زرقاء. (أ2) يمكنك أن تقبض مطريتك. "**الاقتضاء**": عندما تكون السماء زرقاء فإن المطر لا ينزل. وعندما لا ينزل المطر لا نجدنا في حاجة إلى مطرية مبسوطة([84]).

وانطلاقا من مفهوم قول العبور يمكننا الإشارة إلى أنه حتى نتمكن من الوصول إلى البنية الحجاجية يجب النظر في مختلف الحجج التي يوظفها المحتج لغاية الإقناع والتأثير في المتلقي.

وقد اعتمدت الباحثة **سامية الدريدي** على ما وصل إليه **برلمان و تيتكاه** في كتابيهما: (**مصنف في الحجاج : الخطابة الجديدة**), الذي بينا فيه أصناف الحجج وأنواعها, وقد حكمت عليه بأنه " تصنيف مقنع يحيط بكل الحجج, ويصعب معه العثور على حجج جديدة لا يمكن إدراجها ضمن هذه الأصناف "([85]). ويمكننا الاعتماد عليه حتى نبين أصناف هذه الحجج, لما تميز به بحثها بالإحاطة والشمول, ولكنني سأعتمده من حيث التصنيف لا من حيث التمثيل, فقد حاولت الباحثة التطبيق على أشعار العرب؛ وهو مقصد بحثها, ولكنني سأحاول جاهدا استبدال نصوص القرآن الكريم بالأبيات التي استشهدت بها, وهذا أمر صعب وعسير يحتاج إلى دراسة مستقلة, ولكنني سأحاول معه قصد الإفادة منه في هذا البحث.

** **الحجج شبه المنطقية**([86]):

وهي ليست حججا منطقية خالصة بل تستند إلى مبدأ منطقي كمبدأ التناقض أو التعدية ...إلخ. ويمكن ردها بيسر لافتقادها اليقين التام، وهي تشبه إلى حد ما الاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية. وهي فرعان:

* **حجج شبه المنطقية تعتمد البنى المنطقية**([87]): وأنواعها: التناقض وعدم الاتفاق, والتماثل والحد في الحجاج, والحجة القائمة على العلاقة التبادلية.

---

[84] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص(22 – 23).
[85] - الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص190.
[86] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص191.
[87] - نفس المرجع, ص192.

– **التناقض وعدم الاتفاق**([88]): ولا يقصد به التناقض الصريح الصارخ وإنما دفع أطروحة ما ببيان أنها لا تتفق مع أخرى. وقد يتخذ المحتج شكلا آخر من الحجاج يقوم على مقابلة مبدأ أو فكرة بنتائجها العملية. وهناك حجة أخرى قد تتصل بهذا المبدأ, حيث يعتمد فيها على حجة الخصم وإثبات تناقضها مع ما يذهب إليه وتسمى " قلب البرهان على صاحبه ". ونجد هذا جليا في قوله تعالى: "قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " فتمني الموت يدل على أن المدعي متيقن بالفوز في الآخرة مما ضمنه بتقديم الأعمال الصالحة التي تجعله مطمئنا فيها, ومادامت الدعوى كاذبة فقد طالبه الله عز وجل بالبرهنة على صدقها, وهذا ما لا يستطيعه, فانقلب البرهان على صاحبه, ولذلك قال الله تعالى معقبا بعدها: " وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ "(**البقرة: 94-95**).

ومثله قوله تعالى: " قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7)(**الجمعة:6 – 7**). وقوله أيضا: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ " (**المائدة: 18**).

– **التماثل والحد في الحجاج**([89]): ونقصد بالحد التعريف حيث تأتي تعريفات المحاج مفتقرة إلى الوضوح والدقة, كقولنا مثلا : " الدنيا هي الدنيا ".

– **الحجة القائمة على العلاقة التبادلية**([90]): يظهر من هذه العلاقة أنها منطقية, لكن حجتها تظل شبه منطقية, لأننا نسند حكما واحدا إلى أمرين ندعي أنهما متماثلان.

* **الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية**([91]): وأهمها:

– **حجة التعدية**([92]): ومثالها قوله تعالى: " كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ "(**الشعراء:105**). نعلم أن نوحا عليه السلام لم يسبق برسول, وأنه لم يرسل في قومه نبي غيره([93])، ومع ذلك حكم الله تعالى على من كذب به فقد كذب بكل الرسل, فالرسل جاءت برسالة واحدة, فمن كذب واحدا

---

[88] - ينظر: نفس المرجع.

[89] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص200.

[90] - ينظر: نفس المرجع, ص201.

[91] - ينظر: نفس المرجع, ص203.

[92] - ينظر: نفس المرجع, ص203.

[93] - هذه مسألة خلافية بين أهل العلم, وقد استدل العلماء على صحة هذا القول بعدة آيات, منها قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا"(**النساء:163**).

منهم تعدى تكذيبه لغيرهم. وأصناف هذه الحجة عديدة؛ كالتساوي, والتفوق والتضمين والاشتمال, وغيرها.

– **حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له**[94]: فما ينطبق على كل جزء من أجزاء الكل ينطبق على الكل، وهذا لا يمكن اعتباره حجة منطقية لأن الأجزاء لا تعبر في كل الحالات بدقة عن الكل.

– **إدماج الجزء في الكل أو حجة الاشتمال**[95]: وفيها أن الحكم الذي يستغرق الكل يستغرق أجزاءه. ومثاله قوله تعالى: " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ "(آل عمران:**144**). وفيها أن محمدا ﷺ رسول كباقي الرسل, الذين كتب الله عليهم الموت, فهو جزء يعمه نفس الحكم الذي يعم الكل.

– **الحجج القائمة على الاحتمال**[96]: كأن نحكم بأن المطلق نادر وأن المحتمل ممكن.

*** الحجج المؤسسة على بنية الواقع**[97]:

وهي الحجج التي تعتمد على التجربة والعلاقات الحاضرة بين الأشياء المكونة للعالم ، فيخرج من خلالها الحجاج من المفترض والتضمين إلى التفسير والتوضيح ونجد فيها:

* **التتابع**[98]: ونجد فيه نوعين من الحجج:

– **الحجة السببية:** وهي الحجة التي تعتمد على تتابع الأحداث محيلة على رابط سببي يصل بينها. ومثاله قوله تعالى: " قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ "(هود:**91**). فقد كذبوه وأعرضوا عنه وعن دعوته, لما استقر في أنفسهم من الإهانة لنبي الله شعيب – عليه السلام –, بسبب ما قدموه من الحجج التي يرونها هي السبب الحقيقي للعزة.

– **الحجة البراغماتية**[99]: وهي الحجة التي تمكن من تقويم قرار أو حدث أو رأي باعتبار نتائجه, سواء أكانت سلبية أم إيجابية. ومثاله قوله تعالى: " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ "(البقرة:**275**). بين الحالة النفسية التي يكون عليها آكل الربا, وهي تشابه حال الذي يتخبطه الشيطان من المس, وقد ذكرت كنتيجة حتى يتقوم بها الفعل.

---

[94] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق,207.
[95] - ينظر: نفس المرجع, ص210.
[96] - ينظر: نفس المرجع, ص213.
[97] - ينظر: نفس المرجع, ص214.
[98] - ينظر:نفس المرجع, ص215.
[99] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص215.

* **الحجة الغائية**([100]): وهي حجة تقوم على فكرة تقول بأن قيمة الشيء تتصل بالغاية التي يكون هذا الشيء وسيلة لها. ونجد فيها عدة حجج: حجة التبذير, حجة الاتجاه, حجة التجاوز. وربما نستطيع أن نمثل لهذا النوع من الحجج بما يعرف في " أصول الفقه " بالقاعدة التي تقرر بأن الوسائل تأخذ حكم المقاصد التي هي غايتها. يقول ابن القيم: " لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها "([101]).

* **حجة التعايش**([102]): ويعمد هذا النوع من الحجج إلى تبيين علاقة الذات بصفاتها, أو علاقة

الشخص بأفعاله, وذلك من خلال تفسير حدث أو موقف معين, أو التنبؤ به انطلاقا من الذات. ومثاله قوله تعالى: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ "(الحجرات:13). فلن ينال الإنسان رتبة الكرامة, عند الله تعالى إلا من اتصفت ذاته بالتقوى, وتلبس بها, وصان نفسه عما يدنسها من المحرمات.

ونجد في هذه الحجة أنواعا من الحجج:

- **حجة الشخص وأعماله**([103]): تقوم على أنه متى اتصلت بشخص ما صفة من الصفات وعرف بها ظلت هذه الصفة معه مدى الحياة. وعادة ما يكون عدم ثبات الشخصية وتطور الظروف داعيا لكسر العلاقة بين الشخص وأفعاله. ومثاله قوله تعالى:" قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ "**(هود:87)**. لقد أراد قومه أن يقيموا عليه الحجة انطلاقا من الصفة التي لازمته طيلة حياته ويعرفونها منه, على أن هذا الذي يدعوهم إليه مخالف للعقل والرشد.

- **حجة السلطة**([104]): وتتمثل هذه الحجة في أن المحاج يحتج لفكرة معينة أو رأي أو موقف بناء على قيمة صاحب هذه الفكرة. ونجد هذا في القرآن كثيرا ما يحتج به المشركون على عبادتهم الأوثان, ويحسبون أنهم قد أقاموا الحجة بعبادة آبائهم لها, ومنه قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا

---

[100] - ينظر: نفس المرجع, ص221.

[101] - ابن قيم الجوزية, محمد بن أبي بكر, إعلام الموقعين عن رب العالمين, تح: مشهور بن حسن آل سلمان, دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ط1, 1423هـ, (342/3).

[102] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص228.

[103] - ينظر: نفس المرجع, ص228.

[104] - ينظر: نفس المرجع, ص233.

إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"(الأنبياء:51-54).

*** الحجج المؤسسة لبنية الواقع**([105]):

وهي الحجج التي يتأسس الواقع وينبني عليها, أو على الأقل تكمله, أو تظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه, أو تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوناته ويكون ذلك من خلال تقنيتين:

* **تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة**([106]): وهي تقوم على اعتماد المثال المفرد المعزول لتعميم الحكم أو الفكرة, ثم ينقل من حالة الانفراد والعزلة إلى الحالة العامة, ويمكن أن نشبهه بالنموذج. وكضرب خاص من المثال حيث يتم فيه توجيه المتلقي وقيادته نحو سلوك أو موقف معين بشرط أن تكون النماذج المختارة جديرة بالتقليد, وأحيانا يضطر المحاج إلى الاحتجاج بالنموذج المضاد, فيتأسس نموذج في الكرم أو في البخل أو في الشجاعة أو الجبن, وهكذا. ونستطيع أن نمثل له بقوله تعالى: " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "(التحريم:11).

* **الاستدلال بواسطة التمثيل**([107]): وهذا النوع من الاحتجاج أقرب الأنواع إلى الشعر, لأنه يقوم على عنصر التخييل, وفيه يكون الاحتجاج لأمر ما عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر, أي تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق التشابه, و من هنا تدخل عناصر التشبيه والاستعارة والتي يمكن أن نطلق عليها عناصر القياس الشعري. و والاستنتاج في القياس مبني على مقدمتين صغرى وكبرى, وأما في الشعر فعادة ما يكون القياس ضمنيا لذلك نجد الاستنتاج في الأخير مبنيا على مقدمتين خفيتين, بشرط أن لا يكون القياس صريحا لأن ذلك يهدم الطاقة الإيحائية للتشبيه والاستعارة، وهنا يتم تناول التشبيه والاستعارة من الجانب الحجاجي الخالص وهما تسعيان إلى التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين مع سعي حثيث لطمس ما بينهما من فروق. ويوجد في القرآن منه الكثير, مع الاختلاف البين بينه وبين الشعر, نظرا لقوة بلاغة القرآن وطريقته الخاصة في الإيحاء, ومثاله قوله تعالى: " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "(لقمان:27). مثلت

---

[105] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص242.

[106] - ينظر: نفس المرجع, ص243.

[107] - ينظر:نفس المرجع, ص252.

هذه الآية الكريمة سعة علم الله عز وجل الذي لا يحاط به, تمثيلا معجزا عليه مسحة جمال تعجز عن الإتيان بها عقول البشرية وهي مجتمعة على عقل رجل واحد.

**** الحجج التي تستدعي القيم**([108]):

وهي حجج لها سلطة يهدف من خلالها المحاج إلى فرض رأي, أو إظهار فرضيات على الخصم التسليم بها باعتبارها حقائق لا لبس فيها بهدف التسليم بها والإذعان لها. فالمحاج يعمد إلى انتقاء قيم معينة بدقة تلائم أهدافه وغاياته, ويثبت مواقفه ويبررها على ضوء ما اختاره, فيرفض فكرة غيره بحجة مخالفتها لقيمه التي يتبناها. والقيم أنواع, منها:

* **القيم الكونية**([109]): وهي قيم يتخذها المحاج خلفيات ومراجع يستند إليها, وتكون مسلم بها بين جميع العقلاء كقيم: الحق, الخير, الجمال ...إلخ. ومثاله قوله تعالى: " قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ "(يوسف:31). شغفت امرأة العزيز بحب يوسف – عليه السلام – إلى درجة الفتنة التي لم تستطع أن تتمالك نفسها أمامها, حتى جهرت برغبتها بحضرة النسوة, ولم تأبه بمرتبة الملكة, وكأن الخضوع لهذا الجمال قيمة مسلم بها لدى الجميع, وهذا ما لمسته فعلا في المجتمع المتفسخ المحيط بها والمتمثل في نساء وجهاء القوم اللواتي كن عندها.

* **قيم مجردة:** و هي قيم تتفق عليها فئة معينة من الناس ويلتزمون بتطبيقها أو على الأقل يحرصون على احترامها.

* **قيم محسوسة:** وهي قيم توجه الفعل وتقيد السلوك, وهي ملاحظة متحققة في الواقع, كقيمة: النظام, الصدق, الأمانة, التقوى, الاستقامة ...إلخ.

**** الحجج التي تستدعي المشترك**([110]):

وهي قيم تجمع معارف مشتركة بين المتلقين يتم الاتفاق حولها، وقد سماها أرسطو في كتابه: " المواضع المشتركة "، وأشار إليها " دكلارك " في : " فن الحجاج "، وابن رشد في : " تلخيص الخطابة ". وهي تمثل ضربا من العلاقة بين الواقع والمنطق. وقد يشمل هذا المشترك: المثال والحكم والأساطير والحكايات الشعبية وغيرها. ولعل أكثر شيء شيوعا هو المثل، حيث أن طاقته الحجاجية تقوم على القياس: قياس حالة حاضرة على أخرى مشابهة يعرفها الجميع

---

[108] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص270.

[109] - ينظر: نفس المرجع, ص271.

[110] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص287.

وهي قائمة على علاقة الإيهام. ومثاله قوله تعالى:" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "(العنكبوت:41).

خامسا:العلاقات الحجاجية:

وبعد ذكر الحجج وأنواعها, يجب علينا أن نتعرف على العلاقات التي يمكن أن تربط هذه الحجج فيما بينها, أو تربط مفاصل الكلام داخل النص الحجاجي, أو بالأحرى معرفة فكر المحاج من خلال معرفة العلاقات التي يعتمدها في بناء وربط أفكاره في العملية الحجاجية. وأهم هذه العلاقات:

* **علاقة التتابع**([111]): إن الاستدلال في عمومه يسمح بالربط بين فرضيات وقضايا متعددة, وهو عملية تسمح بالجمع بين الحديث ومستتبعاته، أو بين الفعل ونتائجه، أو بين الأقوال السابقة والأقوال اللاحقة. و يمكن أن نحتج في العلاقة التتابعية بتقرير تتابع مستمر في الأحداث ويكون هذا التتابع على مستويين:

– **مستوى الأحداث:** ويدخل في هذا المستوى من أنواع الحجج التي سبق ذكرها: الحجج المؤسسة على بنية الواقع أو المؤسسة لبنية الواقع.

– **مستوى القضايا والأفكار:** وفي هذا المستوى تدخل الحجج شبه المنطقية.

* **العلاقة السببية**([112]): وهي ضرب من العلاقات التتابعية, يجعل فيه المحاج بعض الأحداث سببا لأحداث أخرى، وموقفا معينا سببا لموقف آخر.

* **علاقة الاقتضاء**([113]): وهي علاقة تربط الحجة بالنتيجة المرصودة لذلك الخطاب, بحيث تجعل الحجة تقتضي النتيجة والعكس وهذا ما ينتج تلازما بينهما، وأكثر الأدوات التي تستدعي الاقتضاء: أدوات الشرط. وقد نربط بين الحجة والنتيجة في غير التركيب الشرطي أيضا.

* **علاقة الاستنتاج**([114]): وهي علاقة منطقية, تعبر عن فن الانتقال من فكرة إلى فكرة أخرى بشكل منظم وميسر, ويرمز لها بـــ : (أ) إذن (ب).

ولا يمكن أن تنحصر العلاقة الاستنتاجية في التركيب المشار إليه فقط, إذ يمكن التعبير عنها بـــ: إذا (أ) ف (ب), أو (ب) باعتبار (أ), أو (ب) فعلا (أ). فقد ذهب **ديكرو**

---

[111] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص321.
[112] - ينظر: نفس المرجع, ص327.
[113] - ينظر: نفس المرجع, ص335.
[114] - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص23, والدريدي, سامية, المرجع السابق, ص339.

إلى أنه : إذا (أ) ف(ب) تفترض وجود رابط تضميني, وهو أن يتواتر استعماله لتوضيح طبيعة هذا الرابط.

* **علاقة التناقض أو عدم الاتفاق**[115]: وهي علاقة ذات خلفية منطقية, يتم فيها دفع أمر بإثبات تناقضه مع نتيجة الخطاب.

سادسا: الأساليب الحجاجية:

بعد الحديث عن الحجج وبنيتها والعلاقات التي تربطها فيما بينها, يمكننا الإشارة إلى أهم الأساليب التي يسلكها المحاج في بناء العملية الحجاجية. وهذا ما أطلق عليه **باتريك شارودو** مصطلح: أساليب المنطق الحجاجي وأشكال البرهنة, وهي محصورة عنده في خمسة أساليب, سأذكرها مختصرة, مع تفصيل القول فيما يجب التفصيل فيه[116]:

1- الاستنتاج[117]:

وهو شكل من أشكال البرهنة, يقوم على قضية (أ1) ليصل إلى الخلاصة (أ2), وهي التتمة أو الحاصل والتأثير, وفي الاستنتاج يكون(أ1) أصل (أ2), وهما في علاقة سببية موجهة من السبب إلى النتيجة. وللاستنتاج عدة نماذج:

* **الاستنتاج عن طريق القياس المنطقي:** وقد سبق ذكره

* **الاستنتاج الذرائعي:** يتوفر هذا النوع على مغزى **التخصيص**, كقولك: منعوني من الكلام إذن أنا لا أتكلم.

* **الاستنتاج الحسابي:** يتوفر هذا النوع على مغزى من **الفرضية** يتجه إلى أن يصبح **تعميما**, كقولك : كانت الأمور تسير هكذا على أحسن ما يرام, إذن ينبغي أن تواصل على هذا النحو.

* **الاستنتاج الشرطي:** ويتوفر هذا النوع على مغزى من **الفرضية** يمكن أن يأتلف مع ضرب من **التعميم** أو **التخصيص**, كقولك: إن تنه عملك, يصبح من الممكن ذهابك إلى المتنزه.

2- الشرح[118]:

---

115 - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص344.
116 - ينظر: باتريك شارودو, نفس المرجع, ص36.
117 - نفس المرجع, ص36.
118 - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص40.

وهو شكل من البرهنة مماثل لسابقه, يعتمد على(أ1) كي يصل إلى الخلاصة (أ2), لكن هذه المرة (أ2) يمثل الأصل والحافز والعلة, وأما (أ1) فهو يمثل نتيجة (أ2). وله عدة نماذج:

* **الشرح عن طريق القياس المنطقي:** ويتحدد كسابقه.

* **الشرح الذرائعي:** ويكون السبب فيه:

– دقيقا أو ظرفيا أو مؤقتا: كقولك: غادرت لأنهم أغلقوا في وجهي الباب.

– رغبة أو شعورا أو حالة نفسية: كقولك: لا آكل لأن الرغبة في الأكل تعوزني.

– تجربة شخصية: كقولك: أعرف أخلاقه لأنه صديقي.

* **الشرح الحسابي:** ونجد في هذا النوع البرهنة عن طريق **الاستنتاج التعميمي**, وعن طريق **معطى سابق**, وذلك بالعودة إلى السبب.

* **الشرح الفرضي:** وهذا ليس مماثلا للاستنتاج إلا فيما اتصل بالبرهنة عن طريق الفرضية على وجه التحديد, بما أن الأمر يتعلق بالتسليم بأن السبب هو الذي يشكل موضوع الافتراض. كقولك: لم أعر الحركة التي قام بها اهتماما ولعل ذلك راجع إلى اعتقادي أنه لم يكن يقصد ذلك.

3- التجميع[119]:

وتتمثل خاصيته في الجمع بين(أ1) و (أ2) في علاقة التضاد أو التقابل.

– **تجميع الأضداد:** وهذا الشكل من البرهنة يتمثل عادة في " **استخدام المفارقات** ", وربما وجب الغض منه كأسلوب حجاجي لأنه لا يستجيب لقاعدة: " **عدم التناقض** ", لذلك نجده في نماذج النصوص التي تكون نهايتها الإستراتيجية قائمة على الإغراء أكثر منه على الإقناع.

– **تجميع المتطابق:** غالبا ما يتسم هذا الشكل من البرهنة بالحشو والإطناب, إلا في حالة كون العبارات المستعملة قد وضعت في علاقة تبين وجود مدلولات مختلفة من نفس الدال, ففي قولك: " **فرنسا** ليست أبدا في مقدار **فرنسا** إلا عندما تكون **هي نفسها** ". تجد أن (فرنسا) الأولى تعني: البلد وسكانه, والثانية تعني: القيمة الرمزية لهذا البلد, والثالثة تعني: أصالة هذا البلد والوفاء لقيمه.

4- الاختيار التعاقبي[120]:

---

119 - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص42.

120 - ينظر: باتريك شارودو, المرجع السابق, ص44.

وهو الذي نضع فيه علاقتين حجاجيتين في تقابل (أ1ــ أ2 و أَ1ــ أَ2) ويترك إمكانية الاختيار بين الاثنتين أو التنافر الذي قد ينتج عن الوصل بينهما.

مثاله: " إما أن تكون حكما أو أن تكون خصما ولكن لا يمكن أن تكون الاثنين معا ".

(أ1 ــ أ2) إن أنت حكم فإنك تحكم.

(أَ1 ــ أَ2) إن أنت خصم فإنك تدافع.

5- التنازل الحصري([121]):

ويتمثل هذا الشكل من البرهنة في قبول (أ1) وتقديمه على أنه حق, ولكن يمكن الاعتراض على قدرته على الوصول إلى الخلاصة المقترحة أو المضمرة. ونجد هذا الشكل يستعمل في مقامات التبادل الجدلي الذي ننسب فيه بعض الأقوال إلى الطرف الآخر كي يتسنى الطعن فيها على نحو أفضل أو تصحيحها. ومثاله ما يمكن أن نسمعه في تصريحات رجال السياسة المعارضة للحكومات, كقول أحدهم: " كنت أعترف أن الحكومة سبق وأن بذلت مجهودا بخصوص التصدي للتلوث, ولكن يبقى الكثير مما لم ينجز .. "([122]).

6- الحجاج المغالط([123]):

الحجاج المغالط هو تضليل الخصم باستخدام مختلف الدسائس التي تمكن صاحبه من صرفه عن الهدف الحقيقي، والمغالِطُ شخص يقوم بتلبيس الكذب صفة الصدق والباطل صفة الحق. وقد يكون مطالبا أو يكون مجيبا. وقوام الحجاج المغالط سبل تمويهية وتغليطية؛ الهدف منها إبطال كل ما يبتغي المجيب حفظه, أو حفظ كل ما يستهدف السائل إبطاله؛ عبر سوق الخصم إلى الكذب والباطل. وغالبا ما يستند المغالط في ذلك إلى مسالك تقوم على التحريف والتلبيس والتعتيم والكتمان والكذب والمكر، وغيرها من المسالك التي تيسر له تحصيل ما يروم إليه([124]).

---

[121] - ينظر: نفس المرجع, ص46.

[122] - نفس المرجع. ص48.

[123] - ينظر: الراضي, رشيد, الحجاج والمغالطة, دار الكتاب الجديد, بيروت, لبنان, ط1, 2010م, ص ص(85-110). و الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص ص (129- 139).

[124] - ينظر: الراضي, رشيد, المرجع السابق, ص ص85-110. والدريدي, سامية, المرجع السابق, ص ص (129- 139).

قد يتبع المغالط مسالك تدليلية تضليلية وتمويهية تعود إلى الصورة أو المضمون أوهما معا. فيكون التضليل ناتجا إما عن مضمون الأقوال، بحيث يقدمها المغالط على أنها صادقة، لكن الأمر ليس كذلك حقيقة؛ وقد يعود إلى طريقة التدليل على الدعوى فيوهم خصمه بأنه التزم بطرق تدليلية منطقية صارمة ودقيقة، في حين أن الأمر كذلك ظاهريا فقط و ليس حقيقة.

وإذا أمعنا النظر جيدا في بعض أنواع الحجاج وجدناها ليست تغليطية في حد ذاتها، بل استخدامها بطرق غير مشروعة واعتمادها من قبل أشخاص معينين في ظروف خاصة هو القابل لجعلها كذلك. وهذا سلوك متبع من قبل المغالط الذي يعمد فيه إلى استخدام أساليب تستند إلى القوة والعنف والإكراه والاستهواء والاستمالة والاستدراج وغيرها من السلوكيات, التي تترك جانب الحجة المقنعة لتعمد إلى طرق غير مشروعة تنبني على الترغيب والترهيب والوعد والوعيد([125]).

وقد يوهم المغالط المتلقي بأن خطابه يستند إلى مقدمات محمودة ومشهورة دون أن يكون الأمر كذلك حقيقة,ذلك أن قوله هذا يتكون من مقدمات ذائعة أو مسلمة ظاهريا دون أن تكون كذلك حقيقة، بل يروم صاحبها تضليل خصمه للظفر به. وهذا ما يعرف بالقياس السوفسطائي, وهو يتألف من مقدمات وهمية كاذبة؛ تكون إما شبيهة بالحقيقة لكنها ليست كذلك، أو شبيهة بالمشهورة دون أن تكون كذلك. كقولك مثلا: كل ميت يجب دفنه, والحجر ميت, فيلزم منه: أن الحجر يجب دفنه.

ونتيجة هذا: أن من القياس ما هو قياس حقيقة, ومنه ما هو مضلل ومغالط.

ويعتمد المغالط في طريق مناظرته سبيلان: أحدهما يعتمد فيه على اللغة ومكوناتها, والآخر يعتمد فيه على الأحوال الخارجية التي لا علاقة لها بلغة الخطاب.

أ) سبيل التغليط بالأقوال اللغوية([126]):

يلجأ المغالط إلى استعمال مختلف الأساليب التضليلية والتدليسية الممكنة لتغليط خصمه, سواء من جهة اللفظ, أو من جهة المعنى, أو من جهة سبل التدليل, وربما استعملها كلها مجتمعة. وهو ما يمكنه من استغلال كل الفرص المتاحة أمامه لسوق خصمه إلى الغلط.

وللناس في ذلك حيل وتلبيسات, من لم يعرفها لا يمكنه الاحتراز منها, فيسقط من حيث لا يعلم. كأن يحتال لخصمه بدعوى التعمق في العبارة, حتى لا يفهم الخصم من كلامه إلا القليل

---

[125] - ينظر: الراضي, رشيد, المرجع السابق, ص ص(85-110).

[126] - ينظر: نفس المرجع, ص ص(85-110). الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص ص (129- 139).

لكثرة ما فيه من شبهة وغموض. أو أن يحتال المسؤول على السائل فيخرجه عن سؤاله، أو يحتال السائل على المسؤول فيخرجه عن جوابه، إلى غير ذلك من السبل المغلطة التي قد يستغلها أحدهما لإخراج الآخر عن مقاصد الخطاب([127]).

وفي هذا المقام نشير إلى أن اللفظ قد يكون غير مغلط في الأصل, لكن المغالط يستخدمه بطريقة تمكنه من التمويه والتضليل. وقد يقع التغليط من جهة اللفظ مفردا كان أو مركبا. لذلك يشترط أن يفهم كل من السائل والمجيب معنى واحدا من اللفظ المستعمل حتى تكون دلالته عندهما واحدة. ومتى حرفت الألفاظ أو بدلت أفضت إلى الشبهة والعجز في الإدراك والفهم([128]).

ويستند المغالط في فعلته هذه إلى آليات تغليطية, يضفي عليها صفة الحق أو المشهور, حتى يُظهر حجاجا غير سليم بأنه سليم, اعتمادا على مقومات تتعلق بالدرجة الأولى باللغة من خلال خصائصها التركيبية والدلالية و التداولية. أضف إلى ذلك إمكان استغلاله لمجموعة من الظواهر التي تيسر له هذا الأمر، مثل الاستعارة, والتشبيه, والإحالة الذاتية, وقابلية انعكاس ألفاظ اللغة الطبيعية، وغيرها من الظواهر القابلة بجعل صور الشبهة تتعدد وتتكاثر أمام المتلقي. فقد يتوسطها لطمس الحق وطيه، أو خلطها بالباطل، أو استغلال المتشابه قصد النيل من المحكم، وغير ذلك من السبل التي تكشف عن نيته المبيتة. بحيث لا يتخلف عن استغلال كل ما توفره اللغة من إمكانات قصد استدراج المخاطب واستمالته, وبالتالي تغليطه([129]).

بالإضافة إلى المغالطات التي قد تقع من جهة اللفظ أومن جهة المعنى أوهما معا، هناك تمويهات وتضليلات تخص طرق البناء والتدليل. وفيها يستند المغالط إلى أساليب عدة, يوهم خصمه من خلالها بأنه رتب أدلته, وفق طرق منطقية دقيقة ومضبوطة, دون أن يكون الأمر كذلك حقيقة. فقد يعمد إلى طي محل الكذب عن السامع، أو يجعل المقدم تاليا, أو التالي مقدما، أو بإيهامه بأنه بنى القياس على مقدمات صادقة أو مشهورة, دون أن يكون الأمر كذلك حقيقة، أو بأن يعمد إلى خرق شروط القياس, كأن لا يكون الحد الأوسط واحدا في المقدمتين، أو أن معناه يختلف من مقدمة لأخرى، أو يجعل أحد الطرفين في مقدمة ما غيره في مقدمة أخرى أو في النتيجة، أو أن يقوم بترتيب المقدمات بشكل لا يراعي شروط اللازم والملزوم، أو أن ينقل ما هو صحيح بطريقة القياس فيقدمه وكأنه كذلك استقرائيا، أو العكس، أو أن يعمد إلى استحضار التقابل

---

[127] - ينظر: الدريدي, سامية, نفس المرجع, ص ص (129- 139).
[128] - ينظر: الراضي, رشيد, المرجع السابق, ص101.
[129] - ينظر: الراضي, رشيد, المرجع السابق, 105.

بين القضايا فيقدمه بشكل مغلوط، إلخ. والغاية من كل ذلك هو بناء صور فاسدة يهدف من ورائها إلى تضليل المخاطب ومن ثم سوقه إلى الغلط([130]).

ب) سبيل التغليط بالأحوال (خارج لغوية):

لقد تعددت مسالك التضليل والتمويه الخاصة بطرق التدليل, وهي تعود أساسا إلى طبيعة الموضوع, أو إلى وجود تباين بين مقصود المتكلم ومفهوم المخاطب, فقد يختلف المتناظران ويشتد النزاع بينهما, نظرا إلى أن موضوع الدعوى لم يعلم بالتعيين ولم يحدد بالضبط، أو أن يكون أحدهما جاهلا بالموضوع، ومع ذلك يتمادى في النظر فيه وعدم الاعتراف بجهله، أو أن يقع نظر أحدهما على ما لم يقع عليه نظر الآخر، فيبني حكمه على ما وقع عليه نظره, مخالفا بذلك ما وقع عليه نظر الآخر، وقد يكون أحدهما على يقين من أمره بدليل قاطع ويعمل على جعل غيره يصل إلى الحقيقة، لكن الآخر يعاند فيضلل([131]).

وقد يتخذ التضليل في مثل هذه الحالات أوجها عدة، منها أن يقوم أحدهما بتحريف كلام خصمه وإخراجه عن سياقه، أو أن يستهزئ منه ويستصغره، أو يعمد إلى إثارة قضايا شخصية بهدف تجريحه والنيل منه،إلخ. وغالبا ما يقوم في مثل هذه الحالة بالتهجم المباشر على الشخص, من خلال التنقيص من كفاءته والطعن في سلوكياته والتشكيك في معتقداته واستحضار ماضيه، وما إلى ذلك.

ويمكننا رد عدم فهم معاني الخطاب بسبب التضليل والتدليس, والذي يقصده المغالط باعتماده على العوامل اللغوية وخارج ــ لغوية, إلى أحد الأسباب التالية([132]):

ــ اختلاف المقاصد: إن تباين المقاصد وعدم تحديدها بشكل واضح ومحدد, يؤدي إلى عدم الفهم. وقد يتم استظهار هذا الاختلاف أو استبطانه.

ــ علة في الكلام: وقد يعود عدم الفهم إلى التباس تركيبي أو غموض دلالي أو شبهة تداولية. فقد يكون أحد هذه المستويات مانعا للفهم، كأن تكون العبارة غير سليمة التركيب، أو أن يكون هناك تقصير في الفهم يعود إلى طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، أو إلى غياب أحد المقتضيات الخاصة بالأحوال، كأن يستدعي مقام الكلام اعتبارات خاصة لا يشترك فيها مع غيره.

---

130 - نفس المرجع.

131 - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص ص (129- 139).

132 - ينظر: الراضي, رشيد, المرجع السابق, 105.

ــ علة في المتكلم أو السامع أوهما معا: متى خرج أحدهما على الأقل عن أحد ضوابط الحوار المشروع, تعطل المراد الحقيقي. وقد يستغل موقعه إن كان سائلا لكي لا يجعل سؤاله إلى المخاطب على وضع محدد, أما إن كان مجيبا فقد يرتب حججه بطريقة تخل بالمقصود ويخلط الكلام بما لا ينفع ليضيع على المخاطب عملية الفهم([133]).

سابعا: الروابط والعوامل الحجاجية:

لما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية, وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج. فاللغة العربية مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية. ونذكر من هذه الأدوات: **لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما...إلا....**إلخ. ويتمثل دور الرابط في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة، لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية ([134]).

1- الروابط الحجاجية: هي " جملة الأدوات التي توفرها اللغة للربط بين مفاصل الكلام وأجزائه فتأسس عندها العلاقة الحجاجية "([135]). وهي تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: **بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن ...** إلخ.

وهناك أنماط عديدة من الروابط منها([136]):

- روابط مدرجة للحجج: مثل (**حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...**).
- روابط مدرجة للنتائج: مثل (**إذن، لهذا، وبالتالي.....**).
- روابط تدرج حججا قوية: مثل (**حتى ، بل، لكن، لاسيما...**).
- روابط تدرج حججا ضعيفة.
- روابط التعارض الحجاجي: مثل (**بل، لكن، مع ذلك...**).
- روابط التساوق الحجاجي: مثل (**حتى، لاسيما**).

وقد يكون للرابط الواحد عدة وظائف حسب السياق الذي يكون فيه.

---

133 - ينظر: الراضي, رشيد, المرجع السابق, ص ص(85-110). الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص ص (129- 139).
134 - العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص(26-27).
135 - الدريدي, سامية, المرجع سابق, ص344.
136 - ينظر: العزاوي, أبو بكر, نفس المرجع, ص ص(26-27).

وسنشير إلى أهم هذه الروابط ودلالاتها, حسب استعمالها ووظيفتها داخل النص الحجاجي, وأهمها([137]):

لكن وحتى وبل، وهي روابط تشترك مع بعضها في إثبات القطع مع سابقها أو نفيه وإثباته لما لحقها أو تأكيده، وهي توحي بالخلاف وتحيل على حجة عدم الاتفاق. وهذه معانيها متفرقة([138]):

* **لكن:** متى توسطت دليلين باعتبارها رابطا حجاجيا جعلت ما بعدها أقوى مما قبلها فتكون للاحق الغلبة المطلقة وتكون النتيجة بعد الدليل الثاني هي مبتغى القول.

* **حتى:** وهي ليست **حتى** التعليلية أو التي تفيد انتهاء الغاية, بل التي تفيد الجمع بين حجتين أو ثلاثة, وتخدم مجتمعة نتيجة واحدة, وهي تعتمد على شروطا ثلاثة :

– أن الذي يسبق **حتى** يشكل حجة لفائدة نتيجة معينة .

– أن الذي يسبق **حتى** والذي يليها يشتركان في الوجهة الحجاجية.

– أن يمثل ما يليها إضافة من حيث الطاقة الحجاجية دون أن يكون هو الأقوى مما يسمح بإمكانية تغيير مكان الدليلين.

– **بل:** لا يختلف الرابط الحجاجي **بل** عن **لكن** من حيث أنه يتوسط دليلين أو يربط بينهما, وهو رابط يستعمل للإبطال والحجاج مثله مثل **لكن,** والفرق بينهما من جهة الرابط **لكن** الذي يكون فيه التفاضل بين دليلين يخدمان نفس النتيجة, بينما **بل** تنفي الأول وتقصيه. وله حالان([139]):

* أن يقع بعده مفرد, ويتقدمه أمر أو إيجاب, فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه, ولا يحكم عليه بشيء, ويثبت الحكم لما بعده. وأما إن تقدمه نهي أو نفي, فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده.

* أن يقع بعده جملة فيكون حينها معنى الإضراب:

أ) إما الإبطال نحو قوله تعالى: " أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ". (المؤمنون 70).

ب) وإما الانتقال من غرض إلى غرض نحو قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ". (الأعلى 14–16). وهذا ما يعرف عند النحاة بعبارة " الإضراب على جهة الترك من غير إبطال " أو" ترك شيء من الكلام والأخذ في غيره "([140]).

---

[137] - ينظر: الدريدي, سامية, المرجع سابق, ص356.

[138] - نفس المرجع.

[139] - ينظر: العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص60.

[140] - العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص62.

2- العوامل الحجاجية:

وهي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما, وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: **ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا ، ما...إلا، وجل أدوات القصر**([141]).

وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا لقيام علاقتها, فلابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، وهذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية, التي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي. هذه المبادئ هي قواعد لها خصائص عديدة، نذكر منها على سبيل الاختصار ما يلي([142]):

* **العمومية:** فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة .

* **التدرجية:** إنها تقيم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سلمين حجاجيين.

* **النسبية:** فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه, باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له.

" فالمبادئ الحجاجية إذن، هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها. فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يستدعي الراحة، (...) والكل يقبل أيضا أن انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا. وبعض هذه المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم "([143]).

ثامنا: فن المناظرات:

المناظرة فن من فنون الأدب, له جذوره وأصوله التي يرجع إليها, ولقد عرف منذ القديم في الدراسات الأدبية العربية, ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الأدب القديم إلا وذكرت فيه مناظرة أو أكثر, وخاصة تلك الكتب التي كتبت في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ومع توجه العديد من الدارسين اليوم إلى دراسة أهم النظريات اللغوية الجديدة, إلا أننا نجد إقبالهم على دراسة هذا الفن ضئيلا إذا ما قوبل بقيمة الفن من جهة, وبخطورته من جهة أخرى,

---

[141] - ينظر: نفس المرجع, ص27.

[142] - ينظر: نفس المرجع, ص31.

[143] - العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص33.

هذه الأخيرة التي ترجع إلى قيمة الفكر العربي الذي أصل لطرائق الجدل وقعد لمناهج المباحثة, بقدر لم يسبق إليه مع قلته, وذلك من خلال محاولة استقراء تام لمجالس المناظرة التي زخر بها الأدب العربي, ثم المرور بعدها لمرحلة تقعيد القواعد وتأصيل النظريات.

ولقد بات من الضروري للباحث العربي أن يعيد دراسة موروثه الأدبي, وفق منهج التحليل والمقارنة مع باقي النظريات الغربية الحديثة, حتى يتسنى له كشف كثير من الجوانب التي يدعي فيها الدارسون قصب السبق, بينما هي مؤصلة في تراثنا منذ دهور, وقد تطرق إليها علماؤنا بالبحث منذ أزمان, لكنها تنتظر من يزيل الغشاوة عنها, ويخرجها من كهوف النسيان. ولا حرج بعد ذلك من الاستفادة مما توصلت إليها تلك النظريات الغربية, والاستعانة الواعية بها لقراءة تراثنا بقراءات متعددة في ضوء ما استحدث من مناهج متنوعة.

ولمحاولة تكميل جانب البحث, كان لزاما علي أن أبين مفهوم المناظرة, وما يتعلق به من تفريعات وتقسيمات, قصد الوصول إلى معرفة بنيته التي يتميز بها.

1- تعريف المناظرة:

أ) المناظرة في اللغة:

قال ابن فارس: " النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تَأَملُ الشيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ ثُم يُستَعارُ وَيُتسَعُ فِيهِ "([144]).

وقال الرازي: " (ن ظ ر) النَّظَر والنَّظَرَانُ بفتحتين تَأَمُّل الشَّيْءِ بالعَيْن. وقد نَظَر إلى الشَّيْءِ. والنَّظَر أيضاً الانتِظار يقال منهما نَظَره يَنْظُره بالضم نَظَراً"([145]).

وقال ابن منظور:" (نظر) النَّظَر حِسُّ العين. وتقول: نَظَرت إِلى كذا وكذا مِنْ نَظَر العين ونَظَر القلب. النَّظَر: تأَمُّل الشيء بالعين وكذلك النَّظَرانُ بالتحريك. تقول العرب: دُور آل فلان تنظُر إِلى دُور آل فلان أَي هي بإِزائها ومقابِلَةٌ لها (...) وتَناظَرَتِ الدَّارانِ: تقابلتا. ونَظَرَ إِليك الجبلُ قابلك. والنَّظَرُ: الانتظار. ويقال: نَظَرْتُ فلاناً وانْتَظَرْتُه بمعنى واحد, فإِذا قلت: انْتَظَرْتُ, فلم يُجاوِزْك فعلك, فمعناه: وقفت وتمهلت, ومنه قوله تعالى:" انْظُرُونا نَقْتَبِسْ من نُوركم".(الحديد:13), قرئ: انْظُرُونا, وأَنْظِرُونا بقطع الأَلف, فمن قرأَ: انْظُرُونا بضم الأَلف, فمعناه: انْتَظِرُونا, ومن قرأَ: أَنْظِرُونا, فمعناه: أَخِّرُونا. وإِذا قلت: نَظَرْتُ إِليه لم يكن إِلا بالعين. وإِذا

---

[144] - ابن فارس, أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني, معجم مقاييس اللغة, تح: عبد السلام هارون, مادة (نظر).
[145] - الرازي, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر, مختار الصحاح, دار الحديث, القاهرة, مصر, 2008م, مادة (نظر).

قلت: نظرت في الأَمر احتمل أَن يكون تَفَكُّراً فيه وتدبراً بالقلب. والنَّظَرُ: الفكر في الشيء تُقَدِّره وتقيسه منك. والتَّناظُرُ: التَّراوُضُ في الأَمر. ونَظِيرُك الذي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ. وناظَرَه من المُناظَرَة (...) ويقال: ناظَرْت فلاناً, أَي صِرْتُ نظيراً له في المخاطبة, وناظَرْتُ فلاناً بفلان أَي جعلته نَظِيراً له"([146]).

من خلال هذه الإطلالة على وجوه الدلالات اللغوية لكلمة مناظرة, نجد أنها ترجع إلى جذر الكلمة (نظر) الذي يطلق عند العرب على:

1- حِسُّ العين. والنظر إلى الشيء : معاينته وتأمله بالعين. ومنه قوله تعالى: " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ "(**القيامة: 22- 23**). أي مبصرة بعينيها([147]). وهذا نظر حسي.

2- الفكر في الشيء تُقَدِّره. نظرت إلى كذا : من نظر القلب, وهو نظر معنوي بمعنى التأمل والتدبر والتفكر, ومنه قوله تعالى : " أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ "(**الأعراف : 185**). قال ابن عاشور: " عُدِّي فعل (النظر) إلى متعلَّقه بحرف الظرفية، لأن المراد التأمل بتدبر، وهو التفكر (...) فدل بحرف الظرفية على أن هذا التفكر عميق متغلغل في أصناف الموجودات "([148]).

3- الانتظار والتأخير والتمهل, ومنه قوله تعالى :" يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ "(**الحديد: 13**). (انْظُرُونَا) بمعنى انتظرونا. "وذكر الفرّاء أن العرب تقول: أنظرني وهم يريدون: انتظرني قليلا" ([149]). وقوله أيضا:" قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ "(**الأعراف : 14- 15**). بمعنى: أخرني([150]).

4- النَّظَر: التقابل, تقول العرب: دُور آل فلان تنظُر إِلى دُور آل فلان أَي هي بإِزائها ومقابِلَةٌ لها. وتَناظَرَتِ الدَّارانِ: تقابلتا. ونَظَرَ إِليك الجبلُ قابلك.

ب) المناظرة في الاصطلاح:

وعرف العلماء المناظرة من الناحية الاصطلاحية بأنها: " النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب "([151]). أو " تردد الكلام بين الشّخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ليظهر الحق "([152]).

---

[146] - ابن منظور, المصدر السابق, (215/5)

[147] - ينظر: ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر, تفسير القرآن العظيم, دار ابن حزم, بيروت, ط1, 2002م, 3004/4.

[148] - بن عاشور, الطاهر, المصدر السابق.(28/6).

[149] - الطبري, المصدر السابق, (180/23).

[150] - نفس المصدر.

[151] - الشريف الجرجاني, علي بن محمد بن علي, التعريفات, ت: محمد صديق المنشاوي, ص76.

من خلال هذين التعريفين نستطيع القول بأن أساس المناظرة: طرفان يتحاوران حول موضوع بينهما, لكل منهما فيه وجهة نظر خاصة يحاول أن يثبت صحتها, ويدحض وجهة نظر الطرف الذي يقابله. وهذا ما ذهب إليه " **الميداني** " في قوله: " المناظرة: هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر تخالف وجهة نظر الفريق الآخر, فهو يحاول إثبات وجهة نظره لخصمه, مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره "([153]).

ومع أن هذه التعريفات قد حاولت تغطية جانبا من المعنى, إلا أنها أغفلت شيئا مهما فيه, وهو هذا الخطاب الناتج عن الفريقين, الذي يسعى فيه كل منهما إلى النهوض برأيه وإسقاط رأي غيره, في حين أن هذا شيء لا يتم إلا بالبراعة في تقديم الحجج والبراهين والأدلة, وطرق استعراضها, وأساليب طرحها.

ولما تكلم **ابن خلدون** في مقدمته عن الجدل, لم يغفل باب المناظرة باعتباره بابا مهما في الفكر البشري عموما, والإسلامي على وجه الخصوص, وقد عرف الجدل بأنه: " معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب، في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره "([154]), وهذا التعريف عنده يتمم مفهوم المناظرة الواسع الذي بينه في قوله: "لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج. ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال ". وجعل للمناظرة طريقين باعتبار نوع الأدلة التي تقوم عليها, ونسب كل طريقة لأول من وضع أسسها, وهي:" طريقتان: طريقة **البزدوي**([155])، وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال، وطريقة **العميدي**([156])، وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان"([157]).

وفي كلام ابن خلدون هذا زيادة إشارة إلى طرق الاستدلال وأنواع الحجج والبراهين.

---

[152] - الميداني, عبد الرحمن حبنكة, المرجع السابق , ص371.

[153] - نفس المرجع.

[154] - ابن خلدون, عبد الرحمن ابن خلدون المغربي, تاريخ ابن خلدون, دار إحياء التراث العربي, بيروت, لبنان, ط4, 457/1.

[155] - البزدوي: علي بن محمد أبو الحسن، فخر الإسلام الحنفي البزدوي, فقيه أصولي, شيخ الحنفية وأستاذ الأئمة، وله التصانيف الجليلة, توفي في حدود (480هـ).

[156] - العميدي: العلامة ركن الدين أبو حامد محمد بن محمد، العميدي السمرقندي الحنفي, كان إماما في فن الخلاف والجدل والنظر, من كتبه (النفائس) و(الطريقة العميدية) و(الإرشاد) وغيرها, توفي سنة (615هـ).

[157] - ابن خلدون, نفس المصدر.

وحتى نصل إلى مفهوم واضح للمناظرة يجب أن نسلط الضوء على كامل الأجزاء التي تشترك فيما بينها لتكوينه. فكما أشارت التعريفات الأولى إلى الأطراف المنتجة لنص المناظرة, وطرق الاستدلال فيها, هناك تعريفات أخرى أشارت إلى المناظرة باعتبارها: " بنية نصية واحدة – من حيث الشكل – ولكنها تحتوي خطابين متباينين يتبادلان الأدوار الكلامية، ينتمي كل منهما إلى أحد الطرفين المتناظرين, وينمو النص ويتوالد بفعل تبادل الأدوار الكلامية بين الطرفين, حسب قانون الفعل ورد الفعل. وتعتمد المناظرة المحاجة والاستدلال والتمثيل والاستشهاد وكل وسائل الإقناع لرد حجة الخصم "([158]).

يضيف هذا التعريف لسابقيه رؤية خاصة للمفهوم من زاوية نظر مغايرة, فهو يركز على النص ونموه بتفاعل أجزائه المكونة له, وذلك بتفاعل الأدوار الكلامية بين طرفين هما المنتجان الحقيقيان له, يحكمهما قانون الفعل ورد الفعل, ويكون ذلك من خلال المحاجة التي تبنى على الحجج والأدلة والبراهين.

وليتم مفهوم المناظرة لا بد من الكلام عن مقاصدها, وقد بين العلماء القصد من وراء المدافعة والمحاجة, وقيدوا تسميتها بحسب المقاصد منها, " فإن كان الغرض منها إظهار الصواب, والوصول إلى الحقائق فهذه المدافعة تسمى: **(مناظرة)**, وإن كان الغرض منها مجرد إلزام الخصم وإفحامه فتسمى **(مجادلة)** لا **(مناظرة)**, وهذا ما يقع غالبا بين رؤساء المذاهب الدينية, والأحزاب السياسية وغيرها. وقد يكون إلزام الخصم وإفحامه بقصد التزعم والتضليل والمباهاة الفارغة, فتسمى: **(المكابرة)**"([159]).

هذه بعض المعاني والدلالات المتعلقة بهذا المصطلح, نكتفي بها حتى ننتقل إلى معرفة الجوانب التاريخية, التي نحاول من خلالها الإطلالة على نشأة هذا الضرب من ضروب الأدب والبحث.

2- نشأة فن المناظرات:

لقد مر بنا في أقوال **ابن خلدون** بعض الكلام عن أول من وضع طرق الاستدلال في المناظرة عند العرب والمسلمين, واعتبر **الميداني** أول من أفرد هذا الفن بالتأليف: **ركن الدين العميدي**([160]), ثم تبعه الناس من بعده فألفوا على طريقته وشرحوا ما جاء به وزادوا عليه, وهذا

158 - العشي, عبد الله, زحام الخطابات, دار الأمل, تيزي وزو, الجزائر, 2005م, ص36.
159 - العشي, عبد الله, المرجع السابق, ص5.
160 - ينظر: الميداني, عبد الرحمن حبنكة, المرجع السابق, ص371.

ما أرخ له **ابن خلدون** في المقدمة بقوله: " **العميدي** هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه. وضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصراً، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره، جاؤوا على أثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التآليف "([161]).

ومن الإضافات على (**كتاب الإرشاد**) ما كتبه **الرازي**([162]) زيادة عليه.

وأشهر ما كتب في هذا الفن, كتاب **شمس الدين الحسيني**([163]), الذي حظي بعناية بالغة من العلماء, فكتبوا عليه تعليقات كثيرة, وحاولوا تبيين مجمله وتفصيل القول في مباحثه([164]). دون أن نهمل ذكر الدارسين المحدثين الذين شاركوا بمساهمات معتبرة في هذا الباب, فنذكر منهم **الميداني** وكتابه الذي له وزنه في هذا الشأن, فقد جمع فيه " **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة** ", وهو بحث بذل فيه الوسع حتى يقوم بصياغة جديدة للمنطق وأصول البحث من منظور الفكر الإسلامي.

أما من الناحية التأريخية فقد اعتبر الباحث **المصطفى الوضيفي** كتاب (**تاريخ الجدل**) لـــ **أبي زهرة**([165]), من الكتب الفريدة التي اعتنت بجمع المناظرات وتصنيفها وفق المنهج التاريخي, فقد قال: " لم نجد من المؤرخين من اهتم بالتأريخ لهذه المناظرات، وربما كتاب (**تاريخ الجدل**) لـــ **أبي زهرة** يعتبر الوحيد الذي اهتم بتاريخ هذا الفن "([166]).

وأظن أن هذا الحكم المطلق فيه بعض المبالغة, فلا يعقل أن يخفى هذا الأمر على علماء الأمة الذين لم يتركوا بابا من القول إلا ولجوه, وشاركوا بالكتابة فيه.

---

[161] - ابن خلدون, المصدر السابق, (457/1).

[162] – الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسن، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي, الإمام المفسر, أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل, كان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب) و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و(معالم أصول الدين) و (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين), توفي سنة 606 هـــ. ينظر: الزركلي, خير الدين, الأعلام, دار العلم للملايين, ط5, 1980م, 313/6.

[163] – محمد بن أشرف الحسيني شمس الدين الحكيم السمرقندي، من كتبه (قسطاس الميزان) في المنطق، و(مفتاح النظر) شرح (المقدمة) في الجدل للنسفي، و(المنية والأمل في علم الجدل), توفي بعد690هـــ. ينظر: الأعلام للزركلي39/6.

[164] – ينظر: الميداني, عبد الرحمن حبنكة, المرجع السابق, ص371.

[165] – أبو زهرة: محمد بن أحمد أبو زهرة: من أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر (سنة: 1898م). له أكثر من 40 كتابا، منها: (الخطابة) و(الجدل في الاسلام) و(أصول الفقه). ومن كتبه المطبوعة أيضا (الأحوال الشخصية) و (أحكام التركات والمواريث) و(محاضرات في مقارنات الأديان) و(محاضرات في المجتمع الإسلامي) وكانت وفاته بالقاهرة (سنة: 1974 م). انظر: الأعلام للزركلي25/6.

[166] - الوضيفي, مصطفى, المناظرة في أصول التشريع الإسلامي (دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي), ص8.

لم يكن هناك عصر من العصور التي مرت على الأمة العربية والإسلامية, وكان فيها ازدهارها بازدهار العلوم وشتى جوانب المعرفة فيها, إلا وحفل بوجود المناظرات والمحاورات والمناقشات التي تثري البحث العلمي وتكشف عن فكر علماء راسخين وعباقرة أفذاذ. وقد تعددت المحاور التي كان يدور حولها النقاش وتنوعت, فكان منها: القضايا الدينية بأصولها وفروعها، والقضايا اللغوية والفلسفية, وغيرها مما لا تكاد تخلو منها كتب التاريخ والفكر الإسلامي. ومن أبرز الأمثلة في التراث العربي والإسلامي تلك المناظرات الواردة في كتاب **(الإمتاع والمؤانسة)** و **(المقابسات)** لـــ **أبي حيان التوحيدي**([167]).

" وقد عرفت هذه الظاهرة ازدهارا كبيرا في الثقافة العربية, وخصوصا مع تطور الحضارة الإسلامية, وتجسدت في مجالس الخلفاء والأمراء, ولقيت منهم تشجيعا واهتماما كبيرين. وقد أنتجت هذه المناظرات آليات نقدية كثيرة خصوصا وأنها تعتمد على ثقافة واسعة, في اللغة والفلسفة والمنطق والفقه والتاريخ وغيرها"([168]).

وإذا أردنا أن ندقق أكثر, فإنه يمكننا اعتبار **القرآن الكريم** المصدر الوحيد الموثوق, والذي نقل لنا نصوصا كثيرة من مناظرات جرت بين شخصيات تركت بصماتها على أرض الوجود, وخلدت أسماءها في تاريخ البشرية, وعلى مقدمتهم أنبياء الله ورسله.

والنص القرآني متميز عن باقي الكتب من عدة وجوه وبعدة اعتبارات, بل لا وجود لوجه المقارنة بينهما, سواء من حيث صدق الأخبار, أو من جهة اللغة والفصاحة والبيان, أو من زاوية إقامة الحجة والبرهان, أو من أي زاوية أخرى, فهو الكلام المعجز. و" قد طوى **القرآن الكريم** في صحائفه القويمة, طائفة من المناظرات العجيبة, والمحاورات البليغة, في مواضيع جوهرية شتى([169]).

استفاد الصحابة – رضي الله عنهم – من أسلوب القرآن في المناظرات, وبناء الحجج وإقامة الأدلة والبراهين على الخصوم, وخاصة العرب منهم, وقريش على وجه أخص, فإن الله عز وجل قد شهد عليهم بذلك, فقال: " وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ "([170])(**الزخرف: 58**). وهذا ما احتج به بعض الخوارج لما أراد ابن عباس – رضي الله

---

[167] - ينظر: العشي, عبد الله, المرجع السابق, ص37.

[168] - نفس المرجع, ص37.

[169] - منير القاضي, المرجع السابق, ص7.

[170] - الخَصِم بكسر الصاد: شديد التمسك بالخصومة واللجاج مع ظهور الحق عنده. انظر: ابن عاشور, المصدر السابق,(233/13), الآلوسي, أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود, روح المعاني, تح: سيد عمران, دار الحديث, القاهرة, مصر, 2005م, 123/25.

عنهما – مناظرتهم بعد قصة التحاكم([171]). فهذب القرآن قرائح العرب, وصفى نفوسهم من أكدار الجاهلية والشرك, وزادهم حججا وأدلة استطاعوا من خلالها تطوير قدراتهم العقلية والفكرية على وجه لم يسبقوا إليه.

وبعد انتشار الإسلام في الآفاق, وتمكن العرب من بسط نفوذهم في الأرض, ازدهرت دولتهم بحجم ازدهار العلوم والمعارف, سواء التي تفتقت عنها عقولهم, وجادت بها قرائحهم, أو التي اكتسبوها من غيرهم. واهتم الأمراء والخلفاء والملوك بعقد مجالس العلم في قصورهم أين تقام المباريات الفكرية والمناظرات العلمية, بقصد إظهار الحق, وتوسيع جانب العلم والمعرفة. وقد أدى انتشار الفرق والمذاهب الدينية إلى كثرة الاختلافات التي نتجت عنها فيما بعد تلك المجالس, ومن أهم الفرق والمذاهب التي كانت لها مشاركات معتبرة في هذا الباب:

* المذاهب الاعتقادية, وأشهرها: الخوارج, المرجئة, المعتزلة, القدرية, الشيعة ...إلخ.

* المذاهب الفقهية, وأشهرها: الأحناف, المالكية, الشافعية, الحنابلة, الظاهرية ...إلخ.

كما لم تخل هذه المساجلات من معالجة القضايا اللغوية والفلسفية والعلمية وغيرها من القضايا التي كانت تشغل بال العلماء والأمراء على حد سواء. ومن أشهر تلك المجالس؛ مجالس المأمون الخليفة العباسي ابن الخليفة هارون الرشيد في المشرق, ومجالس المناظرات التي جمعت ابن حزم الظاهري بالأندلس بفقهاء عصره.

وسأحاول ذكر أمثلة عن أشهر المناظرات في التاريخ الإسلامي حتى يتم المراد.

3- نماذج من المناظرات

أ) من القرآن الكريم:

والمناظرات فيه كانت بين الحق والباطل, والخير والشر, تمثلها شخصيات الرسل مع أقوامهم, وأحيانا تكون على ألسنة بعض المؤمنين مع حكامهم.

* **مناظرة نوح عليه السلام:** وجاء ذكرها في عدة سور, وأكثرها تفصيلا ما ورد في سورة هود من قوله تعالى:" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) إلى قوله:" وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)"(**هود: 25 – 34**). وقد ورد فيها ذكر الجدال على لسان قومه, قال الله تعالى:" قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (32).

[171] - سيأتي الكلام عن مناظرة ابن عباس – رضي الله عنهما – للخوارج, وهي مناظرة مشهورة قيمة في بابها.

* **مناظرات إبراهيم عليه السلام:** وفيها ثلاث مقامات:

- **المقام الأول: مع أبيه:** وجاء ذكره في سورة مريم, من قوله تعالى: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إلى قوله: " قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47)" (مريم: **41 – 47**).

- **المقام الثاني: مع النمرودِ:** قال الله تعالى:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(258)(البقرة: **258**).

- **المقام الثالث: مع قومه:** وجاء ذكرها في عدة سور منها ما جاء في سورة الأنبياء, من قوله تعالى:" وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إلى قوله تعالى: " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)(الأنبياء: **51 – 69**).

* **مناظرة موسى عليه السلام:** وقد وردت مناظرات موسى عليه السلام في كثير من المواضع في القرآن الكريم, حيث تعتبر قصة نبي الله موسى أكثر القصص ورودا في القرآن, ونذكر هنا ما جاء مفصلا في سورة الشعراء, من قوله تعالى: " وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) إلى قوله تعالى: " قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38)(الشعراء: **10 – 38**).

* **مؤمن آل فرعون:** وهو المؤمن الذي خاصم فرعون في شأن موسى عليه السلام, وقد جاءت قصته مجملة في سورة يس, ومفصلة في سورة غافر, قال الله تعالى:" وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29). إلى قوله تعالى:" وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(44) (غافر:**28-44**).

ب) من السنة النبوية:

عن جابر بن عبد الله **(رضي الله عنه)** قال: اجتمعت قريش يوما فقالوا: انظروا أعْلَمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد. فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سَخْلَةً قط أشأم على قومك منك؛ فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا! والله ما ننظر إلا مثل صيحة الحُبْلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف، حتى نتفانى! أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا, وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا. فقال رسول الله ﷺ : " فَرَغْتَ ؟ " قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ :" بسم الله الرحمن الرحيم. حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "حتى بلغ:" فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ[172]). فقال عتبة: حسبك! حسبك! ما عندك غير هذا ؟ قال: لا. فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ قال: نعم، قالوا: فما قال؟ قال: لا والذي نصبها بَنِيَّةً ما فَهِمْتُ شيئا مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويلك! يكلمك الرجل بالعربية ما تدري ما قال؟! قال: لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة "[173].

ج) من التاريخ الإسلامي:

وأشهر مناظرة عرفت في تاريخ الصحابة – رضي الله عنهم – هي مناظرة ابن عباس للخوارج في مسألة التحكيم, حين كفر الخوارج جمع الصحابة الذين رضوا بتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص **(رضي الله عنهما)**, وقد احتج عليهم ابن عباس**(رضي الله عنهما)** بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية, وأقام عليهم الحجة فرجع منهم الكثير.

---

[172] - قرأ عليه النبي عليه السلام من أول سورة فصلت إلى الآية: 13.

[173] - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف, تح: سعيد اللحام, دار الفكر, بيروت, لبنان,440/8, وعبد بن حميد في مسنده برقم (1121), وأبو يعلى في مسنده، تح: إرشاد الحق الأثري، مؤسسة علوم القرآن, بيروت, لبنان, 349/3. والحديث في إسناده الأجلح الكندي ضعفه النسائي وغيره. انظر: ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, 2539/4.

والمناظرة ذكرها: ابن الأثير في الكامل في التاريخ, وابن الجوزي في المنتظم, وابن عساكر في تاريخ دمشق. والذهبي في تاريخ الإسلام, وابن كثير في البداية والنهاية, وغيرها من كتب التاريخ الإسلامي.

وهذا مقطع منها مما ذكره ابن الأثير في الكامل قال: "وبعث علي عبد الله بن عباس إلى الخوارج وقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى: " إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا "(النساء:35)، فكيف بأمة محمد، صلى الله عليه وسلم؟ فقالت الخوارج: أما ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه، حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق القطع، فليس للعباد أن ينظروا في هذا، قال ابن عباس: فإن الله تعالى يقول: " يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ " (المائدة:95). فقالوا: أو تجعل الحكم في الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالوا له: أعدلٌ عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا؟ فإن كان عدلاً فلسنا بعدول، وقد حكمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً وجعلتم بينكم الموادعة، وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية "([174]).

وكما دارت هذه المجالس حول مناقشة العقائد والقضايا الفقهية, فهناك مجالس أخرى كانت تعالج فيها المسائل اللغوية والقضايا الأدبية, ومن أشهرها المناظرات النحوية بين أشهر أعلام مدرستي: الكوفة والبصرة, ومن ذلك:

* **مسألة الزنبور بين سيبويه والكسائي:** وقد ذكرها **ياقوت الحموي** في معجم الأدباء (82/2), وغيره.

* **مسألة " المهرُ مهرُ " بين الكسائي واليزيدي:** وقد ذكرها **الدميري** في حياة الحيوان الكبرى (291/1), **وياقوت الحموي** في معجم الأدباء (66/2). وغيرهما.

ومن أشهر المناظرات التي ذاع سيطها بالمغرب العربي والأندلس مناظرات **ابن حزم الظاهري** مع فقهاء عصره, وعلى رأسهم **أبو الوليد الباجي.** وقد خصها الباحث **المصطفى الوضيفي** بكتاب عنوانه: **المناظرة في أصول التشريع الإسلامي (دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي)".**

---

[174] - ابن الأثير, أبو الفداء عبد الله القاضي الجزري, الكامل في التاريخ, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان,ط1, 1987م. 78/2.

وعرف التاريخ أيضا مناظرات **شيخ الإسلام ابن تيمية** مع علماء عصره, منها([175]):

* مناظرته مع ابن المرحل " صدر الدين بن الوكيل " في معاني الحمد والشكر.

* مناظرته حول العقيدة الواسطية, مع القضاة والفقهاء وكان من بينهم: **صفي الدين الهندي, وابن الزملكاني, وصدر الدين بن الوكيل** , بحضرة السلطان **الأفرم**.

* مناظرته **لابن عطاء الله السكندري** في شأن **ابن عربي**.

* مناظرته لأصحاب الطريقة الرفاعية, وتعتبر من أشهر مناظراته.

ومن أشهر المناظرات التي عرفت في وقتنا المعاصر مناظرات " **أحمد ديدات** " مع أصحاب الديانة النصرانية بمختلف مذاهبها.

" والمناظرة كما يمكن أن يمثل طرفيها شخصيتان حقيقيتان, في مكان وزمان محددين, يمكن أيضا أن تكون مناظرة بين أفكار مجردة في سياق متعال عن المكان والزمان, كتصورنا لمناظرة بين الشعر والنثر, أو الخير والشر "([176]) أو بين السيف والقلم, أو بين الرمح والعصا, أو بين أنواع النبات من ثمار وأزهار ... إلخ.

وهذا ما يعرف بمصطلح المناظرات الخيالية, ومن أبرز الدراسات الحديثة في هذا الشأن؛ ما قامت به الباحثة الصحفية " رغداء ماريديني " في كتابها:" المناظرات الخيالية في أدب المشرق والمغرب والأندلس ", و قد حاولت البحث والتقصي بشأن هذه المنظارات, بتتبع الظاهرة من جذورها الأولى ونشأتها ثم كيف مرت بمراحل تطورها بين المشرق والأندلس, حتى استقرت على ما هي عليه, واعتمدت الباحثة على ترتيب المناظرات الخيالية وفق سني وفاة مؤلفيها. وتضمنت دراستها مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

ومما اشتهر على ألسنة الأدباء؛ تلك المناظرة الخيالية التي دارت بين العقل والعلم, حيث يقول الشاعر:

عِلْمُ العليم وعَقْلُ العاقل اِخْتَلَفَا ... مَنْ ذَا الذي مِنْهما قد أَحْرَزَ الشرفَ

فالعِلْمُ قال: أنا أحرزت غَايَتَهُ ... والعَقْلُ قال: أنا الرحمن بِي عُــرف

فأَفْصَحَ العلمُ إِفْصَاحًا وقــال: ... بِأينا الرحمنُ في فُرْقَانِهِ اتصــف ؟

فبَــانَ للعقلِ أن العلمَ ســيدُه ... فقبل العقــلُ رأسَ العلم وانصرف

---

[175] - المقدسي, محمد بن عبد الهادي, كتاب الانتصار, تح: محمد سيد الجليند, مكتبة ابن عباس, القاهرة, ط1, 2003م.

[176] - العشي, عبد الله, المرجع السابق, ص37.

" ومن المناظرات الهامة في النقد العربي المناظرة التي صنعها الآمدي في كتاب الموازنة, بين أنصار البحتري وأبي تمام. والمناظرة صاغها الآمدي من مجموع ما انتهى إليه من أخبار الفريقين, وشكل المناظرة يتم بين شخصين نموذجين, يمثلان قارئين نموذجين, مختلفين, لكل منهما توجه جمالي وفني مختلف, بل وموقف شخصي أيضا, وهذا الاختلاف هو العنصر المحرك للمناظرة, والذي يتم التعبير عنه بشكل تناوبي, بحيث يقدم كل فريق رأيه, ثم يتلوه الآخر وهكذا. ومما يميز هذه المناظرة أن المتناظرين لا يجمعهما مكان واحد ولا زمن واحد, أي أنهما متناظران غائبان, ينوب عنهما الراوي الذي أعاد إنتاج النص(...) وقد قام الآمدي مقام المتناظرين المجهولين, فصاغ المناظرة بأسلوبه ومنهجه باعتباره راوية, فهو من استدعى الخصمين ومن استخلص آراءهما ومن عقد بينهما عقد التناظر "([177]).

هذا ما استطعت جمعه باختصار, والتمثيل به في نشأة فن المناظرات وتنوع ممارستها عند أصحاب العلوم والفنون, والمقام لا يليق بالتوسع في ذلك كثيرا, وإلا فالمجال واسع جدا, وحري بأن يستقل ببحث خاص, يكون فريدا في بابه.

4- بنية المناظرة:

تقوم المناظرة في أساسها على ركنين أساسين هما: الموضوع الذي تجري حوله المناظرة, والفريقين الذين يتحاوران حول هذا الموضوع. وفي الغالب تجري المناظرة أمام أشخاص لهم علاقة بالموضوع المطروح, وكثيرا ما يصل الأمر بين المتنازعين إلى التحاكم إلى أشخاص معينين, كما حدث في المناظرات النحوية والتحاكم إلى الأعراب.

أ) مراحلها:

وتمر كل مناظرة بثلاث مراحل, حتى تصل إلى نتيجة معينة, وقد يسبق هذه المراحل جزء تمهيدي, تكون فيه تهيئة الأجواء التي ستقام فيها المناظرة, وعادة ما يكون هذا الجزء منفصلا عن الموضوع شكلا, والمتصل به ضمنيا, ويكون بقصد من أحد المتنازعين لهدف خطط له من قبل. وهذه المراحل هي([178]):

* **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة المبادئ, ويتم فيها تعيين محل النزاع، حتى لا يتشتت الفريقان في أطراف حديث يخرجهم عن المقاصد التي يبغون تحصيلها.

---

[177] - العشي, عبد الله, المرجع السابق, ص38.

[178] - ينظر: الميداني, عبد الرحمن حبنكة, المرجع السابق, ص376.

* **المرحلة الثانية:** وتسمى مرحلة الأواسط, وهي المرحلة التي يسعى فيها كل خصم إلى التمسك بأطروحته, وإقامة الأدلة والبراهين على صدقها, وإقناع الطرف الآخر بها من جهة, والسعي إلى دحض وإبطال حجج غيره قصد إسقاط الأفكار الأخرى.

* **المرحلة الثالثة:** وتسمى هذه المرحلة: مرحلة المقاطع, وهي المرحلة التي ينقطع فيها البحث, وذلك عند الوصول بعد المباحثة إما إلى الضروريات وهي: اليقينيات التي يجب التسليم بها حسب الضرورة العقلية, وإما إلى الظنيات التي يتم فيها تسليم خصم لآخر.

وبعد المباحثة عن طريق المناظرة يتوصل المتنازعان أو الخصمان إلى النتيجة التي تكون لأحدهما على حساب الآخر، وذلك بالعجز عن رد الاعتراض, أو العجز عن تصحيحه.

قام المناطقة بدراسة فن المناظرات من زاوية نظرهم الخاصة, ولذلك جاءت مباحثهم متشعبة ومتفرعة بالقدر الذي لو سرنا وفقه لخرجنا عن الغاية التي نرجوها, ومن أجل هذا سأشير فقط إلى بعض الجوانب المهمة عندهم ولها صلة مباشرة بموضوعنا, وذلك بالقدر الذي لا يخرجه عن أصله.

مر بنا فيما سبق دراسة بنية الخطاب الحجاجي وما يقوم عليه, وما يُكون جزئياته ويربط بينها, وكيف تعرض الحجج بأنواعها, وأساليب طرح القضايا والدفاع عنها ... إلخ. والمناظرة نص حجاجي بدرجة أولى يبنى على ما بنيت عليه باقي النصوص الحجاجية الأخرى, وتزيد بنيته وتتنوع بحسب المعارف والعلوم التي يوظفها المتخاصمون أثناء مباحثاتهم وتنازعهم. فالمتناظران يتفقان ويتشابهان مع أي منتج نص حجاجي من حيث أنه نص, ويختلفان ويفترقان معه من جهة التوسع والتبحر في العلوم والمعارف التي يستمدان منها الحجج والأدلة والبراهين وطريقة توظيفها.

إن المنتج للنص الحجاجي العادي يعتبر منتجا أحاديا بخلاف منتج نص المناظرة, فهو إنتاج يشترك فيه طرفان, يتوالد النص بينهما وفق نظرية التنازع والتدافع, لذلك كانت بنيته معقدة حسب التعقيدات التي تسود جو إنتاجه, فحجاجه يحتاج إلى دعم قوي بوجوه البرهنة وأساليب الاستدلال.

وقبل أن نتحدث عن تحديد بنية المناظرة, كان من الضروري أن نشير إلى طبيعة الموضوعات التي يراها العلماء سائغة بأن تقام حولها النزاعات الفكرية. وقد أطال " الميداني في كتابه " ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة " في هذا الباب, وذلك من وجهة نظر المناطقة, وسأحاول تلخيص أهم ما يخدم موضوعنا, بشيء من التبسيط.

ب) موضوعاتها:

يرى العلماء أن الموضوع الذي يستحق أن تُجرى حوله المناظرة لا بد وأن يكون مشتملا على دعوى تكون محلا للنزاع, أو يستساغ من الناحية الشكلية أن يوجه لها اعتراض. ومن حيث نوع الجمل؛ فهم يرون أن المناظرة تجري في الجمل الخبرية, لأنها تتضمن قضية منطقية حكم فيها بإثبات أو نفي نسبة بين مسند ومسند إليه, ولا تجري في الجمل الإنشائية([179]) إلا باعتبار ما تتضمنه من حكم خبري, كاستحقاق الآمر أن يوجه أمره, ونحو ذلك. وحين تكون الجمل الإنشائية محكية عن قائلها, فحكايتها ادعاء خبري, يجوز للخصم أن يطالب بتصحيح النقل فيه, ويجري المناظرة بناء على ذلك([180]).

وتجري المناظرة في([181]):

* **التعريفات**([182]): باعتبارها تتضمن دعاوى خبرية تفيد أن هذا التعريف مساو للمعرف, جامع مانع, أو صالح للتعريف به في أدنى المستويات. ويوجه الاعتراض على التعريف بما يخالف شروطه المنطقية, ككونه غير جامع وغير مانع أي غير مطرد. ويكون الدفاع عن هذا التعريف بما يطلقون عليه عبارة: تحرير المراد. ويكون تحرير المراد إما من المعرف, أو من بعض أجزاء التعريف, أو من نوع التعريف, أو من المذهب العلمي الذي بني عليه التعريف.

* **التقسيمات:** تجري المناظرة فيها باعتبارها تتضمن دعاوى خبرية تفيد أن هذه الأقسام مندرجة فعلا تحت المَقسِم, وأنها حاصرة لكل أقسامه, فالذي يقول مثلا : " تنقسم الكلمة إلى: اسم وفعل وحرف ", يقدم دعوى تتضمن أن هذه الأقسام هي أقسام الكلمة بطريقة حاصرة, فللمعترض أن يناظر في هذه الدعوى إذا لم يكن مسلما بها.

---

[179] - الجملة التامة الخبرية تسمى في المنطق قضية, أما الجمل الإنشائية كالجمل القائمة على الأمر أو النهي أو إنشاء العقود أو حلها ونحو ذلك فإن المناطقة لا يبحثون فيها, لأنها لا تحتمل الصدق أو الكذب أصلا, فلا يحتاج إلى أدلة وحجج تثبت صدقها أو تثبت كذبها (...) والمناطقة إنما يهمهم بحث الجمل التي تتضمن أحكاما موجبة أو سالبة, وهذه الأحكام عرضة لأن تكون صادقة أو لأن تكون كاذبة, فتحتاج إلى حجج تثبت صدقها إذا كانت في الواقع صادقة, وذلك معرفة حقيقتها, أو لإثبات صدقها لخصم لا يسلم به, أو تحتاج إلى حجج تثبت كذبها إذا كانت في الواقع كاذبة, وذلك لمعرفة حقيقتها, أو لإثبات كذبها لخصم لا يسلم به. (ينظر: الميداني, المرجع السابق, ص68).

[180] - ينظر: الميداني, المرجع السابق, ص378.

[181] - نفس المرجع, ص ص (379-408).

[182] - وردت عدة ضوابط للتعريفات, ذكرها الميداني في كتابه, ولا نتعرض لذكرها لأنها تخرجنا عن المقصود انظر: ص24.

* **العبارة**([183]): وتجري فيها المناظرة على أساس صحتها من الناحية اللفظية, فيرد عليها الاعتراض بالإبطال, بسبب أنها تخالف قاعدة من قواعد اللغة, أو تخالف الضبط اللغوي المتبع, أو أن الكلمة لا أصل لها على المعنى الذي قصده صاحب العبارة. ويكون الجواب عنها ببيان الوجه المستند إليه فيها, إذا كان له وجه في ذلك, أو يسلم الاعتراض ويصحح عبارته.

* **النصوص المنقولة:** فمهما كان مضمونها (خبريا أو إنشائيا, مفردا أو جملة), تتضمن ادعاء بصحة النقل عن قائلها, ومناظرة راويها تنحصر بإثبات صحة النقل, أما إثبات صحة المضمون فليس مسؤولا عنه, ما لم يلتزم الراوي ادعاء صحته, فإن تبنى صحة المضمون فتجري معه المناظرة على أنه مدع للقضية التي اشتمل عليها النص. وفي هذا يقول علماء هذا الفن: " إن كنت ناقلا فالصحة, وإن كنت مدعيا فالدليل "([184]).

وقد لا يلتزم الناقل صحة مضمون النص المنقول, ففي هذه الحالة إن كان النقل بديهيا, أو مسلما به عند الخصم, أو يعتبر من الضروريات في مذهبه، فليس لخصمه أن يوجه إليه أي اعتراض. وإن كان النقل غير ذلك, كان للخصم أن يطالب بتصحيح النقل, أي: أنه يطالب بإثبات صحة النقل وفق طرائق إثبات المرويات.

هذه معظم المستويات التي تجري فيها المناظرة ذكرتها مختصرة, لأن الاستطراد فيها يخرج البحث عن طريقه, ولا نستطيع الاستغناء عنها فيما بعد عند الدراسة التطبيقية.

ج) البناء الحجاجي في المناظرة:

بعد هذه التفريعات التي اقتضاها البحث من تبيين المستويات والموضوعات التي تجري فيها المناظرة, نعود إلى الكلام حول بنيتها.

وكنت قد فصلت الكلام في بنية النصوص الحجاجية, وأساليب الحجاج, والروابط والعوامل الحجاجية, وغيرها من العناصر التي تشترك في تكوين بنية أي خطاب حجاجي. ونحن الآن بصدد الكلام عن بنية الحجاج في فن المناظرات, باعتبار المناظرة نصا حجاجيا بدرجة أولى, والحجاج أساسه الذي يقوم عليه. لذلك نضيف إلى ما سبق ذكره في تحديدنا لبنية الخطاب الحجاجي ما قد بدأنا الكلام عنه في باب بنية المناظرة, ليكتمل بين أيدينا الهيكل العام الذي تقوم

---

[183] - العبارة: هي كل لفظ يصدر من المتكلم, سواء أكان مفردا أو جملة, وسواء أكان تعريفا أو تقسيما, أو خبرا أو إنشاء, أو دعوى أو دليلا , أو غير ذلك (انظر: الميداني, المرجع السابق, ص379).

[184] - ينظر: الميداني, المرجع السابق, ص380.

عليه بنية الخطاب الحجاجي في فن المناظرات, متمثلا في الخطوات التالية التي لابد فيها من معرفة:

1- **المتناظران:** باعتبارهما صاحبي النص.

2- المقدمة: أو توطئة للمناظرة.

3- الموضوع: بمراحله التي يمر بها: **مرحلة المبادئ, ومرحلة الأواسط, ومرحلة المقاطع. والنتائج المتوصل إليها.** ويكون في المستويات المذكورة: **التعريفات, التقسيمات, العبارة, النصوص المنقولة.**

4- الحجج والأدلة والبراهين: بنوعيها

* حجج لغوية:

* حجج غير لغوية: حجج **شبه المنطق**ية, حجج **تؤسس على بنية الواقع**, حجج **تؤسس بنية الواقع**, حجج **تستدعي القيم**, حجج **تستدعي المشترك.**

5- العلاقات التي تربط أجزاء الكلام في النص: علاقة التتابع بمستوييها: مستوى الأحداث ومستوى القضايا والأفكار, **العلاقة السببية, علاقة الاقتضاء, علاقة الاستنتاج, وعلاقة التناقض أو عدم الاتفاق.**

6- الروابط والعوامل الحجاجية:

الروابط الحجاجية: بكل أنواعها: روابط مدرجة للحجج, مثل (**حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...**). روابط مدرجة للنتائج, (**إذن، لهذا، وبالتالي.....**). روابط تدرج حججا قوية (**حتى، بل، لكن، لاسيما...**). روابط تدرج حججا ضعيفة. روابط التعارض الحجاجي (**بل، لكن، مع ذلك...**). روابط التساوق الحجاجي (**حتى، لاسيما**).

- **العوامل الحجاجية:** وتضم أدوات من قبيل: **ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا ، ما...إلا، وجل أدوات القصر.**

7- أساليب وأشكال البرهنة: وهي: **الاستنتاج** عن طريق القياس المنطقي, **والاستنتاج** الذرائعي, **والاستنتاج** الحسابي, **والاستنتاج** الشرطي. و**الشرح**, و**التجميع**, و**الاختيار التعاقبي**, و**التنازل الحصري**. الحجاج المغالط.

8- النتائج: كمرحلة أخيرة ونهائية في المناظرة.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية على نص المناظرات

بلاط المأمون – أنموذجا –

ننتقل في هذا الفصل من الدراسة النظرية إلى الدراسة التطبيقية, لنحلل بعض المناظرات التي وقعت في قصر الخلافة العباسية؛ وبالتدقيق في عصر الخليفة أبي العباس عبد الله المأمون, ونقصد من ورائها إلى تحديد بنية المناظرة.

نتكلم في هذا الفصل عن الظروف الثقافية والعلمية التي ميزت ذاك العصر عن غيره من العصور, كما نتحدث عن شخصية الخليفة العباسي المأمون التي كان لها الأثر البارز في ازدهار العلم والمعرفة آنذاك.

وقبل دراسة وتحليل المناظرات التي جرت في بلاط المأمون, أقوم بتحقيق صحة نسبتها إلى قائليها, ومهما كانت نتيجة التحقيق, أشرع فيما بعد في التحليل والدراسة قصد الوصول إلى تحديد بنيتها.

أولا: عصر المأمون:

شهد هذا العصر نهضة حضارية كبيرة، بعدما استتب الأمن, وتثبتت دعائم الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد. فيعتبر عصر ابنه المأمون عصر ازدهار العلوم وتنوع الثقافات.

وكانت بغداد مركز النور الذي يستضيء به العالم, والمنارة التي يهتدى بها, وقبلة العلماء التي يحجون إليها, يبتغون أنواع العلوم, ويرتعون في حقول المعارف, مهما تعددت مشاربهم وتفرعت تخصصاتهم.

وكان للمأمون دور مهم في هذه النهضة, فقد اعتنى بالعلم والعلماء, وقربهم من مجالسه, ولم يقتصر قي حركته على ما عند العرب من علوم ومعارف, بل وجه اهتمام العلماء إلى ميادين الترجمة التي تمكنهم من الاطلاع على ثقافات الأجناس الأخرى, لا سيما الأجناس التي أقامت حضارات سابقة, وخلدت مجدها على مر الأزمان.

قال الذهبي:" قيل: إن المأمون استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرةقبرس "([185]).

فتح المأمون قصره لكل الناس, بمختلف توجهاتهم, وخصهم بمجالس الثلاثاء التي كان يعقدها للمناظرة والمباحثة في شتى ميادين العلوم. وقد اكتملت في شخصياته جوانب عدة من المؤهلات جعلته يأخذ من كل فن بنصيب, فإذا أبدع الشعراء كان شاعرا, وإذا أسند المحدث حديثه كان ناقدا ومحدثا, وإذا أصل الفقهاء وفرعوا كان فقيها, وهكذا له مشاركات بديعة في كل

185 - الذهبي, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان, سير أعلام النبلاء, تح: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد, مؤسسة الرسالة بيروت, ط9, 1993م, 278/10.

فن وفي كل باب حتى إذا تكلم في فن خلته لا يحسن غيره. وسنحاول اكتشاف شخصية المأمون من جهة علومه لا من جهة الملك والخلافة والتاريخ, فمثل تاريخه لا يجهل.

1- شخصية المأمون العلمية:

أ) المأمون شاعرا([186]):

قال عمرو بن سعد بن سلم: كانت علي نوبة أنوبها في حرس المأمون، فكنتُ في نوبتي ليلةً فخرج متفقّداً مَنْ حَضَر، فعرفته ولم يعرفني، فقال: من أنت؟

قلت: عَمْرو، عمرك الله، ابن سعد، أسْعَدك الله، ابن سلم، سلمك الله. فقال: تكلَؤُنا منذ الليلة. قلت: الله يَكْلَؤُك قَبْلي، وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

فقال المأمون:

إن أخاك الحقّ من يَسْعَى مَعَكْ ... ومَن يَضُرُ نَفسَه لينْفَعَكْ

ومَنْ إذا صَرفُ زمان صَدَعَك ... بَدد شَملَ نَفْسِهِ ليجمَعَكْ

ب) المأمون فقيه فرائض([187]): عن ابن عيينة، أن المأمون جلس، فجاءته امرأة، فقالت: مات أخي، وخلف ست مئة دينار، فأعطوني دينارا واحدا، وقالوا: هذا ميراثك. فحسب المأمون، وقال: هذا خلف أربع بنات. قالت نعم. قال: لهن أربع مئة دينارا. قالت: نعم. قال: وخلف أما فلها مئة دينار، وزوجة لها خمسة وسبعون دينارا. بالله ألك اثنا عشر أخا ؟ قالت: نعم. قال: لكل واحد ديناران، ولك دينار.

ج) المأمون محدثا: قال الذهبي: " تقدم رجل غريب بيده محبرة إلى المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به. فقال: ما تحفظ في باب كذا وكذا ؟ فلم يذكر شيئا. فقال: حدثنا هشيم، وحدثنا يحيى، وحدثنا حجاج بن محمد، حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر شيئا. فقال: حدثنا فلان، وحدثنا فلان. ثم قال لاصحابه: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام، ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث، أعطوه ثلاثة دراهم "([188]) .

" وحج الرشيد، فدخل الكوفة، فلم يتخلف إلا ابن إدريس وعيسى بن يونس، فبعث إليهما الأمين والمأمون، فحدثهما ابن إدريس بمائة حديث، فقال المأمون: يا عم أتأذن لي أن أعيدها حفظا ؟ قال: افعل. فأعادها، فعجب من حفظه "([189]).

---

186 - الذهبي, المصدر السابق, 277/10.

187 - نفس المصدر, 276/10.

188 - الذهبي, المصدر السابق, 278/10.

189 - نفس المصدر,278/10.

كان المأمون من رجال بني العباس حزما وعزما ورأيا وعقلا وهيبة وحلما، أمارا بالعدل، محمود السيرة، ميمون النقيبة، فقيه النفس, قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، وعمل الرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ. يعد من كبار العلماء, فصيحا, مفوها[190].

ومن أكبر الأوصاف التي ساعدته على فتح أبواب البحث والمناظرة: ذكاؤه, وحلمه, اللذين استطاع أن يفتح بهما مجال المناظرات في علوم شتى.

2- أوصافه الخُلُقية:

أ) ذكاؤه([191]):

قال ابن الأعرابي: قال لي المأمون: خبرني عن قول هند بنت عتبة:

نحن بنات طارق** ** نمشي على النمارق

قال: من هو طارق ؟ قال ابن الأعرابي: فنظرت في نسبها، فلم أجده، فقلت: لا أعرف.

قال: إنما أرادت النجم: انتسبت إليه لحسنها.

" وأدخل عليه خارجي، فقال: ما حملك على الخلاف ؟ قال: قوله تعالى: " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ "(المائدة:44). قال: ألك علم بأنها منزلة ؟ قال: نعم. قال: وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة. قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل، فارض بإجماعهم في التأويل. قال: صدقت "([192]).

قال يحيى بن أكثم: كان المأمون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء، فجاء رجل قد شمر ثيابه، ونعله في يده، فوقف على طرف البساط, وقال: السلام عليكم. فرد المأمون. فقال: أتأذن لي في الدنو ؟ قال: ادن، وتكلم، قال: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة أم بالغلبة والقهر ؟ قال: لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى أمر الأمة من عقد لي ولأخي، فلما صار الأمر إلي، علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين على الرضا بي، فرأيت أني متى خليت الأمر، اضطرب حبل الاسلام، ومرج عهدهم، وتنازعوا، وبطل الحج والجهاد، وانقطعت السبل، فقمت حياطة للمسلمين، إلى أن يجمعوا على من يرضونه. فأسلم إليه. فقال: السلام عليك ورحمة الله. وذهب، فوجه المأمون من يكشف خبره، فرجع، فقال: مضى إلى مسجد فيه خمسة عشر

---

190 - ينظر: نفس المصدر,276/10.

191 - ينظر: الذهبي, المصدر السابق277/10.

192 - نفس المصدر, 278/10.

رجلا في هيئته، فقالوا: لقيت الرجل ؟ قال: نعم، وأخبرهم بما جرى، فقالوا: ما نرى بما قال بأسا، وافترقوا. فقال المأمون: كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب([193]).

ومع ذكائه قال: أعياني جواب ثلاثة:

صرت إلى أم ذي الرياستين أعزيها فيه، وقلت: لا تأسي عليه، فإني عوضه لك، قالت: يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك. قال: وأتيت بمتنبئ، فقلت: من أنت ؟ قال: أنا موسى بن عمران. قلت: ويحك، موسى كانت له آيات، فائتني بها حتى أؤمن بك. قال: إنما أتيت بالمعجزات فرعون، فإن قلت: أنا ربكم الأعلى كما قال، أتيتك بالآيات.

وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم، فقال خطيبهم: هو شر عامل، أما في أول سنة، فبعنا الأثاث والعقار، وفي الثانية بعنا الضياع، وفي الثالثة نزحنا وأتيناك، قال: كذبت، بل هو محمود، وعرفت سخطكم على العمال. قال: صدقت يا أمير المؤمنين، وكذبت، قد خصصتنا به مدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر ليشملهم من عدله وإنصافه ما شملنا. فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلته([194]).

ب) حلمه وعفوه([195]):

قال يحيى بن أكثم: كان المأمون يحلم حتى يغيظنا. ومر ملاح، فقال: أتظنون أن هذا ينبل عندي وقد قتل أخاه الأمين ؟ فسمعها المأمون، فتبسم، وقال:

ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل. وقال: لو عرف الناس حبي للعفو، لتقربوا إلي بالجرائم([196]).

2- علماء عصره:

من أكبر العوامل التي أعطت العلوم دفعة قوية في ذاك العصر: تعاصر كوكبة كبيرة من العلماء([197]), بل من رؤوس العلماء الذين عرفوا بمذاهب متبعة, كل حسب تخصصه. وسنذكر منهم:

---

[193] - ينظر: الذهبي, المصدر السابق, 280/10.

[194] - ينظر: نفس المصدر, 281/10.

[195] - ينظر: نفس المصدر, 283/10.

[196] - ينظر: الذهبي, المصدر السابق, 283/10.

[197] - ينظر: سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام للذهبي, والأعلام للزركلي, والبداية والنهاية لابن كثير, وغيرها

– **اللغويون:** الأصمعي[198], والأخفش[199], وابن هشام[200], وأبو عبيدة معمر بن المثنى[201], وأبو زيد الأنصاري[202] وأبو إسحاق اليزيدي[203], وأبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء[204], وغيرهم.

– **الشعراء:**

أبو نواس[205], وأبو العتاهية[206], وعمرو بن مسعدة[207], وغيرهم.

– **الفقهاء:** الإمام الشافعي[208], وأحمد بن حنبل[209], والجوزجاني[210], وغيرهم.

– **العباد والزهاد:** بشر الحافي[211], ومعروف الكرخي[212], وغيرهما.

– **المحدثون:** ذكر منهم الذهبي في سيره عددا كبيرا جدا, ممن عرفوا بالحفظ والتثبت في الرواية, مع الصلاح والديانة والاستقامة, وسأذكر منهم خمسة كانت السيادة تدور حولهم, مع الاعتراف لغيرهم ممن لم أذكرهم بالتقدم والإمامة في فنهم.

اخترت هؤلاء الخمسة بالذات لاجتماعهم في كلمة قالها إمام زمانه أبو عبيد القاسم بن سلام.

---

198 - الأصمعي: عبد الملك بن قريب الباهلي، أبو سعيد, أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. ت سنة: 216هـ.

199 - الأخفش: إمام النحو, أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي, توفي سنة: 210هـ.

200 - ابن هشام: صاحب كتاب" السيرة النبوية ", عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، العلامة, النحوي, الأخباري، توفي بمصر سنة: 213 هـ.

201 - معمر بن المثنى: أبو عبيدة التيمي العلامة البحر, من أئمة العلم بالأدب واللغة. توفي سنة: 209 هـ.

202 - أبو زيد الأنصاري, سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري: أحد أئمة الأدب واللغة. توفي سنة: 215 هـ.

203 - اليزيدي: إبراهيم بن يحيى بن المبارك، أبو إسحاق اليزيدي العدوي: أديب شاعر، أدب المأمون, وهو من ندمائه. توفي سنة: 225 هـ.

204 - الفراء: يحيى بن زياد، أبو زكرياء، الفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. عهد إليه المأمون بتربية ابنيه. كان عالما بأيام العرب وأخبارها عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. توفي سنة: 207 هـ.

205 - أبو نواس: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره. رحل إلى بغداد واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم. توفي سنة: 198 هـ.

206 - أبو العتاهية: إسماعيل بن مصطفى أبو العتاهية، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية: رأس الشعراء، الأديب الصالح الأوحد، توفي سنة: 211هـ.

207 - عمرو بن مسعدة: ابن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: العلامة البليغ, الشاعر, وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأموم، فرفع مكانته، وأغناه. توفي سنة: 217 هـ.

208 - الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. كان أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراآت. توفي سنة: 204 هـ.

209 - أحمد بن حنبل: قال الذهبي: هو الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل، أحد الأئمة الأعلام. توفي سنة: 241هـ.

210 - الجوزجاني: العلامة الإمام، أبو سليمان، موسى بن سليمان الجوزجاني الحنفي، صاحب أبي يوسف. عرض عليه المأمون القضاء فامتنع, فأعفاه. توفي بعد سنة:200 هـ.

211 - بشر الحافي: بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الاسلام، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين. قال المأمون: لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيى منه غير هذا الشيخ: بشر بن الحارث. توفي سنة: 227 هـ.

212 - معروف الكرخي: معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ: أحد أعلام الزهاد والمتصوفين, ولد ونشأ وتوفي ببغداد سنة: 200 هـ.

قال أبو عبيد([213]): انتهى العلم إلى أربعة – يعني علم الحديث – إلى أحمد بن حنبل، وعلي بن عبد الله([214])، ويحيى بن معين([215]). وأبي بكر بن أبي شيبة([216])، فأحمد أفقههم به، وعلي أعلمهم به، وابن معين أجمعهم له، وأبو بكر أحفظهم له.

وقد تعرض المحدثون في عصر المأمون إلى ابتلاءات عظيمة, كان من ورائها مجموعة من علماء السوء, الذين كانوا من وراء المأمون, حتى دعا الناس إلى بدعة القول بخلق القرآن وامتحنهم عليها.

نذكر منهم: أحمد بن أبي دواد([217]), والفضل بن سهل([218]), وثمامة بن أشرس([219]), وبشر المريسي([220]), وأبو الهذيل العلاف([221]), وإبراهيم بن سيار النظام([222]), وأبو بكر الأصم([223]), وبشر بن المعتمر الهلالي([224]), وغيرهم.

4- فتنة القول بخلق القرآن([225]):

عن يحيى بن أكثم قال: كنت عند المأمون وعنده قواد خراسان، وقد دعا إلى القول بخلق القرآن، فقال لهم: ما تقولون في القرآن ؟ فقالوا: كان شيوخنا يقولون: ما كان فيه من ذكر الحمير والجمال والبقر فهو مخلوق، فأما إذ قال أمير المؤمنين: هو مخلوق، فنحن نقول: كله مخلوق.وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومائتين، فأنكر الناس ذلك، واضطربوا، ولم ينل مقصوده، ففتر إلى وقت. وكان شيعيا. بعث مناديا، ينادي في الناس ببراءة الذمة ممن ترحم على

---

[213] - أبو عبيد: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله, الإمام الحافظ المجتهد, ذو الفنون، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. توفي سنة: 224 هـ.

[214] - ابن المديني: علي بن عبد الله بن جعفر، أبو الحسن: الإمام الحجة, محدث مؤرخ، كان حافظ عصره, له نحو مائتي مصنف توفي سنة: 234هـ.

[215] - ابن معين: الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا، يحيى بن معين، توفي سنة: 233هـ.

[216] - ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار، توفي سنة: 235هـ.

[217] - أحمد بن أبي دواد: القاضي الكبير, أبو عبد الله، أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي، الجهمي، عدو أحمد بن حنبل. كان داعية إلى خلق القرآن، توفي سنة:240هـ.

[218] - الفضل بن سهل: السرخسي، أبو العباس: وزير المأمون وصاحب تدبيره. كان يلقب " ذا الرئاستين " لأنه تقلد الوزارة والحرب, و كان شيعيا, منجما, ماكرا, من كبار الوزراء الممدحين, توفي سنة: 202 هـ.

[219] - ثمامة بن أشرس النميري، من كبار المعتزلة، كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون, توفي سنة: 213هـ.

[220] - بشر المريسي: بشر بن غياث المريسي معتزلي عارف بالفلسفة، يُرمى بالزندقة ، جرد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ودعا إليه؛ وكان رأس الجهمية. كان أبوه يهودياً قصاراً. وكان لا يعرف النحو ويلحن لحناً فاحشاً. توفي سنة: 218 هـ.

[221] - أبو الهذيل العلاف: رأس المعتزلة. قيل: إن المأمون قال لحاجبه: من بالباب؟ قال: أبو الهذيل، وعبد الله بن أبان الخارجي، وهشام بن الكلبي، فقال: ما بقي من رؤوس جهنم إلا من حضر. توفي سنة: 235هـ.

[222] - النظام: إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام, شيخ الجاحظ. من أئمة المعتزلة، تكلم في القدر، توفي سنة: 231هـ.

[223] - أبو بكر الأصم, عبد الرحمن بن كيسان، شيخ المعتزلة. فقيه, مفسر، توفي نحو سنة: 225 هـ.

[224] - بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل: فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة. يقال: إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه, توفي سنة: 210هـ.

[225] - الذهبي, المصدر السابق, 281/10.

معاوية، أو ذكره بخير. وقيل: إن المأمون لتشيعه أمر بالنداء بإباحة المتعة – متعة النساء – فدخل عليه يحيى بن أكثم، فذكر له حديث علي رضي الله عنه بتحريمها، فلما علم بصحة الحديث، رجع إلى الحق، وأمر بالنداء بتحريمها([226]).

وفي سنة 212هـ: أظهر المأمون تفضيل علي على الشيخين، وأن القرآن مخلوق. وصمم على امتحان العلماء في سنة ثماني عشرة، وشدد عليهم، فأخذه الله. وكان يجل أهل الكلام، ويتناظرون في مجلسه. وبالغ في محنة القرآن، وحبس إمام الدمشقيين أبا مسهر، بعد أن وضعه في النطع للقتل، فتلفظ مكرها([227]).

وكتب المأمون إلى نائبه على العراق إسحاق بن إبراهيم الخزاعي كتابا يمتحن العلماء، يقول فيه: " وقد عرفنا أن الجمهور الأعظم والسواد من حشو الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر لهم ولا روية، أهل جهالة وعمى عن أن يعرفوا الله كنه معرفته، ويقدروه حق قدره، ويفرقوا بينه وبين خلقه، فساووا بين الله وبين خلقه، وأطبقوا على أن القرآن قديم، لم يخترعه الله، وقد قال: (إنا جعلناه قرآنا) فكل ما جعله فقد خلقه، كما قال: (وجعل الظلمات والنور)، وقال: (نقص عليك من أنباء ما قد سبق)، فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها. وقال: (أحكمت آياته ثم فصلت) والله محكم له، فهو خالقه ومبدعه " إلى أن قال: " فمال قوم من أهل السمت الكاذب والتخشع لغير الله إلى موافقتهم، فرأى أمير المؤمنين أنهم شر الأمة ولعمرو أمير المؤمنين، إن أكذب الناس من كذب على الله ووحيه، ولم يعرف الله حق معرفته. فأجمع القضاة، وامتحنهم، فيما يقولون، وأعلمهم أني غير مستعين في عمل، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه، فإن وافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود، ومسألتهم عن علمهم في القرآن، ورد شهادة من لم يقر أنه مخلوق "([228]).

" وكتب المأمون أيضا في أشخاص سبعة، محمد بن سعد، وابن معين، وأبي خيثمة، وأبي مسلم المستملي، وإسماعيل بن داود، وأحمد الدورقي، فامتحنوا فأجابوا. قال ابن معين: أجبنا خوفا من السيف "([229]) .

وكتب بإحضار من امتنع منهم: أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد، وأبي حسان الزيادي، والقواريري، وسجادة، وعلي بن الجعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وعلي بن أبي مقاتل، وذيال

---

226 - الذهبي, المصدر السابق, 281/10.
227 - نفس المصدر.
228 - الذهبي, المصدر السابق, 285/10.
229 - ينظر: نفس المصدر.

بن الهيثم، وقتيبة بن سعيد، وسعدويه، في عدة، فتلكأ طائفة، وصمم أحمد وابن نوح، فقيدا، وبعث بهما، فلما بلغا الرقة، تلقاهم موت المأمون، وكان مرض بأرض الثغر، فلما احتضر، طلب ابنه العباس ليقدم، فوافاه بآخر رمق، وقد نفذت الكتب إلى البلدان، فيها: وأشهد على نفسه عند الموت أن عبد الله بن هارون أشهد عليه أن الله وحده لا شريك له، وأنه خالق، وما سواه مخلوق، ولا يخلو القرآن من أن يكون شيئا له مثل، والله لا مثل له. وأوصى أخاه بذلك. ومات في رجب، في ثاني عشره، سنة ثمان عشرة ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة([230]).

لقد سيطر فكر المعتزلة وعقيدة الشيعة على القصر العباسي في خلافة المأمون, بسبب بطانته الفاسدة, فمجالسه العلمية يديرها ابن أبي دؤاد, والمريسي, وثمامة بن أشرس, وغيرهم من رؤوس الاعتزال وأرباب الانحراف, ووزارته يسوسها الفضل بن سهل السرخسي الشيعي وغيره, فتشبع المأمون من هذين الموردين بعقيدة الشيعة والمعتزلة, فحمل الناس على ما حملهم عليه, وكان يقيم مجالس المناظرات في قصره, حتى ينتصر لمذهبه الذي يدعو إليه.

ومن بين أشهر المناظرات المطولة التي حدثت في قصره آنذاك:

1- مناظرة عبد العزيز الكناني المكي مع بشر بن غياث المريسي حول القول بخلق القرآن([231]).

2- احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)**([232]).

3- مناظرة المأمون لعلي الرضا في فضل علي بن أبي طالب**(رضي الله عنه)** ([233]).

4- مناظرة المأمون للمرتد الخراساني([234]).

5- مناظرة المأمون لبعض الخوارج([235]).

وهناك مناظرات كثيرة تتردد في مواقع المذاهب الشيعية بمختلف اتجاهاتها, يجعلونها حجة لعقائدهم, وينسبونها في كل مرة لشخص من الأشخاص الذين يرون فيهم إمكانية تحملها. ونذكر على سبيل التمثيل ما ينسبونه للإمام علي بن موسى الرضا في مناظرته للمأمون حول عصمة الأنبياء, ومناظرته لأصحاب الأديان في حضرة المأمون وغيرها.

---

230 - نفس المصدر.

231 - واشتهرت باسم كتاب: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن, لأبي الحسن عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي, والكتاب طبع بتحقيق وتعليق: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار الفرقان, القاهرة, مصر, ط1, 2009م.

232 - الأندلسي, ابن عبد ربه, العقد الفريد, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط3, 2006م. 349/5.

233 - نفس المصدر, 359/5.

234 - نفس المصدر. 223/2.

235 - الذهبي, المصدر السابق, 278/10.

وقد أعرضت عن ذكرها بسبب افتقارها للأدلة التي تبرهن على صحة ثبوتها وانقطاع أسانيدها, بل معظمها مما لا إسناد له ألبتة.

ثانيا:المناظرات في بلاط المأمون

1- مناظرة الكناني للمريسي في القول بخلق القرآن:

قال الخطيب البغدادي: " عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (...) قدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن, وهو صاحب كتاب " الحيدة " , وكان من أهل الفضل والعلم, وله مصنفات عدة, وكان ممن تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته. توفي سنة: 240هـ"([236]).

اتفق علماء التاريخ والتراجم والسير جميعا, على أن هذه المناظرة قد وقعت حقا بينهما, في حضور جمع من العلماء وعلى رأسهم الخليفة عبد الله المأمون, إلا أنهم اختلفوا في نسبة الكتاب " كتاب الحيدة " لعبد العزيز الكناني, على أنه كتبه فيما بعد، أم أنه وضع عليه.

ومن أشهر العلماء الذين أثبتوا صحة الكتاب: ابن النديم في الفهرست, والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد, وابن الجوزي في المنتظم, والحافظ المزي في تهذيب الكمال, وشيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عدة من كتبه, والحافظ ابن القيم في شفاء العليل, والحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب([237]).

وأما من نفى صحة ثبوته, فالحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال, وتابعه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى. قال الذهبي في ترجمة " الكناني ": " لم يصح إسناد كتاب الحيدة إليه، فكأنه وضع عليه "([238]). واتهم الذهبي أبا بكر محمد بن الحسن بن أزهر بن حسين القطايعي بوضعه, وهو أحد رواة الكتاب, قال فيه: محمد بن الحسن بن أزهر الدعاء. اتهمه أبو بكر الخطيب بأنه يضع الحديث. قلت: هو الذي انفرد برواية كتاب الحيدة. رواه عنه أبو عمرو بن السماك، ورأيت له حديثا إسناده ثقات سواه، وهو كذب: في فضل عائشة. ويغلب على ظني أنه هو الذي وضع

---

[236] - ينظر: الخطيب البغدادي, أبو بكر أحمد بن علي, تاريخ بغداد, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط2, 2004م, 448/10.

[237] - ينظر: الكناني, أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى, الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن, تح: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار الفرقان, القاهرة, مصر, ط1, 2009م.

[238] - الذهبي, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان, ميزان الاعتدال في نقد الرجال, تح: علي محمد البجاوي, دار المعرفة, بيروت, 639/2.

كتاب الحيدة، فإني لأستبعد وقوعها جدا "([239]). وقد ذكره سبط ابن العجمي في كتابه: " الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث "([240]).

وأما السبكي فقد تمسك بحجة الذهبي, وزاد بأن في الكتاب أمورا مستشنعة.

وقد رد بعض الباحثين قول الذهبي([241]), وجزم بصحة نسبة الكتاب. وقالوا: لا عبرة بما ذكره السبكي, وعضدوا الرواية التي جاءت فيها نسبة الكتاب برواية أخرى من طريق ابن بطة العكبري رواها في كتابه (الإبانة الكبرى), قال ابن بطة: " أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين علي بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن علي بن البسري، قال: أخبرنا أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة رضي الله عنه إجازة، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال: حدثنا أبو أيوب عبد الوهاب بن عمرو النزلي، قال: حدثني أبو القاسم العطاف بن مسلم، قال: حدثني الحسين بن بشر، ودبيس الصائغ، ومحمد بن فرقد، قالوا: قال لنا عبد العزيز بن يحيى المكي الكناني: أرسل لي أمير المؤمنين المأمون فأحضرني"([242]). وقالوا: هذا إسناد نظيف, يثبت صحة الكتاب.

والذي يظهر من هذه الأقوال جميعا أن نسبة الكتاب فيها نظر, لضعف الراوي الذي ورد ذكره في سند الكتاب, وقد ضعفه الذهبي بقدح الخطيب البغدادي فيه واتهامه بالوضع, وأما الرواية الثانية التي صحح بها بعض الباحثين نسبة الكتاب, فلا عبرة بها من هذه الجهة, لأنه قد جاء فيها ذكر المناظرة التي تعتبر واقعة تاريخية جزم بوقوعها المؤرخون من قبل, لا من جهة نسبة الكتاب لصاحبه, وهذا يظهر من خلال حكاية الرواة : الحسين بن بشر، ودبيس الصائغ، ومحمد بن فرقد، فقد قالوا: قال لنا عبد العزيز بن يحيى المكي الكناني، فذكروا ثبوت المناظرة ولم يذكروا الكتاب ولا أشاروا إليه.

وعلى كل حال, فالمناظرة ثابتة الوقوع في زمن الخليفة العباسي عبد الله المأمون, وأما النص الذي سنعتمده في الدراسة فهو ما ثبتت نسبته لقائله من طريق ابن بطة في كتابه الإبانة, مع الإشارة إلى بعض المواضع المهمة في كتاب الحيدة والتي لها علاقة مهمة بالبحث.

2- مناظرة المأمون لفقهاء عصره في فضل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

---

[239] - نفس المصدر, 517/3.

[240] - سبط ابن العجمي, برهان الدين الحلبي, الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث, تح: علي صبحى السامرائي, عالم الكتب مكتبة النهضة العربية, ط1, 1987 م. ص224.

[241] - ينظر: الكناني, عبد العزيز, المصدر السابق, ص11.

[242] - ابن بطة, عبيد الله بن محمد العكبري, الإبانة الكبرى, تح: الحسن بن عباس, دار الفاروق الحديثة, القاهرة, مصر, ط1, 2008م, 479/5.

اشتهرت هذه المناظرة في هذه الأيام على شبكات الإنترنت بشكل يلفت الانتباه, لا سيما المواقع التي تبث عقائد الشيعة, وأصل المناظرة رواه ابن عبد ربه في كتابه " العقد الفريد ", وهو الكتاب الوحيد الذي نقل لنا هذا النص, ولا يكاد يعرف في كتاب غيره.

فقال ابن عبد ربه([243]): " إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل عن حماد بن زيد قال: بعث إليَّ يحيى بن أكثم([244]) وإلى عدّة من أصحابي، وهو يومئذ قاضي القضاة، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن احضر معي غدا مع الفجر أربعين رجلا كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب، فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين ... ".

وهذا نص بائن عوره, وأظنه تصحيف في النسخ، وإلا فمتى أدرك المأمون حماد بن زيد, المتوفى سنة: 179هـ, وعمر المأمون يومئذ تسع سنوات, فإذا تقرر هذا وجب البحث عن الفقيه الذي كلمه يحي بن أكثم, وناظره المأمون, فإن ابن عبد ربه يروي أثناء المناظرة الأقوال منسوبة إلى " إسحاق ".

وبالرجوع إلى كتب التراجم, نجد في الرواة راو اسمه: إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل, وهو أبو عمران العنزي, روى عن أحمد بن صالح المصري وعنه الفضل بن عبيد الله الهاشمي, ضعفه الدارقطني "([245]). وهذا يستبعد أن يكون هو الراوي المذكور في سند المناظرة,لأنه لم يدخل على المأمون ولا جلس إليه, هذا إن ثبتت معاصرته له.

ويحتمل أن يكون إسحاق هذا المذكور في المناظرة هو: إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد, والد إسماعيل القاضي. لأنه كان أمينا ليحيى بن أكثم وزير المأمون, وهو ثقة([246]). ويقارب أن يدور نص المناظرة بينه وبين المأمون. لكن يبقى الشيء الذي يعكر صفو ثبوتها هو الحلقة المفقودة بين ابن عبد ربه صاحب الكتاب الوحيد الذي وردت فيه المناظرة, والراوي الذي دار النص حوله, فإن الاعتماد على أنه إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ضعيف, فهو مجرد احتمال, لأن الذي ورد ذكره في الكتاب هو إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل, وهذا اسم يختلف عن الذي أوردناه.

---

[243] - الأندلسي, ابن عبد ربه, المصدر السابق, 349/5.

[244] - يحيى بن أكثم: يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد: قاضي، رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، اتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة, ثم قضاء القضاة ببغداد. وأضاف إليه تدبير مملكته، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه. وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد. توفي سنة: 242 هـ. وأضاف إليه تدبير مملكته، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه. وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد. توفي سنة: 242 هـ.

[245] - العسقلاني, ابن حجر أحمد بن علي بن محمد, لسان الميزان, تح: عبد الفتاح أبو غدة, 143/1.

[246] - نفس المرجع.

تنوعت المواقع الشيعية على شبكة الإنترنت وتعددت في نقل هذه المناظرة, والاحتجاج بها على تفاضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)**, خاصة وأنها وردت على ألسنة قوم لا يظهر انتسابهم المباشر للشيعة, لذلك فهم يتكاثرون بذكرها والاعتماد على ما جاء فيها من أدلة وحجج تبرهن على تلك الأفضلية, لكنها تبقى حججا يستطيع علماء السنة دحضها والرد عليها من وجوه متعددة, وهذا ما تيقن منه علماء الشيعة في هذه الأيام, فعرفوا أن هناك منافذ يُستطاع النفوذ إليها والرد على البراهين الواردة فيها, فتداركوا الموقف ونشروا في مواقعهم نفس المناظرة ولكن بصيغة أخرى, ومما تداركه هؤلاء تصحيح الخطأ الوارد في سند كتاب العقد الفريد, فقال ناقلها تحت عنوان: "**مناظرة المأمون لفقهاء عصره**": عن إسحاق بن حماد بن زيد، قال: جمعنا يحيى بن أكثم القاضي، قال: أمرني المأمون بإحضار جماعة من أهل الحديث، وجماعة من أهل الكلام والنظر، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلا، ثم مضيت بهم فأمرتهم بالكينونة في مجلس الحاجب لأعلمه بمكانهم ففعلوا، فأعلمته فأمرني بإدخالهم فدخلوا فسلموا، فحدثهم ساعة وآنسهم..."([247]), وقال في حاشيته: " هذه المناظرة مروية في عيون أخبار الرضا ــ عليه السلام ــ. وهي نفسها المناظرة السابقة ــ مناظرة المأمون مع الفقهاء المروية في العقد الفريد ــ وقد آثرنا ذكرهما كلتيهما لما فيهما من التفاوت والاختلاف الكبير, إلا أن هذه المناظرة أكمل وأوسع وفيها بحوث شتى وفوائد جمة "([248]).

إن هذا الناقل يدرك تماما تلك المواطن, التي يستطيع أن يرد فيها أهل السنة على الحجج المذكورة في المناظرة على لسان المأمون في تفضيل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – على أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –, من أجل ذلك وضع هذه المناظرة قصد غلق باب الاستدراكات عليها, وأبسط نظرة يقلبها الدارس بين أسطرها يدرك حقيقتها المزعومة.

ودون الخوض في باقي التفاصيل التي تزيد في قوة الشكوك حول صحة نسبة المناظرة للمأمون, أكتفي بالإشارة إلى وضع وخلق المناظرة الثانية التي ادعى فيها صاحبها بأنها أكمل وأوسع من الأولى. والمنصف حقا لا يزيد على أن يطلب مصدر تلك المناظرة المزعومة, ويود معرفة هذا الذي سماه: " عيون أخبار الرضا ــ عليه السلام ــ " ما هو؟ ومن مؤلفه إن كان كتابا؟ وأين سنده في روايته؟

---

[247] - ينظر: موقع: دجلة نات (dijh.net), و: شبكة نفحات عشق (عشق محمد وآل محمد عليهم السلام), و: مركز البيت العالمي للمعلومات (Al-shia.org), بعنوان: مناظرة المأمون مع علماء العامة. بتاريخ:07 جانفي 2012م, على الساعة: 17:00سا.

[248] - ينظر: موقع: دجلة نات (dijh.net), و: شبكة نفحات عشق (عشق محمد وآل محمد عليهم السلام), و: مركز البيت العالمي للمعلومات (Al-shia.org), بعنوان: مناظرة المأمون مع علماء العامة. بتاريخ:07 جانفي 2012م, على الساعة: 17:00سا.

وعلى كلٍ, فالذي يهمنا هو دراسة بنيتها, لا صحة نسبتها, فالنص يبقى مادة خاما, وأرضا خصبة تستهوي الدارسين كي يدلوا فيها بآرائهم, ويأخذوا منها أنصبتهم, كل بحسب اتجاهه وزاوية نظره, وما أتاه الله من علم.

هذا بالنسبة للمناظرة الأولى والثانية, وأما الثالثة والرابعة فقد أوردهما صاحب العقد الفريد دون إسناد, وأما الخامسة فقد رواها الذهبي في سير أعلام النبلاء عن يحيى بن أكثم.

3- مناظرة المأمون لعلي الرضا في فضل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

قال ابن عبد ربه:" قال المأمون لعليّ بن موسى الرِّضا: بِمَ تَدَّعون هذَا الأمر؟ قال: بقرابة عليّ مِن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم, وبقرابة فاطمة منه. فقال له المأمون: إنْ لم يكن ها هنا إلا القرابة، فقد خَلف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من أهل بَيته مَن كان أقربَ إليه من عليّ، أو مَن في مِثل قُعْدُده، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيان، فإذا كان الأمر كذلك، فإن عليًا قد ابتزَهما حقهما وهما صحيحان، واستولى على ما لا يَجب له. فما أجابه علي بن موسى بشيء "([249]).

4- مناظرة المأمون للمرتد الخراساني.

قال ابن عبد ربه:" وقال المأمون للمُرتد الخراسانيّ الذي أسلم على يَدَيه وحمله معه إلى العِراق فارتدَ عن الإسلام: أَخبرني ما الذي أَوْحَشك مما كنتَ به آنساً من دِيننا ؟ فو اللّه لأن أستحييك بحق، أحبّ إليَّ من أن أقتلُك بحق، وقد صِرْتَ مُسلماً بعد أن كنت كافراً، ثم عُدت كافراً بعد أن صِرْت مُسلماً، وإن وجدتَ عندنا دواءً لدائك تداويتَ به، وإن أخطأك الشفاء، وتَباعد عنك، كنتَ قد أبليتَ العُذْر في نَفْسك، ولم تُقَصرِّ في الاجتهاد لها، فإن قتلناك قَتَلْناك في الشَّريعة، وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار واليَقين، ولم تُفَرِّط في الدُّخول من باب الحزْم؛ قال المرتد: أوْحشني منكم ما رأيتُ من كثرة الاختلاف في دِينكم؛ قال المأمون: لنا اختلافان: أحدُهما كاختلافِنا في الآذان، وتكبير الجنائز، وصلاة العِيدين، والتشهّد، والتَّسليم من الصلاة، ووُجوه القراآت، واختلاف وُجوه الفُتيا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس باختلاف، وإنما هو تخيير وتَوْسعة وتخفيف من السنَّة، فمن أذّن مَثْنى وأقام مَثْنى لم يَأثم، ومَن ربع لم يأثم. والاختلاف الآخر كنَحْو اختلافنا في تأويل الآية من كتاب الله، وتأويل الحديث عن نبيّنا، مع اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عَينْ الخبر، فإن كان إنما أوْحشك هذا، فينبغي أن يكون اللفظُ بجميع التوراة

[249] - الأندلسي, ابن عبد ربه, المصدر السابق, 359/5.

والإنجيل متفقاً على تأويله كما يكون متفقاً على تَنزيله، ولا يكون بين اليهود والنَّصارى اختلافٌ في شيء من التأويلات، ولو شاء الله أن يُنزِّل كُتبه مُفَسَرة، ويجعل كلامَ أنبيائه ورسله لا يُختلف في تأويله لفَعل، ولَكنَّا لم نجد شيئاً من أمور الدَين والدُنيا وقع إلينا على الكِفاية إلا معِ طُولِ البحث والتَحْصيل والنَّظر، ولو كان الأمر كذلك لسَقَطت البَلْوى والمِحن، وذهَب التفاضل والتبايُن، ولمَا عُرف الحازم من العاجز، ولا الجاهل مِن العالم، وليس على " هذا " بُنِيت الدنيا. قال المُرتد: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأن المَسيح عبدُ اللّه، وأنَّ محمداً صادق، وأنك أمير المؤمنين حقّا "([250]).

5- مناظرة المأمون لبعض الخوارج.

قال الذهبي: " وعن يحيى بن أكثم قال: كان المأمون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء، فجاء رجل قد شمر ثيابه، ونعله في يده، فوقف على طرف البساط، وقال: السلام عليكم. فرد المأمون، فقال: أتأذن لي في الدنو ؟ قال: ادن، وتكلم، قال: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة أم بالغلبة والقهر ؟ قال: لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى أمر الأمة من عقد لي ولأخي، فلما صار الأمر إلي، علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين على الرضى بي، فرأيت أني متى خليت الأمر، اضطرب حبل الاسلام، ومرج عهدهم، وتنازعوا، وبطل الحج والجهاد، وانقطعت السبل، فقمت حياطة للمسلمين، إلى أن يجمعوا على من يرضونه، فأسلم إليه. فقال: السلام عليك ورحمة الله. وذهب، فوجه المأمون من يكشف خبره، فرجع، فقال: مضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا في هيئته، فقالوا: لقيت الرجل ؟ قال: نعم، وأخبرهم بما جرى، فقالوا: ما نرى بما قال بأسا، وافترقوا. فقال المأمون: كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب "([251]).

ثالثا: بنية المناظرات:

1- الأطراف المنتجة لها:

قد توصلنا في الدراسة النظرية إلى أن أول ركن تبنى عليه المناظرة هما طرفا النزاع, وبالنسبة للنصوص التي بين أيدينا يمكن أن نحددهم كالتالي:

في المناظرة الأولى كان:

الطرف الأول: ويمثله أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى الكناني، قدم بغداد في أيام المأمون، وكان من أهل العلم والفضل على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع, تفقه بالإمام

---

[250] - الأندلسي, ابن عبد ربه, المصدر السابق. 223/2.

[251] - الذهبي, المصدر السابق, 278/10.

الشافعي واشتهر بصحبته. دافع عن عقيدته في هذه المناظرة في المسألة الخطيرة التي اشتهرت على ألسنة العلماء؛ مسألة القول بخلق القرآن.

يسعى هذا الطرف إلى محاولة إقناع المتلقي ودحض أدلته, حتى يقاسمه قناعته التي هو عليها وتغيير رأيه, وقد اتبع في ذلك أسلوب الخطاب المتكون من شقيه: مخاطبة العقل, وتحريك العاطفة والتأثير فيهما بواسطة اللغة المستعملة, المدعومة بالحجج والبراهين. وانطلق هذا الطرف من معرفته بوضعية مخاطبه ورغباته وميوله, وقد وقف على المنطلقات والدوافع التي كانت لخصمه, واعتمد على سابق معرفته به حتى يتمكن من تحقيق غايته في كسر حجته وإسقاطها, وقد استطاع الكناني أن يُكون رصيدا معتبرا حول هذه العقيدة التي كانت تبث في الناس, وكانوا يمتحنون عليها وأنها مجرد شبه قد تبين عورها, وتيقن بطلانها, وأنها لا تقوم إلا على الجهل والضلال، ولم يغتر " بكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس لبشر على مذهبه وكفره وضلالته، والدخول في بدعته، والانتحال لمذهبه. فكان يدرك تماما الأقوال التي يتبناها خصمه, لذلك استعد الاستعداد التام لمواجهة خصمه, مع علمه بخطورة الوضع الذي سيكون فيه, وأنه معرض للتلف إن أخفق في تحقيق النتيجة التي جاء من أجلها, ويبين خطر ذلك في قوله: " وكل من أظهر مخالفتهم وذم مذهبهم، أو أتاهم بذلك أحضر، فإن وافقهم ودخل في كفرهم وأجابهم إلى ما يدعونه إليه وإلا قتلوه سراً، وحملوه من بلد إلى بلد، فكم من قتيل لم يُعلم به، وكم من مضروب قد ظهر أمره, وكم ممن أجابهم واتبعهم على قولهم من العلماء, خوفا على أنفسهم لما عرضوا على السيف والقتل أجابوا كرها "([252]).

يطلق على هذا الطرف في هذه العملية اسم المُحَاج, باعتباره صاحب المبادرة في تقديم الحجج التي يسعى من خلالها إلى بناء فكرته وإسقاط فكرة خصمه. أما من حيث مواقفه فهي مواقف معارضة تامة للفكرة المطروحة, فقد اتخذ موقف الضد اتجاه الخبر المبثوث للنقاش, والتزم بموقف ثابت بالنسبة للحجاج, وأخذ أهبته للدخول في العملية الحجاجية التي أخذت شكلا جدليا بقصد منه, ودون علم خصومه, مع بذل الجهد في ستره حتى يفاجئهم به, وقد أخبر عن ذلك بقوله: " **وجعلت أستر أمري وأخفي خبري عن الناس جميعا خوفا من أن يشيع خبري، ويعلم بمكاني فأُقتل قبل أن يُسمع كلامي، فأجمع رأي على إظهار نفسي وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق والأشهاد، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم، وأن يكون ذلك في مسجد الجامع في يوم الجمعة، وأيقنت أنهم لا يحدثوا على**

[252] - الكناني, عبد العزيز, المصدر السابق, ص22.

حادثة، ولا يعجلون عليه بقتل وغيره من العقوبة بعد إشهار نفسي، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق إلا بعد مناظرتي والاستماع مني "([253]).

الطرف الثاني: ويمثله سلطتان: سلطة العلم: وعلى رأسها: بشر بن غياث المريسي ومن كان معه من علماء المعتزلة([254]), وسلطة الدولة: وتتمثل في الخليفة المأمون وحاشيته. وهما: الطرف المقصود بعملية الحجاج.

والخصم في هذا النص تمثله مجموعة أشخاص يسعى المخاطِب إلى إقناعها والتأثير فيها من خلال خطابه. فهم فاعل مهتم بالخبر نفسه إشكاليةً وحقيقةً, وهم من يشكل هدف الحجاج, ويتوجه إليهم الفاعل المحاجج على أمل استدراجهم نحو تغيير مواقفهم, ولهم الحق في قبول ذلك أو رفضه, فإما: (أن يكونوا مع الفكرة) أو(أن يكونوا ضدها).

أما المناظرة الثانية فكان:

الطرف الأول: الخليفة المأمون, الذي يعتبر فاعلا مباشرا في هذه العملية الحجاجية, التي يسعى من ورائها إلى بث قناعته في خصومه, وإرغامهم على تبني مواقفه, من خلال ما يقدمه من أدلة وحجج يدحض بها حججهم المقابلة لإسقاط أفكارهم.

وقد كان المأمون يعرف مواقف خصمه جيدا, كما يعرف الأدلة التي كانوا يستندون عليها, لذلك كانت المبادرة في الاجتماع واللقي من أجل المناظرة من فعله هو, كما كانت المبادرة في المناظرة الأولى من فعل الكناني. ويمكن أن نعتبر أكبر شاهد على معرفة هذا الخصم بإمكانيات خصمه هو عدم اكتراثه بعددهم, قال القاضي يحيى بن أكثم لمن أراد المأمون مناظرته: " إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غدا مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب"([255]).

الطرف الثاني: كان الطرف الثاني في هذه المناظرة متمثلا في الفقهاء الذين جمعهم ابن أكثم وعلى رأسهم: " إسحاق ", الذي دار معه النزاع وتصدى لخصومة المأمون, وهو في نظري شخصية حقيقية وضعت على لسانها هذه الأقوال, والدليل على ذلك الخطأ الذي وقع في سند المناظرة, لأن الناقل الوحيد لنصها هو صاحب العقد الفريد كما تقدمت الإشارة إلى ذلك, والنص

---

[253] - الكناني, عبد العزيز, المصدر السابق, ص21.

[254] - المعتزلة: اسم يطلق على فرقة من الفرق الإسلامية, ظهرت في القرن الثاني الهجري, بزعامة " واصل بن عطاء ", سموا بذلك لاعتزاله مجلس الحسن البصري. ويرون أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وينكرون جميع صفات الله، والقول بأن القرآن محدث ، وأن الله لا يرى في الآخرة، وهم فرق متنوعة لهم أصول معروفة. ينظر: الحكمي, حافظ بن أحمد معارج القبول، تح: محمد صبحي حلاق, دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ط5, 1427هـ, 304/1.

[255] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 349/5.

مروي عن حماد بن زيد الذي مات في زمن لم يتجاوز فيه المأمون تسع سنوات فاستحال وقوع ذلك, فإن قال قائل: إنما هو: إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل، فتصحفت كلمة (بن) ووقعت مكانها كلمة (عن) فجاء السند: إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل عن حماد بن زيد بدل: إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد, قلت: إنما إسحاق هذا هو أبو إسماعيل إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد, وفي نسبه زيادة إبراهيم الذي لم يذكر في هذا النسب عند أصحاب التراجم والطبقات. لذلك أرى أن ممثل جماعة الفقهاء في هذه المناظرة والمتحدث باسمهم؛ شخصية حقيقية جيء بها لتؤدي دورا معينا, أخطأ الواضع لها في هذا المكان بسبب عدم انتباهه لصحة نسبه, فحمله أعباء الأقوال والإلزامات داخل النص مما لا يتحمله. ومما يزيد في قوة شكي أن الذي كان يدير نص الحوار أو الذي يمكن أن نسميه منتج النص؛ قد جعل من إسحاق هذا دمية ينطقها متى شاء ويسكتها متى شاء، وهذا ما سيتأكد عند دراستنا للحجج والأدلة.

ويبقى الطرف المحاجج في المناظرات المتبقية دائما هو الخليفة المأمون, مع تنوع خصومه.

بينما الطرف المحجوج في المناظرة الثالثة تمثل في شخصية علي بن موسى الرضى([256]), وفي الرابعة في شخص غلام نصراني أسلم على يد المأمون ثم ارتد وبدل إسلامه بالكفر, وفي الخامسة كان شخصية مبهمة تمثل اتجاها ومذهبا وفرقة قوية تتصدى للحكام تعرف بالخوارج([257]).

2-التوطئة:

وأقصد بها تلك الأجواء التي تكون بين يدي المناظرة وتتقدمها, وعادة ما تكون مقصودة مصطنعة من الطرف المحاج, وفيها يهيئ الأجواء التي تساعده من كل جانب في آداء ما يسعى ويطمح إليه على الوجه الذي يكون قد رسمه وخطط له من قبل, وهذا أمر جد مهم في العملية الحجاجية ولا سيما الجدلية منها. ويعرف هذا الصنيع عند القادة الميدانيين في الحروب, فالقائد

---

[256] - علي الرضى: علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى: ثامن الائمة الإثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم. أحبه المأمون، وعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير من أجله الزي العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون، وهو في " طوس " وبايعوا لعمه إبراهيم ابن المهدي، فقصدهم المأمون بجيشه، فاختبأ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون. مات علي الرضى في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة.توفي سنة: 203هـ.

[257] - الخوارج: فرقة من الفرق الإسلامية, خرجت على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه), لها عدة ألقاب منها: الحرورية والبغاة والمارقة, وهم يكفرون أصحاب الكبائر, ويقولون بأنهم مخلدون في النار, ويرون وجوب الخروج على الحاكم المسلم الجائر, ويكفرون كبار الصحابة كعلي وأبي موسى وعائشة (رضي الله عنهم). انظر: الحكمي, المرجع السابق, 752/2.

الذي يستطيع أن يجر عدوه إلى الأرض التي يعرفها, هو من يستطيع حسم نتائج المعركة قبل بدايتها, ومثاله ما وقع مع المسلمين في اختيار أرض غزوة بدر الكبرى.

أما في المقابلات الكلامية والمباريات الفكرية؛ فيكون من هيأ الأجواء أولا هو صاحب الحظ الأوفر في الانتصار, لأن تفكيره في هذه الجزئية وتهيئتها يدل على أنه قد عرف خصمه وجوانب القوة والضعف فيه جيدا, لذلك اختار له.

وهذا ما يظهر جليا في النصوص التي بين أيدينا, ففي النص الأول؛ كان استعداد عبد العزيز الكناني من أول المناظرة إلى دخوله القصر واضحا, حيث أنه اصطنع حيلة توصله إلى قصر المأمون والوقوف بين يديه بسلام مع علمه التام بخطورة فعله, فصرح بمعتقده الذي يخالف فيه المأمون ومن معه على مرأى ومسمع الجميع في يوم الجمعة الحافل بالناس, حتى لا يؤخذ ويقتل خفية كما كان يفعل بغيره, وقد قصد المجاهرة والتحدي لعلماء المعتزلة الذين كانوا يزعمون مواجهة كل من يخالفهم بالحجة قبل أن يقمعوه بقوة السلطان. فبين ذلك ليلزمهم الجلوس والتناظر حول ما يدعونه.

وأما بالنسبة للنص الثاني فقد هيأ المأمون جوا آخر, أراد به إقامة الحجة على خصومه وقطع السبل عنهم من كل وجه, ذلك أنه دعاهم إلى الانبساط التام والتعامل معه على أنه كباقي البشر, لا سلطة له عليهم ولا ملك, وإنما السلطة للحجج والبراهين, فخلع عنه زي الملك كأول برهان منه على صدق ما بينه لهم, قال ابن أكثم : " **فدخلنا فإذا أمير المؤمنين جالس على فراشه، وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته، فوقفنا وسلّمنا، فرد السلام وأمر لنا بالجلوس، فلما استقرّ بنا المجلس انحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته ثم أقبل علينا، فقال: إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك، وأما الخف فمنع من خلعه علة، من قد عرفها منكم فقد عرفها، ومن لم يعرفها فسأعرفه بها، ومد رجله، وقال: انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم. قال: فأمسكنا, فقال لنا يحيى: انتهوا إلى ما أمركم به أمير المؤمنين** "[258].

ولم يكتف المحاج بهذا فحسب, بل تبين من خلال كلامه في هذه التوطئة أن ثقته بنفسه بلغت درجة عالية, جعلته يعمل على قطع كل السبل وإبطال كل الحجج التي تمكن خصمه من التملص من قبضته التي أعدها له أثناء فصول المناظرة. فهو يدرك عادة هذه المجالس طول مدة بقائها, وقد يحتاج المتناظر فيها إلى بعض الوقت حتى يتمكن من قضاء حاجاته وبذلك قد يفر من

[258] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 350/5.

حجج خصمه بقطعه لنفس المناظرة. وقد بين ذلك في قوله: " **إنما بعثت إليكم معشر القوم في المناظرة، فمن كان به شيء من الأخبثين لم ينتفع بنفسه, ولم يفقه ما يقول، فمن أراد منكم الخلاء فهناك...** "([259]). وهذه خصلة تحسب للمأمون على خصمه, فهو بدوره أخذ أهبته كاملة واستعد غاية الاستعداد لما أعد لهم.

ومن تمام ذكائه ونبل نفسه؛ كأنه في تمهيده لأجواء المناظرة يحاول تخفيض درجة ضغط أجواء النزاع والخصومة عنهم, وقد فعل ذلك في المناظرتين كلتيهما.

أما المناظرة الأولى, فقد قال عبد العزيز الكناني: " **ورأيت شخصه على ما بي من الروعة والجزع والخوف، وجعل ينظر إلي وأنا ارتعد وانتفض، فأحب أن يؤنسني وأن يسكن عني ما قد لحقني وأن ينشطني، فجعل يكثر كلام جلسائه ويكلم خليفته عمرو بن مسعدة، ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج أن يتكلم بها يريد بذلك كله إيناسي، وجعل يطيل النظر إلى الإيوان، ويدير طرفه فيه، فوقعت عينه على موضع من نقش الجص قد انتفخ، فقال: يا عمرو أما ترى هذا الذي قد انتفخ من هذا النقش، وسيقع فبادره في يومنا هذا، فقال عمرو: قطع الله يد صانعه، فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا** "([260]).

وهذا اعتراف صريح من خصمه في إثبات هذه الصفة التي تكررت منه في المناظرة الثانية, والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على سعة تبحره في العلوم ونبل أخلاقه في الجدال والخصومات, ولا يتأتى ذلك إلا لبعض الخاصة دون بعض. ففي المناظرة الثانية جعل عقول خصومه تتشاغل ببعض المسائل الفقهية حتى يستأنسوا بمجلسه, لأنه يدرك هيبة الملك في نفوس الرعية من حيث إجلالهم له وجلوسهم معه, وهذه طبيعة بشرية جبلت عليها الأنفس. قال ابن أكثم: " **ثم ألقى مسألة من الفقه. فقال: يا محمد، قل، وليقل القوم من بعدك، فأجابه يحيى، ثم الذي يلي يحيى، ثم الذي يليه، حتى أجاب آخرنا، في العلّة وعلّة العلة وهو مطرق لا يتكلم، حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى. فقال: يا أبا محمد، أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة. ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته، ويخطئ بعضنا ويصوب بعضنا، حتى أتى على آخرنا** "([261]).

ويبقى المأمون يقطع السبل على خصمه, سبيلا سبيلا, ليوصله إلى درجة الاستعداد التام لإجراء المناظرة في أجواء عادية, حتى إذا آنس منه رشدا خاصمه, كل ذلك حتى لا يبقى

---

[259] - نفس المصدر , 350/5.

[260] - الكناني, المصدر السابق, ص27.

[261] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 351/5.

لخصمه ما يتعلق به من تبريرات إن هو عجز عن المناظرة, ويكمل الكناني تبيين ذلك له بعد ما سأله عن اسمه وانتسابه, فيقول: " **ثم أقبل علي فقال: من أين الرجل، قلت: من الحجاز، قال: من أي الحجاز، قلت: من مكة، قال: ومن تعرف من أهلها، قلت: يا أمير المؤمنين كل من بها من أهلها أعرفه إلا رجلا ضوى إليها وجاور بها من الغرباء فإني لا أعرفه، قال: فهل تعرف فلانا، هل تعرف فلانا حتى عد جماعة من بني هاشم كلهم أعرفهم حق معرفتهم، فجعلت أقول: نعم أعرفه، وسألني عن أولادهم وأنسابهم فأخبره من غير حاجة به إلى شي من ذلك، ولا مما تقدم من مسألتي وإنما يريد به إيناسي وبسطي للكلام، وتسكين روعتي وجزعي، فقوى بها ظهري، واشتد بها قلبي، واجتمع بها فهمي، وعلا بها جدي، وانشرح بها صدري، وانطلق بها لساني، ورجوت بها النصر على عدوي** "([262]).

3- مراحل المناظرة:

أ) الأطروحة أو الإشكالية:

وهي ما يعرف في فن المناظرة **بمرحلة المبادئ** و فيها يتم تعيين محل النزاع.

ولقد اختلفت الأطروحات أو الإشكاليات في هذه المناظرات, وتعدد فيها محل النزاع باعتبار الأطراف المنتجة لنصها: ففي الأولى: كان الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة حول القضية المتعلقة بالسؤال التالي:

- هل القرآن كلام الله أم هو مخلوق ؟

حيث ذهب المعتزلة والجهمية([263]) إلى القول بخلق القرآن, ورد أهل السنة والجماعة هذا القول وحكموا بكفر قائله. وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسألة وما يتعلق بها عند كلامنا على ما فعله المأمون في شأنها وشأن أصحابها. وهو من الذين تبنوا معتقد القول بخلق القرآن ودافع عنه, وصرح بذلك لعبد العزيز الكناني في قوله: " **يا عبد العزيز إنه اتصل بي ما كان منك في قيامك في المسجد الجامع، وقولك إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبحضرة الخلق على رؤوس الأشهاد، ومسألتك بعد ذلك الجمع بينك وبين مناظريك على هذه المقالة بحضرتي وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم، وقد جمعتك والمخالفين لك لتتناظروا بين يدي, وأكون أنا**

---

[262] - الكناني, المصدر السابق,ص27.

[263] - الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان الذي قال: بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات لها، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به، وزعم أيضا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان. انظر الحكمي, المرجع السابق, 155/1.

الحكم فيما بينكم فإن تكن لك الحجة والحق معك تبعناك، وإن تكن لهم الحجة عليك والحق معهم عاقبناك "([264]).

حول هذا الموضوع اجتمع الكناني مع المريسي وأتباعه, ودار الجدال وأقيمت حجج وهدمت أخرى, وكل يدعي صحة ما قال في إشكالية واحدة ظاهرة, اتفق الطرفان جميعا على طرحها ومناقشتها بحضرة الخليفة المأمون, مع استقلال كل واحد برأيه الخاص فيها.

أما إشكالية النص الثاني, فهي قضية خلافية بين أهل السنة والشيعة حول خيرية وأفضلية أحد الرجلين على صاحبه, وعلى نتيجة الخلاف تقوم الأحقية بالخلافة لأحدهما. فالمقرر عند أهل السنة والجماعة تفضيل أبي بكر الصديق على علي بن أبي طالب **(رضي الله عنهما)**, وأنه الأولى بالخلافة منه, وهذا ما كان عليه إجماع الصحابة **(رضي الله عنهم)**. وأما الشيعة على تعدد مذاهبهم فهم يرون الأحقية لعلي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)**, وأنه الخليفة المظلوم صاحب الحق المهضوم.

وقد تبنى هذه الإشكالية الخليفة المأمون وناظر عليها فقهاء عصره كما زعم منتج النص, حيث قال: " **أحببت أن أنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به. قلنا: فليعمل أمير المؤمنين وفّقه الله. فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ خير خلق الله بعد رسوله ــ صلى الله عليه وآله ــ وأولى الناس بالخلافة له**"([265]).

وقد جاء الرد من " إسحاق " بنفي ما ادعاه الخليفة ليكوم بذلك الإذن بالدخول في الخلاف والنزاع والتناظر, قال" إسحاق ": " **فقلت: يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة. فقال: يا إسحاق، اختر، إن شئت سألتك أسألك، وإن شئت أن تسأل فقل. قال إسحاق: فاغتنمتها منه، فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين. قال : سل**"([266]). وبعد هذا القول بدأت المناظرة في مراحلها الحاسمة.

وأما إشكالية المناظرة الثالثة, فدارت بين المأمون والرضا حول أفضلية علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)** أيضا, لكن الخليفة في هذه المرة تبنى الموقف المخالف؛ أي أنه يرى عكس ما كان يناظر عليه في المناظرة الأخرى, وهذا موقف يحتاج إلى بيان وتوضيح.

---

[264] - الكناني, المصدر السابق,ص27.

[265] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 351/5.

[266] - نفس المصدر, 351/5.

هناك قرائن عديدة وقوية تبين تشيع هذا الخليفة وحقيقة مذهبه؛ وهذا ماحكاه عنه أصحاب التراجم والسير, كعهده من بعده بالخلافة لعلي بن موسى الرضى، وتزويجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وتغيير الزي العباسي من أجله, بالإضافة إلى أفعاله التي كان يدعو الناس إليها. وقد مر شيء منها في ترجمته.

وفي هذا النص الذي دارت فيه المناظرة بين الخليفة والرضى, يتبين عكس ما ذكر, فالمأمون يرد عليه بعدم أحقية علي بن أبي طالب**(رضي الله عنه)** لما يدعيه الشيعة, ويظهر ذلك في اعتراض المأمون على الرضى بقوله: "**بم تدعون هذا الأمر؟ قال: بقرابة علي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله, وبقرابة فاطمة منه** "[267]. وهذه صورة مخالفة لما كان عليه الخليفة في المناظرة السابقة, ونستطيع تفسير ذلك بأن هذا الموقف كان هو أول الخليفة ثم تراجع عنه فيما بعد وتبنى اعتقاد الشيعة وعمل ما عمل, لا نقول هذا انطلاقا من المناظرة الثانية, لأننا نرى وضعها, ولكن نقول هذا انطلاقا من الحقائق التاريخية الثابتة.

وتدور إشكالية المناظرة الثالثة حول الاختلاف الواقع في الدين حسب ما يراه المرتد النصراني, وهو الموضوع الذي ناظره حوله الخليفة, قال المأمون للمرتد: " **أَخبرني ما الذي أَوْحَشك مما كنتَ به آنساً من دِيننا ؟(...) قال المرتد: أوحشني منكم ما رأيت من كثرة الاختلاف في دينكم** "[268].

وفي المناظرة الأخيرة كانت الإشكالية خاصة بخلافة المأمون, وكيفية استحقاقه الملك وطريق حصوله عليها, لأن الخوارج يرون قتاله والخروج عليه لأنه أخذها من غير طريقها المشروع في اعتقادهم, وعلى ذلك قامت مناظرته لهم, قال الخارجي للمأمون: " **أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة أم بالغلبة والقهر ؟** "[269].

وهذه الإشكالية من أكبر المسائل التي يختلف فيها أهل السنة مع الخوارج, منذ خروجهم على علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان**(رضي الله عنهما)**, بعد مسألة التحكيم التي اتفق الصحابة حولها, وتولى أمرها أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص**(رضي الله عنهما)**. ومازال فكر الخوارج المنحرف متفش في الأمة إلى عصرنا, بل ويبقى إلى قيام الساعة.

ب) موضوعات المناظرات:

---

[267] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 224/2.

[268] - نفس المصدر, 223/2.

[269] - الذهبي, المصدر السابق, 278/10.

موضوعات المناظرة أربعة:

* **المناظرة في العبارة:** وتجري فيها المناظرة على أساس صحتها من الناحية اللفظية, فيرد عليها الاعتراض بالإبطال, بسبب أنها تخالف قاعدة من قواعد اللغة, أو تخالف الضبط اللغوي المتبع, أو أن الكلمة لا أصل لها على المعنى الذي قصده صاحب العبارة. ويكون الجواب عنها ببيان الوجه المستند إليه فيها, إذا كان له وجه في ذلك, أو يسلم الاعتراض ويصحح عبارته.

جاء في مناظرة الكناني للمريسي؛ اعتراض هذا الأخير على بعض العبارات التي كان الكناني يعبر بها عن إثبات ما يدعيه. فقال المريسي: " **يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك فقد أدعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات فزعم أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء, فأكذب نفسه ونقض قوله ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري** "([270]) والقصد من كلام المريسي هذا أن خصمه احتج عليه بنصوص القرآن على أن الله تعالى خلق الأشياء بقوله, لكن الأدلة التي جاء بها لم تثبت القول وحده, بل ذكر فيها أشياء متباينات. قال بشر: " **قد قال إنه خلق الأشياء بقوله, وبأمره، وبكلامه، وبالحق, فقال المأمون: بلى قد قلت هذا يا عبد العزيز** ". وهذه عبارات متباينة في نظر بشر وأتباعه, وقد أقره عليها المأمون أيضا. وجاء جواب الكناني بتصديق قوله وتثبيت ادعائه فقال: " **قد قلت هذا، وما قلته إلا على صحته، ولا خرجت عن كتاب الله عز وجل ولا قلت إلا ما قال الله عز وجل، ولا أخبرت إلا بما أخبر الله عز وجل به أنه خلق مما يوافق بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا، وكل ما ذكر الله عز وجل إنه خلق ويخلق به الأشياء فهو شيء واحد له أسماء، هو كلام الله، هو قول الله، هو أمر الله، وهو الحق، فقول الله هو كلامه وكلامه هو الحق، والحق هو أمره، وأمره هو قوله، وقوله هو الحق، وهي أسماء شتى لشيء واحد، وكما سمى كلامه نورا وهدى وشفاء ورحمة وقرآنا، وفرقانا، فهذا مثل ذلك، وذلك مثل هذا**"([271]). ولما تكلم الكناني بهذا الكلام كان يدرك تماما بأنه في مثل هذا المقام لابد من الاستدلال على صدق أقواله, فراح يقيس الأشباه بالأشباه حتى تتبين الرؤية, وتقوم الحجة, واعتمد في إقامتها على القياس, فقال: " **وإنما أجرى الله عز وجل مثل هذا على كلامه، كما أجراه على نفسه لأنه من ذاته، فسمى كلامه بأسماء كثيرة، وهي شيء واحد كما سمى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد أحد صمد فرد**"([272]). ولم يتوقف عند هذا القياس

---

[270] - الكناني, المصدر السابق,ص38.

[271] - الكناني, المصدر السابق,ص38.

[272] - نفس المصدر ,ص39.

فحسب, بل اتهم خصمه بجهله للغة العرب الذي كان سببا في وقوع بشر في الالتباس وعدم الفهم, فقال: " **وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة فهمه ومعرفته باللغة، ومعنى كلام العرب وألفاظها** "([273]).

كان الخلاف بين هذين المتناظرين في تحرير المراد من العبارات المستعملة في المناظرة, وهو من المسائل المعقدة والميادين المتشعبة التي تجرى فيها المنازعات والخصومات.

لكن المريسي لم يسلم لخصمه فيما ادعاه, بل أرجعه إلى الأصل الذي اتفقا على الرجوع إليه عند الخلاف, وطلب منه أن يستدل على المراد من عبارته ما ادعاه, وذلك بالاستشهاد من نصوص القرآن الكريم على أن القرآن الكريم هو: قول الله, وأمره، وكلامه، وهو الحق, ولا مجال للاستدلال بكلام العرب ولغتهم, لأن الاتفاق بينهما كان على ذلك. قال بشر: " **يا أمير المؤمنين قد أصل بيني وبينه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، وزعم أنه لا يقبل إلا نص التنزيل فما لنا ولذكر لغة العرب وغيرها, لست أقبل منه إلا نص التنزيل بما قال أن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وهو الحق** "([274]).

ألزم المريسي خصمه بما ألزمه به أولا, فإن لم يستدل على صدق دعواه بنصوص التنزيل في بيان وجه القول في العبارة المستعملة, انقطعت حجته وسقطت دعواه. وكان لزاما على الكناني أن يبرهن على موقفه هذا بالحجج والبراهين التي ينصر بها دعوته ويدحض بها حجتهم, فاتخذ من حجة السلطة مطية إلى ذلك, وراح يسرد آيات الذكر الحكيم وفق ما طلب منه.

وهذه بعض النصوص التي استدل بها الكناني على صدق ما ادعاه. قال: " **قال الله عز وجل : " وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** "(التوبة:6), **يعني حتى يسمع القرآن، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عنى القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك. وقال عز وجل: " سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ** "(الفتح:15), **فسمى الله القرآن كلامه، وسماه قوله، وأخبر أن قوله هو كلامه بقوله عز من قائل:" يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ". وقال عز وجل لنبيه ﷺ : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا**

---

[273] - نفس المصدر ,ص39.

[274] - الكناني, المصدر السابق,ص39.

عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ "(يونس:108)**, وقال عز وجل: " المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** "(الرعد:1)**, فهذه كلها وأمثالها في القرآن كثير، إخبار الله عن القرآن أنه الحق، فسماه باسم الحق. ثم ذكر عز وجل أن القرآن قوله وأن قوله هو الحق, فقال عز وجل: " ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** "(الأحزاب:4)**, فهذا خبر الله عن قوله إنه الحق وإن الحق قوله. ثم ذكر أن الحق كلامه وأن كلامه الحق فقال عز وجل: " وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** "(يونس:82)**, ثم ذكر عز وجل أن القرآن أمره، وهو كلامه فقال عز وجل: ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ** "(الطلاق:5) **يعني القرآن, فهذا خبر الله أن القرآن أمره وأن أمره القرآن. وإن هذه أسماء شتى لشيء واحد، وهو الشيء الذي به خلق الأشياء وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء، وغيره داخل في الأشياء، ولا هو كالأشياء وبه تكون الأشياء، وهو كلامه، وهو قوله، وهو أمره، وهو الحق. وهذا نص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير** "([275]).

وبالاعتماد على هذه الأدلة والحجج استطاع أن يخرج الكناني من هذه المنازلة منتصرا, وقد حقق خطوة حاسمة وخطيرة في آن واحد, فنال بها إعجاب المأمون واستحسانه, وقطع بها خصمه في هذه المسألة. فقال المأمون: " **أحسنت, أحسنت يا عبد العزيز** ". وقال المريسي: " **يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، إنه يحب أن يخطب ويهذي بما لا أعقله، ولا أسمعه، ولا ألتفت إليه، ولا أتى بحجة، ولا أقبل من هذا شيئا** "([276]).

وما قال المريسي قوله هذا إلا من باب العناد والمكابرة لما انقطعت حجته وبطل اعتراضه.

ومن بين العبارات التي تناظر فيها هذان الخصمان؛ عبارة (جعل) التي فسرها بـــ (خلق) محتجا بقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "(الزخرف:3), قال: " **قال الله عز وجل: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا " (...) هل في الخليقة أحد يشك في هذا أو يخالف علي فيه أن معنى جعلناه: خلقناه** "([277]). وكانت هذه المسألة بمثابة قاصمة الظهر للكناني كما يزعم بشر, وبها تقام الحجة عليه وبسببها يستباح دمه, فخاطبه قائلا: " **قد خطبت وتكلمت وهذيت وتركتك حتى تفرغ مما ادعيت من إبطال خلق القرآن بنص التنزيل، ومعنا من كتاب الله آية لا يتهيأ لك معارضتها**

---

[275] - الكناني, المصدر السابق,ص40.

[276] - نفس المصدر, ص41.

[277] - الكناني, المصدر السابق, ص59.

ولا دفعها، ولا التشبيه فيها، ولا الخطاب عليها، كما فعلت في غيرها، وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس عليها وسفك دمك بها (...) ما هذا تأويل ولا تفسير ولا معنى، ولا هو إلا نص التنزيل "[278].

ثم بعد ما تكلم المريسي وأظهر قوله ودعواه, رد عليه الكناني بضبط معاني هذه العبارة وما تتضمنه من دلالات بنص القرآن الكريم, وبين للجميع أن الاحتجاج للمعنى المحتمل لا يكون إلا بالأدلة وليس للادعاءات الجوفاء, وأن المفهوم العام للكلمة يكون بجمع شتات دلالاتها وما يندرج تحتها من معان. وفي بيان هذه المسألة؛ سأل الكناني بشرا عن دعواه قائلا: " **أخبرني عن (جعل) هذا حرف محكم لا يحتمل غير الخلق** ؟ " فقال بشر: " **نعم هو حرف محكم لا يحتمل معنى غير الخلق, وما بين جعل وخلق فرق عندي ولا عند غيري من سائر الناس، ولا عند أحد من العرب، ولا من العجم، ولا يتعارفون الناس ولا يعقلون غير هذا في كلامهم ولغاتهم, سواء عندهم قالوا: خلق أو جعل** "[279]. ثم جره الكناني إلى سحب قوله هذا على نصوص القرآن وأنها تعطي للكلمتين نفس المعنى على حد سواء, وسقط المريسي في قبضته حين أقر بذلك, سأله الكناني: " **أخبرني بإجماع الخلق بزعمك على أن (جعل) و(خلق) واحد لا فرق بينهما في هذا الحرف وحده أو في سائر القرآن من الجعل** ". قال بشر: " **بل في سائر القرآن من ذلك وفي سائر الكلام والأخبار والأشعار** "[280].

وبعد إقرار المريسي بأن نصوص القرآن عرفت (الجعل) بمعنى الخلق, أبطل دعواه وكسر أقواله بما استدل عليه بنصوص القرآن الكريم فبين عكس ما يدعيه, وقد أسقطه في مطب آخر حين جعله يحكم على ما يقوله بالكفر دون أن يدري بشر ما كان يرمي إليه الكناني, فقال له: " **أخبرني عمن قال من أن التوراة خلقها اليهود من دون الله تعالى. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم** ", قال: " **فأخبرني عمن قال: إن بني آدم خلقوا الله، وأن الله أخبر بذلك. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم** ", وقال أيضا: " **أخبرني عمن زعم إن بعض بني آدم خلقوا الملائكة من دون الله تعالى. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم** ", وقال: " **أخبرني عمن زعم إن بعض بني آدم خلقوا لله شركاء أمؤمن أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم** "[281]. ومن مثل هذه المنطلقات أقام عليه الحجة بخطأ قوله, فبين له من خلال الأفكار

---

278 - نفس المصدر, ص58.
279 - نفس المصدر, ص60.
280 - الكناني, المصدر السابق, ص60.
281 - نفس المصدر, ص61.

التي سأله عنها؛ بأنها قد وردت في نصوص القرآن الكريم بلفظ (الجعل) الذي لو أخذ معنى (الخلق) لاختل معناها وكفر القائل بها وذلك بشهادة المريسي نفسه.

ومن بين هذه النصوص التي استشهد بها الكناني في ضبط معنى (جعل):

قوله: " **قال الله عز وجل: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا "(الأنعام:91), فزعم بشر يا أمير المؤمنين إن معنى تجعلونه: تخلقونه، يعني أن اليهود خلقوا التوراة، ومعنى خلق التوراة خلق كلام الله عز وجل، فزعم أن اليهود خلقت كلام الله تعالى وأنه لا معنى لذلك عنده ولا عند غيره** "([282]).

وقال: " **قال عز وجل: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ "(البقرة:224), ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله** "([283]).

وقال: " **قال عز وجل: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ "(الزخرف:19), فزعم بشر إن معنى قوله، وجعلوا، وخلقوا الملائكة** "([284]).

وقال: " **وقال عز وجل: أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ**"(الرعد:16), **فزعم بشر إن معنى أم جعلوا: أم خلقوا، لا معنى له عنده وعند من قال بقوله** "([285]).

وتوصل في الأخير إلى أن: " **(جعل) في كتاب الله عز وجل يحتمل معنيين عند العرب، معنى خلق، ومعنى صير غير خلق، فلما كان خلق حرفا محكما لا يحتمل معنى غير الخلق، ولم يكن من صناعة العباد لم يتعبد الله به العباد فيقول لهم: اخلقوا أو لا تخلقوا، إذ كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين وكان من فعل الخالق سبحانه وتعالى. ولما كان جعل على معنى صير لا على معنى الخلق, خاطب الله به العباد بالأمر والنهي فقال: اجعلوا ولا تجعلوا، ولما كان جعل كلمة تحتمل معنيين: معنى خلق ومعنى صير, لم يدع الله في ذلك اشتباها على خلقه ولبسا على عباده, فيلحد الملحدون في ذلك ويشبهون على خلقه كما فعل بشر وأصحابه, حتى جعل على كل كلمة علما ودليلا فرق به بين الجعل الذي يكون على معنى الخلق، وبين الجعل الذي يكون على معنى التصيير** "([286]).

---

[282] - الكناني, المصدر السابق, ص65.

[283] - نفس المصدر, ص63.

[284] - نفس المصدر, ص64.

[285] - نفس المصدر, ص64.

[286] - الكناني, المصدر السابق, ص68.

وبهذه النصوص ومثلها في المناظرة في باب العبارة حسم الكناني نتيجة الجدال لصالحه, وحفظ دمه وحظي بتأييد الخليفة, فقال له المأمون بعد استماعه لأدلته: " **حسبك يا عبد العزيز قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم وأشهد على نفسه بذلك وقد صدقت في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك, وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة, ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقر به ولا يحكم به على غيره بمثل ما حكم به بشر على نفسه** "([287]). إن حسن الاستدلال على تحرير المراد في وجه العبارة بدقة, وفي مثل هذه القضايا أمر مهم جدا, وهو من الخطورة بمكان, فإن أحسن مستعمله وعرف كيف يسقطه في موقع الحجة كان لصالحه, وإن هو أخطأ في ذلك كانت النتيجة على عكس ما كان يرجوه ويتمناه.

* **المناظرة في النصوص المنقولة:** ومناظرة راويها تنحصر بإثبات صحة النقل, أما إثبات صحة المضمون فليس مسؤولا عنه, ما لم يلتزم الراوي ادعاء صحته, فإن تبنى صحة المضمون فتجري معه المناظرة على أنه مدع للقضية التي اشتمل عليها النص.

ومن هذه النصوص التي استنبط منها الكناني حججه ما ذكره في قوله: " **قال الله عز وجل: " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "(النحل:40), وقال عز وجل: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "(يس:82), وقال عز وجل:" وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (البقرة:117), فدل عز وجل بهذه الأخبار كلها وأشباه لها كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء، وأنه خارج عن الأشياء، وأنه إنما تكون الأشياء بقوله وأمره، ثم ذكر خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئا إلا ذكره، وأخرج كلامه وقوله وأمره منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء وخارج عن الأشياء المخلوقة، فقال عز وجل: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ "(الأعراف54), فجمع في هذه اللفظة الخلق كله، ثم قال: والأمر، يعني الأمر الذي كان به هذا الخلق، ففرق عز وجل بين خلقه وبين أمره، فجعل الخلق خلقا والأمر أمرا، وجعل هذا غير هذا (...) ثم جمع عز وجل بين الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة من كتابه، وأخبر عن خلقها بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها فقال عز وجل: " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ "(الأنعام:73)** ([288]).

---

[287] - نفس المصدر, ص65.

[288] - الكناني, المصدر السابق, ص37.

وبقي الكناني يستعمل هذا النوع من الحجج كلما احتاج إلى إسكات خصمه ودفع الاعتراض عنه.

اعتمد واضع المناظرة الثانية على حجة السلطة في عدة مواقف, كاستشهاده على أسبقية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى الإسلام, كما في قوله: " **يا إسحاق، أي الأعمال كانت أفضل، يوم بعث الله رسوله ؟ قلت: الإخلاص بالشهادة. قال: أليس السبق إلى الاسلام ؟ قلت: نعم. قال: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: " وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** "(الواقعة:10-11) ([289])، **إنما عنى مَنْ سَبق إلى الاسلام** "([290]). ومنها ما ذكره في جملة فضائله (رضي الله عنه), كقوله: " **يا إسحاق، هل تقرأ القرآن؟ قلت : نعم. قال: اقرأ عليَّ: " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** " (الإنسان:1), **فقرأت منها حتى بلغت إلى قوله: " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** "(الإنسان:8), **قال: على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات ؟ قلت: في علي, قال: فهل بلغك أن عليا حين أطعم المسكين واليتيم والأسير, قال: إنما نطعمكم لوجه الله ؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليّا ؟ قلت : لا. قال : صدقت**"([291]).وهذه نصوص من الكتاب لا اعتراض على ثبوتها, لكن الخصم كان ضعيفا في اعتراضه على وجه الاستشهاد منها وعدم التسليم لهذه التفسيرات الواهية المتساقطة ([292]).

وقد تنوعت سلطة الحجة في هذه المناظرة, بين الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم ونصوص الحديث النبوي الشريف, وقبل أن نمثل ببعضها لابد من الإشارة إلى وجه الاختلاف بين هذين النصين, ذلك أن نص القرآن ثابت بالتواتر الذي تناقلته الأمة جيلا بعد جيل, والطاعن

---

[289] - يعتمد الشيعة في تفسير هذه الآية على حديث في إسناده إبراهيم بن الحكم, قال فيه الحافظ ابن حجر: إبراهيم بن الحكم بن ظهير الكوفي شيعي جلد له عن شريك وقال أبو حاتم كذاب روى في مثالب معاوية فمزقنا ما كتبنا عنه وقال الدارقطني ضعيف انتهى وكذا قال الأزدي وأخرج له عن أبيه عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: " السابقون السابقون " الواقعة 9 قال سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب وذكره الطوسي في رجال الشيعة المصنفين. العسقلاني, ابن حجر أحمد بن علي بن محمد, لسان الميزان, تح: عبد الفتاح أبوغدة, مكتب المطبوعات الإسلامية, ط1, 2002م.

[290] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 353/5.

[291] - نفس المصدر, 354/5.

[292] - قال ابن كثير:" قال مجاهد وسعيد بن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب"3011/4. وقال القرطبي:" وقيل: إن هذه الآية نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصاري نذر نذرا فوفى به. وقيل: نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين: أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبو عبيدة رضي الله عنهم؛ ذكره الماوردي. وقال أهل التفسير: نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة. قلت: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلا حسنا؛ فهي عامة (...) وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثا لا يصح ولا يثبت، رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس.. ثم ذكر القرطبي الحديث مطولا وعلق عليه بقوله:" فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى بلغني أن قوما يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة، فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها، وما من شيء إلا له آفة ومكيدة، وآفة الدين وكيده أكثر" القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن, دار الحديث, القاهرة, مصر, 2007م, 109/10.

في صحة نقله يكفر بإجماع الأمة, بينما الحديث النبوي الشريف فتحكمه قوانين الرواية والضبط, ولا يقبل منه إلا ما صح إسناده إلى قائله ﷺ وذلك في أصح أقوال أهل العلم.

استشهد المأمون بعدة أحاديث منها:

– حديث الطير: قال المأمون: " **يا إسحاق، أتروي الحديث ؟ قلت: نعم. قال: فهل تعرف حديث الطير ؟ قلت: نعم. قال: فحدّثني به قال: فحدّثته الحديث. فقال: يا إسحاق، إني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق، فأما الآن فقد بان لي عنادك، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح. قلت: نعم، رواه من لا يمكنني ردّه. قال: أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة** "([293]).

وحديث الطير هذا هو ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَائِرٌ، فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَأْكُلُ مَعِي، فَجَاءَ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَقَّ الْبَابَ، فَقُلْتُ: ذَا ؟، فَقَالَ: أَنَا عَلِيٌّ ... الحديث "([294]).

– حديث الولاية: وجاء في قول المأمون لإسحاق: " **هل تروي حديث الولاية ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أروه، ففعلت. قال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه ؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي** "([295]). **فقال رسول الله ﷺ: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه** "([296]).

---

[293] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 354/5.

[294] - حديث منكر, رواه النسائي في السنن الكبرى, تح: عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 1991م. 107/5, والترمذي في سننه, مكتبة المعارف, الرياض, المملكة العربية السعودية, ط1, ص844. وغيرهما. قال الذهبي في السير: "وحديث الطير - على ضعفه - فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء، ولم يثبت".233/13. وقال ابن كثير: " وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي - في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقا متعددة نحوا مما ذكرنا - ويروي هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة (...) ثم قال بعد أن ذكر الجميع: الجميع بضعة وتسعون نفسا أقر بها غرائب ضعيفة وأردؤها طرق مختلفة مفتعلة وغالبها طرق واهية "البداية والنهاية, تح: علي شيري, دار إحياء التراث العربي, ط1, 1988 م, 390/7.

[295] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 357/5.

[296] - لهذا الحديث مناسبة يظهر بها معناه، وليس هذا موطن ذكرها. وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية على استدلال الشيعة بهذا الحديث في أحقية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) للخلافة, قال :" ليس في هذا الحديث - حديث الغدير - ما يدل على أنه نص على خلافة علي، إذ لم يرد به الخلافة أصلاً، و ليس في اللفظ ما يدل عليه، ولو كان المراد به الخلافة لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً بيناً .. الخ ". منهاج السنة النبوية 84/4-85. وقال ابن كثير في البداية و النهاية 251/7: وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم به خطأ كبير، من تخوين الصحابة ومماالاتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الاسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لان الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمد ".

ويعرف هذا الحديث عند أهل العلم بحديث " غدير خم ", وهو حديث صحيح مشهور, مروي في دواوين السنة بأسانيد نظيفة. روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: " جَمَعَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ النَّاسَ فِي الرَّحَبَةِ, ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَنْشُدُ اللَّهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا سَمِعَ لَمَّا قَامَ, فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنْ النَّاسِ, وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ, فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لِلنَّاسِ: أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ, قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ, اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ "[297].

ثم احتج المأمون على إسحاق بمقتضيات جعلها محصورة في احتمالات ثلاث, فقال: " **أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه، أو أن يقول إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول، فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول ؟ قال إسحاق: فأطرقت... ثم قال: يا إسحاق، لا تقل منها شيئا، فإنك إن قلت منها شيئا استتبْتُك، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله. قلت: لا أعلم, وإن لأبي بكر فضلا** "[298].

فقد جعل المأمون وجه الدلالة من الحديث محصورا في ثلاثة أقوال, وجعل خصمه يسلم له فيما ادعاه, بينما الحديث لا يحتمل إطلاقا تلك المفاهيم التي ترمي بقائلها في مغبة الكفر.

وهذه الطريقة في المناظرة هي أساس الجدال الذي اعتمده صانعها على لسان المأمون, إذ جعل معظم الاستدلالات في باب التقسيمات, التي حججها شبه منطقية تعتمد العلاقات الرياضية, وفيها يكون تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له.

– أما الحديث الأخير الذي احتج به المأمون في هذه المناظرة فهو حديث " **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** ", قال المأمون: " **يا إسحاق، أتروي حديث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قد سمعته وسمعت من صححه وجحده. قال: فمن أوثق عندك، من سمعت منه فصححه، أو من جحده ؟ قلت: من صححه** "[299].

---

[297] - أخرجه أحمد في المسند, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2008م, وابن أبي شيبة في المصنف, تح: سعيد اللحام, دار الفكر, 499/7, والنسائي في السنن الكبرى 45/5, وغيرهم.

[298] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 355/5.

[299] - نفس المصدر, 357/5.

وهو حديث صحيح, رواه الإمام مسلم في صحيحه؛ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى, إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي "[300].

وتميز قول المأمون هذه المرة بميزة جديدة؛ وهي البحث عن صحة النقل والتثبت في الرواية, لذلك سأله عن موقفه من درجة الحديث, وهو أمر مهم جدا في باب المناظرات, فقد يبني الخصم فكرته على حديث يعتقد صحته, ولكن سرعان ما تسقط هذه الفكرة بسقوط الحديث الذي اعتمده, إذا برهن له خصمه على ضعفه وفق قواعد الرواية.

* **المناظرة في التعريفات:** وتكون المناظرة فيها باعتبارها أنها تتضمن دعاوى خبرية تفيد أن التعريف مساو للمعرف, جامع مانع, أو صالح للتعريف به في أدنى المستويات. ويوجه الاعتراض على التعريف بما يخالف شروطه المنطقية, ككونه غير جامع وغير مانع, أي غير مطرد.

ومن أمثلة ذلك تعريف الكناني للحيدة التي وقع فيها المريسي حين أقيمت عليه الحجة في مسألة علم الله تعالى, ذلك أنه سئل عن هذا العلم فأخبره بأن معناه عدم الجهل, فقال الكناني حينها: " **أسأله عن علم الله (...) فاجتلب كلاماً لم أسأله عنه، فقال: معنى علمه أن لا يجهل (...) ولا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء ثم الخبر عن معناه، فليقر بشر أن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، فإن سألته عن معنى العلم – وهذا مما لا أسأله عنه – فليجبني أن الله لا يجهل، وقد حاد بشر عن جوابي** "[301]. وحين سمع بشر كلمة (الحيدة) سأله: " **وهل تعرف الحيدة ؟** "[302]. فأجابه عن معرفته لها في كتاب الله عز وجل وفي سنة المسلمين وفي كلام العرب.

قال الكناني: " **قال الله عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام حين قال لقومه: " قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ "(الشعراء:72-73). وإنما قال لهم إبراهيم هذا ليكذبهم فيعيب آلهتهم ويسفه أحلامهم فعرفوا ما أراد بهم، وإنهم بين أمرين: إما أن يقولوا نعم يسمعوننا حين ندعو وينفعوننا ويضروننا، فيشهد عليهم بلغة قومهم إنهم قد كذبوا. أو يقولوا لا يسمعوننا حين ندعو ولا ينفعوننا ولا يضروننا فينفوا عن آلهتهم القدرة. وعلموا أن الحجة لإبراهيم عليه السلام في أي القولين أجابوه عليهم قائمة. فحادوا عن كلامه واجتلبوه كلاما من**

---

[300] - أخرجه: مسلم, ابن الحجاج بن مسلم النيسابوري, الجامع الصحيح, مكتبة المعارف, الرياض, المملكة العربية السعودية, ط1, رقم(2404), والترمذي رقم (3730), وغيرهما.

[301] - الكناني, المصدر السابق, ص43.

[302] - نفس المصدر, ص43.

غير ما سألهم عنه فقالوا: " قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ "(الشعراء:74) ولم يكن هذا جوابا لمسألة إبراهيم عليه السلام "([303]).

وأما الحيدة في سنة المسلمين فأورد فيها خبر معاوية بن أبي سفيان مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم), قال: " **يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقد قدم عليه فنظر إليه يكاد يتفقأ شحما، فقال: يا معاوية ما هذه الشحمة لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم، قال له معاوية: يا أمير المؤمنين رحمك الله علمني وفهمني، ولم يكن هذا جوابا لقول عمر رضي الله عنه إنما حاد عن جوابه لعلمه بما فيه، فاجتلب كلاما غيره فأجاب به.**

وأما الحيدة في كلام العرب فقول امرئ القيس:

تَقُولُ وقَدْ مال الغَبيطُ بنَا مَعــاً * عَقَرتَ بعيري يا امْرَأَ القيْسِ فانْزِل**

فقُلْتُ لها سِيرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ * ولا تُبْعِدِينــا من جَنَــاكِ المُعَلَّلِ**([304]) **ولم يكن هذا جوابا لكلامها، وإنما حاد عن جوابها واجتلب كلاما غيره "**([305]).

ويمكن أن ندرج حديث الكناني حول لفظة (الجعل) ضمن هذا المبحث في التعريفات, مع أنه قد سبق ذكرها في تحرير القول في ميدان المناظرة في العبارات, لأنه قد تعرض لمفهومها ودلالتها من حيث الاستعمال العربي في القرآن الكريم. وهذا تعريفه لها باختصار, قال: " **جعل في كتاب الله عز وجل يحتمل معنيين عند العرب، معنى خلق، ومعنى صير غير خلق، فلما كان خلق حرفا محكما لا يحتمل معنى غير الخلق، ولم يكن من صناعة العباد لم يتعبد الله به العباد فيقول لهم: اخلقوا أو لا تخلقوا، إذ كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين وكان من فعل الخالق سبحانه وتعالى. ولما كان جعل على معنى صير لا على معنى الخلق, خاطب الله به العباد بالأمر والنهي فقال: اجعلوا ولا تجعلوا، ولما كان جعل كلمة تحتمل معنيين: معنى خلق ومعنى صير, لم يدع الله في ذلك اشتباها على خلقه. فسواء عند العرب قال وجعل، أو قال وخلق، لأنها قد علمت أنه أراد بهذا الجعل الخلق، لأنه أنزل من القول المفصل، وقال عز وجل: " وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً "(النحل:72), فعقلت العرب عنه أن معنى هذا وخلق لكم إذ كان قولا مفصلا. وقال تعالى: وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ "(السجدة:9)، فعقلت العرب**

---

[303] - الكناني, المصدر السابق, ص44.

[304] - البيتان من معلقة امرئ القيس, ينظر: ابن الأنباري, أبو بكر محمد بن القاسم, شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات, المكتبة العصرية, بيروت, لبنان, 2004م, ص66.

[305] - الكناني, نفس المصدر.

عنه أنه عنى بهذا الجعل الخلق، إذ كان من القول المفصل، وسواء عندها قال: جعل, أو قال: خلق، لأنها قد علمت ما أراده وما عنى. ومثل هذا في القرآن كثيرا جدا، فهذا وما كان على مثاله من القول المفصل الذي يستغني المخاطب به والسامع له بكل كلمة عما بعدها. وأما جعل الذي هو بمعنى التصيير, الذي هو غير خلق, فإن الله عز وجل أنزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب به حتى تصل الكلمة بالكلمة التي بعدها فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصلة لم يصلها بغيرها من الكلام لم يعقل السامع لها ما أراد بها ولم يفهمها ولم يقف على معنى ما عنى بها حتى يصلها (بغيرها), ومن ذلك قول الله عز وجل: " يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ "(ص:26), فلو قال: إنا جعلناك، ولم يصلها بما بعدها لم يعقل داود (عليه السلام) ولا أحد ممن سمع هذا الخطاب ما أراد الله به "([306]).

* **المناظرة في التقسيمات:** وتجري المناظرة فيها باعتبارها تتضمن دعاوى خبرية تفيد أن هذه الأقسام مندرجة فعلا تحت المَقسِم, وأنها حاصرة لكل أقسامه, وللمعترض أن يناظر في هذه الدعوى إذا لم يكن مسلما بها.

ومثال ذلك مناظرة المأمون للمرتد الخراساني في معنى الاختلاف الذي اتهم به هذا المرتد دين الإسلام؛ فلما سأله المأمون عن سبب ارتداده ووحشته من الدين, أجابه بقوله: " **أوحشني منكم ما رأيت من كثرة الاختلاف في دِينكم** "([307]). فعرف المأمون من أي باب لبس عليه, وما هذا الذي صدر منه إلا قول جاهل لا معرفة له بالدين ولا إدراك له بحقائقه, لا يستطيع التمييز بين أقسام الاختلاف وأنواعه, والمحمود منه والمذموم, وكان كل ذلك عنده سواء, وهذا صنف من الناس يجب تعليمهم. لذلك أجابه المأمون بتبيين أقسام هذا الاختلاف الذي التبس عليه فيه, فقال له: " **لنا اختلافان: أحدهما كاختلافنا في الآذان، وتكبير الجنائز، وصلاة العيدين، والتشهد، والتسليم من الصلاة، ووجوه القراءات، واختلاف وجوه الفتيا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس باختلاف، وإنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنة, فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يأثم، ومن ربع لم يأثم. والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتاب الله، وتأويل الحديث عن نبينا، مع اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عين الخبر** "([308]). وقد خبر المأمون حال هذا الشخص جيدا, وعرف أنه التبس عليه الأمر من الوجه الثاني للاختلاف, قلم يتركه على حاله

---

[306] - الكناني, المصدر السابق, ص ص(68 - 69).
[307] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 223/2.
[308] - نفس المصدر, 224/2.

بل زاده إيضاحا للمسألة, مستعملا لحجة القياس ومستدلا بشيء على صحة شيء آخر, فقال له: " **فإن كان إنما أوحشك هذا، فينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله، ولا يكون بين اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات، ولو شاء الله أن ينزل كتبه مفسرة، ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يختلف في تأويله لفعل، ولكنا لم نجد شيئا من أمور الدين والدنيا وقع إلينا على الكفاية إلا مع طول البحث والتحصيل والنظر، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحن، وذهب التفاضل والتباين، ولما عرف الحازم من العاجز، ولا الجاهل من العالم، وليس على هذا بنيت الدنيا** "([309]).

4- الحجج:

سبق أن بينا في الدراسة النظرية أن مكونات العملية الحجاجية ثلاثة:

- **قول الانطلاق:** وهو القول المعطى كمقدمة منطقية ينطلق منه المناظر ويوجهه لمخاطبه ليقنعه بقول آخر يكون نتيجة لهذا القول.

- **قول الوصول:** وهو النتيجة المبنية على القول الأول.

- **قول العبور:** وهو الطريق الموصل من القول الأول إلى القول الثاني, ويكون قاسما مشتركا بين الأطراف المتحاورة, المنضوية تحت راية الحجاج, يمكن أن نسمي هذا القول دليلا واقتضاء أو حجة حسب إطار الإشكالية الذي يندرج ضمنه.

يرجع حسن توظيف هذه الأقوال إلى مهارة المتناظرين, لأن المراحل مربوطة بوثاق محكم, متى اشتد كانت النتائج في خدمة ما كان يرجوه المحاج, ومتى انقطع, انقطع المناظر وسقطت حجته, وهذا لا يتأتى إلا لذوي الخبرة والمهارة.

وقد تجلت هذه المهارة في فعل ومقدمة عبد العزيز الكناني مع بشر المريسي لما طلب منهما الخليفة بداية المناظرة, كان الكناني يدرك تماما العلاقة التي كانت تجمع بين المأمون وبشر المريسي, ومن ثمة المكانة التي يشغلها في قلبه وعقله, وأن أقواله مألوفة مقدمة عنده تبعا لمكانته, وهذه مقدمة نالها المريسي وحظوة حظي بها عنده, وهو الذي سيكون حاكما بينهما في النزال, وقد نالها دون بذل جهد, فلو أن الكناني تكلم وشرع في المطلوب مباشرة لاعتبر خاسرا جولة مهمة في هذا اللقاء, لكنه بذكاء متميز قدم أقوالا تبين مهارته في الكلام وقدرته على الخطاب, حتى يجعل لنفسه مكانة موازية في قلب الخليفة تضاهي مكانة المريسي, قال الكناني: "

[309] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 223/2.

ثم أقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز ناظره على ما تريد واحتج عليه، ويحتج عليك، وسله ويسألك، وتناصفا في كلامكما، وتحفظا ألفاظكما، فإني مستمع إليكما ومتحفظ ألفاظكما. قال عبد العزيز: فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين، ولكني أقول شيئا فإن رأى أمير المؤمنين أبقاه الله أن يأذن لي في ذلك فعلت. فقال: قل ما تريد. فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك إني رجل عربي، وفي كلامي دقة، ولم يسمع أمير المؤمنين أطال الله بقاه من كلامي شيئا قبل هذا الوقت، فجليل كلامي في سمع أمير المؤمنين دقيق، وبشر يا أمير المؤمنين كثير سماع أمير المؤمنين دقيق كلامه، فصار في سمع أمير المؤمنين جليلا، فإن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاه أن يأذن لي فأقدم شيئا من كلامي في هذا المجلس ليقيس ما يدق بعده من كلامي على ما تقدم، ويعرف مذهبي في كلامي، ثم يجمعني ومن أحب لمناظرتي بعد هذا في أي وقت شاء "([310]).

وهذه مقدمة في غاية الدهاء من الكناني, نال بها من المريسي دون أن يتفطن له أحد ويتهمه بفعله, وذلك في قوله: " **إني رجل عربي، وفي كلامي دقة**"([311]). قدم بهذا لقول ليستقر في ذهن المأمون الفرق بينه وبين المريسي الذي يعرفه الجميع, بلحنه في الكلام وخطئه في النحو والإعراب الذي هو علامات المعاني المقصودة في الكلام, وهو طعن من جهة أخرى في أصله, لأنه لم يكن عربيا بالأصالة, وإلا فما الداعي إلى قوله: " **إني رجل عربي** ", فلا يلزم إطلاقا من أن الدقة في الكلام ميزة العرب, كما لا يلزم من كون غبر العربي ليست له هذه الدقة, فاستعمال الكناني لهذا الكلام في أول فرصة أتيحت له يبين قدرته على التأثير في مستمعه دون أن ينتبه إلى قصده الخفي. ويكون بهذا كما يقال ضرب عصفورين بحجر واحد؛ نال بغيته التي صرح بها فأراد أن يتعرف المأمون على مذهبه في الكلام, وطعن في عربية المريسي ودقته في الكلام, وجعله معرضا للتهمة إن هو أخفق في تبيين مراده أو التبست عليه المفاهيم الدقيقة التي ستلقى عليه.

ومما يؤكد دهاء الكناني استعماله للمقدمة التي استعملها خصومه ضده عند رؤيتهم له, فقد طعنوا فيه بسبب صفته الخلقية, قال الكناني: " **قال لي المأمون: اجلس فجلست. فسمعت رجلا من جلسائه يقول وقد دخلت من الإيوان: يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، لا والله ما أريت خلق الله قط أقبح وجها منه** "([312]).

---

[310] - الكناني, المصدر السابق, ص28.

[311] - الكناني, المصدر السابق, ص28.

[312] - نفس المصدر, ص 26.

وهذا كلام يستعمل كحجة تسقط الخصم قبل بداية الحديث, ويندرج تحت **الحجج المؤسسة على بنية الواقع**, وفي جزئية : **حجة الشخص وأعماله:** فمتى اتصل الوصف بشخصه وعرف بها, ظل هذا الوصف ملازما له قادحا في شخصه, وقد أراد قائله أن يحكم على قبح أقوال الكناني انطلاقا من قبح خلقته.

لكن الكناني لن يترك هذا الطعن يمر لصالح خصمه، بل ببراعة فائقة رد هذا القدح على صاحبه, وبين للجميع أن القبح الحقيقي هو قبح الفهم وقصور العقل, لا قبح الصور والأشكال.

وقد انطلق في تأسيس كلامه من مقدمات استعمل فيها أنواعا من الحجج:

كاستشهاده بنصوص القرآن العظيم, واستعماله القياس والمنطق, وغيرها من الحجج والأدلة التي تمكنه من تحقيق مراده.

فبين أن قبح خلقته لا تكون نتائجه من جنسه, وذلك انطلاقا من عكس القضية, ويمكننا أن نحلل هذه الفكرة كما يلي:

– قبح الصورة يدل على انعدام العلم. وهذا مدعاة للإهانة وعدم الاحترام.

وإذا عكسنا هذه القضية حسب المفهوم الذي اعتمدوه نجد أن:

– حسن الصورة يدل على العلم. وهذا مدعاة للاحترام والتقدير.

اعتمد الكناني على هذا البناء الفكري الهش الذي التمسه في خصومه, فراح يكشف عوره, ويبين قصر نظر صاحبه. واعتمد على النص القرآني أولا منطلقا من قصة سجن يوسف **(عليه السلام)**, وأن سجنه وإهانته مع ثبوت براءته عند الجميع, لم يغن عنه حسنه الذي فاق كل تصور, بل حسنه كان سبب وقوع امرأة العزيز في الافتتان به, ومن ثمة ابتلي بها, وما أخرجه من السجن في الأخير إلا العلم الذي رفعه إلى أعلى درجات التكريم, وفي هذا قال عبد العزيز: " **قلت: أسألك بالله يا أمير المؤمنين من بلغك إنه كان أجمل ولد آدم (صلى الله عليه وسلم). فأطرق مليا، ثم رفع رأسه فقال: يوسف عليه السلام. فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين– فوالله ما أعطي يوسف على حسن وجهه بعرتين، ولقد سجن وضيق عليه من أجل حسن وجهه بعد أن وقف على براءته بالشاهد الذي أنطقه الله عز وجل بتصديقه وبيان قوله وبعد إقرار امرأة العزيز إنها هي راودته عن نفسه فاستعصم فحبس بعد ذلك كله لحسن وجهه، قال الله تعالى :" ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ", فدل بقوله عز وجل أنه سجن بغير ذنب لعله حسن وجهه وليغيبوه عنها وعن غيرها، فطال في السجن حبسه حتى إذا عبر الرؤيا ووقف الملك على علمه ومعرفته اشتاق إليه، ورغب في صحبته فقال عز وجل: " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي**

بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ", فكان هذا القول من الملك عندما وقف عليه من علم يوسف ومعرفته قبل أن يسمع كلامه، فلما دخل عليه وسمع كلامه وحسن عبارته صيره على خافي خزائن الأرض، وفوض إليه الأمور كلها وتبرأ منها وصار كأنه من تحت يده، فكان هذا الذي بلغه يوسف عليه السلام بكلامه وعلمه لا بجماله، قال عز وجل: " فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ", ولم يقل أني حسن جميل، قال الله عز وجل: " وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ". فوالله يا أمير المؤمنين ما أبالي إن وجهي أقبح مما هو، وإني أحسن من الفهم والعلم أكثر مما أحسن. قال عبد العزيز: فقال لي المأمون وأي شي أردت بهذا القول، وما الذي دعاك إلى ذكر هذا؟ فقلت سمعت بعض من هاهنا يقول لأمير المؤمنين: يكفيك من كلامه قبح وجهه، فما يضرني قبح وجهي مع ما رزقني الله عز وجل من فهم كتابه، والعلم بسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه "([313]). وقد استخدم الكناني **البرهان بالتناقض أو عدم الاتفاق**, حيث دفع أمر المدعي بإثبات تناقضه مع نتيجة الخطاب, وهي أنه إذا كان القبح لا يُمكن لصاحبه, فإن نقيض هذا يلزم بأن الحسن يكرم صاحبه وهذا ما لم يكن أبدا, بل كان متناقضا مع النتيجة الحاصلة.

ولم يكتف بالاستدلال من آيات القرآن الكريم والاستنتاج منه, بل راح يبرهن على قبح نطق المتكلم باستخدام المعلومة التي وقعت أمام أعين الجميع في بداية المجلس, حيث قال المأمون لما وقعت عينه على موضع من نقش الجص قد انتفخ: " **يا عمرو أما ترى هذا الذي قد انتفخ من هذا النقش، وسيقع فبادره في يومنا هذا، فقال عمرو: قطع الله يد صانعه، فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا** "([314]), فالجميع سلم بأن هذا العيب في النقش لا يتحمله إلا صانعه, فاستعمل هذه المسلمة حتى يرد لمستقبحه الصفعة قوية, فقال: " **يا أمير المؤمنين أطال الله بقاه, فقد رأيتك تنظر إلى هذا النقش وانتفاخ الجص وتذكره، وسمعت عمرا يعيب ذلك ويدعو على صانعه، ولا يعيب الجص، ولا يدعو عليه، فقال المأمون: العيب لا يقع على الشيء المصنوع، وإنما يقع العيب على الصانع. قال: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكن هذا يعيب ربي لم خلقني قبيحا. فازداد تبسما حتى ظهرت ثناياه**"([315]).

---

[313] - الكناني, المصدر السابق, ص ص(29 - 30).
[314] - الكناني, المصدر السابق, ص 27.
[315] - نفس المصدر السابق, ص 30.

وكانت الحجج تخرج من فم الكناني كأمثال السهام التي تصيب المقاتل, حتى بلغت بالمأمون درجة الإعجاب والانبهار, وهو مندهش في طريقة الاستدلال والاستنباط التي يستعملها الكناني في الرد على خصومه في أول كلمة أرادوا انتقاصه بها, وما أظن أن صاحبها بعد هذا الرد قد نطق ببنت شفة.

وأما في المناظرة الثانية فانطلق الخليفة مع خصمه في الجدال بعدما أوقعه في فخ بداية السؤال, ولا شك أن المبتدئ دائما يرمي بكامل ثقله في خطوته الأولى, لظن منه أنه قد يحسم الموقف من بدايته عندما يبادر أولا, فلما قال المأمون: " **يا إسحاق، اختر، إن شئت سألتك أسألك، وإن شئت أن تسأل فقل** ", **فقال إسحاق:** " **فاغتنمتها منه، فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين** "([316]), ظنا منه أنه سيحرز تقدما لابتداره السؤال.

ولما كان المبتدئ للمناظرة يجمع نفسه ويرمي خصمه بكامل قوته, كان العرض من الكناني للمريسي بذلك, حتى يتعرف على أقوى ما عنده فيستعد له ويهون عليه ما تبقى. فقال له: " **يا بشر ما حجتك أن القرآن مخلوق، وانظر إلى أحد سهم في كنانتك فارمني به، ولا تحتاج إلى معاودتي بغيره** "([317]).

وهذا الكلام يدل على أن الخصم إن لم يحسن استعمال أحد ما يملك من الحجج والبراهين, ويوظفها في ضربة واحدة قاضية للفتك بصاحبه, لسرعان ما تنقلب عليه الموازين ويقع بين فكي خصمه الذي أعد له مقلب الابتداء بإحكام.

وهذه أنواع الحجج المستعملة في بنية المناظرات الخمسة.

أ) الحجج شبه المنطقية:

وحقيقة هذه الحجج أنها تستند إلى مبدأ منطقي, ولكنها خلاف الحجج المنطقية الخالصة, فهي تأخذ قدرا محددا منه, وذلك من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية, ولكن الذي يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلاف بينها وبين البراهين الشكلية. ومن أهم المبادئ التي تستند إليها: مبدأ التطابق ومبدأ التعدية ومبدأ التناقض ...إلخ.

*** التناقض وعدم الاتفاق:**

---

316 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 351/5

317 - الكناني, المصدر السابق, ص 32.

وقد بدأت المناظرة بين الكناني والمريسي من هذا المنطلق, قال الكناني: " **يا بشر ما حجتك أن القرآن مخلوق، وانظر إلى أحد سهم في كنانتك فارمني به، ولا تحتاج إلى معاودتي بغيره. فقال: تقول القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت إنه شيء أقررت إنه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنه حجة الله على خلقه وإن حجة الله ليس بشيء** "([318]).

في هذا المقطع أراد المريسي أن يلزم خصمه بالتسليم له بأن القرآن مخلوق, وذلك بوضعه في مقام يلزمه اختيار أحد الطريقين الذين وضعا أمامه, وهما طريقان متناقضان جعلهما المريسي أمام خصمه ظنا منه أنه لا يستطيع الخروج عنهما, وأنه ملزم لا محالة باختيار أحدهما, فإن اختار الأول سلم للمريسي في ما يزعم, وإن اختار الثاني كفر, وهذا ما كان الجميع ينتظره.

انطلق المريسي من قوله تعالى: " اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ "([319]), فهو يرى أن المخلوقات أشياء, وكذلك العكس أن كل الأشياء مخلوقة, وما دام القرآن شيئا فهو بالضرورة مخلوق, ومن أجل هذا ظن أنه سيلزم خصمه بالتسليم لهذه الحجة التي يراها أقوى حججه التي يعتمد عليها.

ونفس الحجة اعتمدها واضع المناظرة الثانية على لسان المأمون في فضائل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه), حيث قال المأمون: " **يا إسحاق، خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان ؟ قلت: بالأعمال الصالحة. قال: صدقت. قال : فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله ﷺ بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ﷺ، أيُلْحق به ؟ قال : فأطرقت** "([320]). وفي هذا الجزء كان الانطلاق من مسألة سلم بها الخصم من البداية, وهي أن الفاضل هو علي بن أبي طالب (**رضي الله عنه**), وأن المفضول هو أبو بكر الصديق(**رضي الله عنه**), وواضع المناظرة كان ذكيا في رسم هذه الخطة, فبين استسلام إسحاق للمأمون بقوله على لسانه:" **قال : فأطرقت** ", وهذه كلمة تدل على الانقطاع, في وقت كان يمكنه أن لا يسلم له فيها حتى لا يوقعه في التناقض, ففضائل أبي بكر(**رضي الله عنه**) لا تسبق, لأنه قال بعدما أطرق:" **يا إسحاق، لا تقل نعم، فإنك إن قلت نعم**

---

[318] - الكناني, المصدر السابق, ص 32.

[319] – هذه الآية جزء من عدة آيات, وقد وردت في سور: الأنعام:102, الرعد: 16, الزمر: 62, غافر: 62.

[320] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 351/5

أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاةً وصدقة. فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ﷺ الفاضل أبدا "[321].

فظهر تسليم إسحاق للمأمون بسبب خوفه من الوقوع في التناقض.

وبقيت هذه الإلزامات تتكرر, والمناظرة تسير على نمط واحد خلال معظم جولاتها. ومن أخطرها قول المأمون في فضل أسبقية علي للإسلام: " **فهل علمت أحدا سبق عليّا إلى الاسلام ؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن عليا أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم** "[322]. وهذا كلام فيه هروب وحيدة عن الجواب, لذلك كان الرد بتأكيد المحاولة لأجل التسليم للمقدمة المهمة في بناء هذه الحجة, فقال: " **أخبرني أيهما أسلم قبل، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال. قلت : علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة** "[323]. وهنا كان التسليم للمقدمة التي إن خالفها فيما بعد أوقعه في التناقض. فقال: " **فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم: لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام، أو يكون إلهاما من الله. قال : فأطرقت** "[324]. وهكذا ظهرت الإطراقات مرة أخرى التي تدل على التسليم, ولا يتوقف وينتهي عند هذا الموقف بل يبقى مستمرا, قال المأمون: " **يا إسحاق، لا تقل إلهاما فتقدّمه على رسول الله ﷺ لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالى. قلت: أجل، بل دعاه رسول الله ﷺ إلى الاسلام. قال: يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه ؟ قال: فأطرقت. فقال: يا إسحاق، لا تنسب رسول الله ﷺ إلى التكلف، فإن الله يقول: " وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ "(ص:86). قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله. قال: فهل من صفة الجبار جل ثناؤه أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم ؟ قلت: أعوذ بالله ! فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق : إن عليا أسلم صبيا لا يجوز عليه الحكم، قد كلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شي ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ أترى هذا جائزا عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل ؟ قلت: أعوذ بالله. قال: يا إسحاق، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله ﷺ عليّا على هذا الخلق، أبانه**

---

321 - نفس المصدر, 351/5

322 - نفس المصدر, 352/5.

323 - نفس المصدر, 352/5.

324 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 352/5.

بها منهم ليعرف مكانه وفضله، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا ؟ قلت : بلى "([325]).

وقد كانت هذه الحجة قوية جدا في رد المأمون على موسى الرضى في المناظرة الثالثة بخصوص أحقية علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)** للخلافة, وبسببها حسمت المناظرة من أول وهلة, ووصلت إلى مرحلة المقاطع وهي المرحلة الأخيرة التي ينقطع فيها البحث عند الوصول إما إلى الضروريات وإما إلى الظنيات, قال المأمون لعلي بن موسى الرضا: " **بم تدعون هذا الأمر؟ قال: بقرابة علي من رسول الله ﷺ وبقرابة فاطمة منه؟ فقال له المأمون: إن لم يكن ها هنا إلا القرابة، فقد خلف رسول اللّه ﷺ من أهل بيته من كان أقرب إليه من علي، أو من في مثل قُعْدُده، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول اللّه ﷺ فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيان، فإذا كان الأمر كذلك، فإن عليا قد ابتزهما حقهما وهما صحيحان، واستولى على ما لا يجب له. فما أجابه علي بن موسى بشيء** "([326]).

ألزم المأمون خصمه بإسقاطه في التناقض من خلال اعترافه بأفضلية علي على غيره من جهة القرابة, فبين له أن هناك من هو أقرب إلى النبي ﷺ منه, وبالتالي هو الأحق منه, فظهر له تناقضه فلم يستطع إجابته.

*** حجة التماثل والحد في الحجاج:**

لقد فر الكناني من بين فكي الحجة التي أراد المريسي أن يوقعه بها, وخرج منها باللجوء إلى التعاريف والحدود, وهي طريقة يتحرر بها المراد من المباحثة, حتى يوسع الخصم على نفسه, ولا يقع في الدائرة الضيقة التي يسعى مناظره إلى حصرها فيها, ومن ثمة الإيقاع به. وفيها يبين نوع التعريف والحد, هل هو مساو للمعرف ؟ جامع مانع ؟ أو صالح للتعريف به في أدنى المستويات ؟

وكان رد الكناني على خصمه من هذا الطريق بقوله: " **سألت عن القرآن أهو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد هو شيء إثباتا للوجود ونفيا للعدم فهو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا** "([327]).

---

[325] - نفس المصدر, 353/5.

[326] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 224/2.

[327] - الكناني, المصدر السابق, ص 33.

ويسمى هذا النوع من الحجج : حجة التماثل والحد في الحجاج المنتمية إلى فئة الحجج شبه المنطقية. ويقوم على البنى المنطقية, يعمد فيه المحتج لفكرة أو مبدأ إلى التعريف وضبط الحدود.

ويمضي الكناني في توسيع دائرة المفاهيم والحدود بطلب من المأمون حتى يبين وجهة نظره فيما طلب منه, قائلا: " **إن الله عز وجل أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه إذ كان كلامه من صفاته فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأكبر الأشياء إثباتا للوجود ونفيا للعدم، وتكذيباً منه للزنادقة، والدهرية، ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم. فقال عز وجل لنبيه ﷺ: " قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ "(الأنعام:129), فدل على نفسه أنه شيء (...) قال عز وجل: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "(الشورى:11), فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر تكذيبا لمن ألحد في كتابه، وافترى عليه، وشبهه بخلقه (...) ثم ذكر جل ذكره كلامه نفسه ودل عليه بمثل ما دل على نفسه, ليعلم الخلق أنه من ذاته وأنه صفة من صفاته، فقال الله عز وجل: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى "(الأنعام:91), فذم الله اليهودي حين نفى أن تكون التوراة شيئا (...) وذم من جحد أن كلام الله شيء, فلما أظهر الله عز وجل اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكتاب والنور والهدى, ولم يقل: قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى، فيجعل الشيء اسما لكلامه، وكذلك سمى كلامه بأسماء ظاهرة يعرف بها، فسمى كلامه نورا وهدى، وشفاء، ورحمة، وحقا، وقرآنا، وأشباه ذلك لعلمه السابق في جهم وبشر ومن يقول بقولهما إنهم سيلحدون في أسمائه وصفاته التي هي من ذاته وسيدخلونها في الأشياء المخلوقة** "([328]).

ولما خرج الكناني من قبضة المريسي بلجوئه إلى تبيين الحدود والمفاهيم, رجع المريسي مرة أخرى إلى محاولة إيقاعه في مطب التناقض الذي أشرت إليه آنفا, ولم يكتف بذلك بل طالبه بالبرهنة على ادعائه بنصوص القرآن التي جعلوها حاكما بينهما عند الاختلاف, وحول بذلك مجال المناظرة الذي أدخله فيه خصمه, فبعدما كان الكناني يصول ويجول في مجال التعريفات

[328] - الكناني, المصدر السابق, ص ص 34- 35.

حوله المريسي إلى مجال النصوص المنقولة التي تبرهن على صدق الادعاء, وعادة يكون الاختلاف في هذا المجال من جهتين: الأولى من جهة صحة النقل, والأخرى من جهة الدلالة في النص المنقول, وهذا ما سيتناظر فيه هذان الخصمان.

ب) الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

وتعتمد هذه الحجج في تشكيل خلفيتها وتأسيس طاقتها الحجاجية على قواعد رياضية عديدة منها:

*** حجة التعدية:**

وقد اعتمدها المريسي في انطلاقته لمناظرة الكناني, وأراد أن يلزمه بها, من خلال بنائه لها على مقدمتين ونتيجة, وذلك في قوله السابق: " **تقول القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت إنه شيء أقررت إنه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنه حجة الله على خلقه وإن حجة الله ليس بشيء** "([329]).

فتكون المقدمة الأولى: القرآن شيء, والمقدمة الثانية: الأشياء مخلوقة, فتكون النتيجة في الأخير أن القرآن مخلوق وذلك بعلاقة التعدي. وقد رد الكناني على هذا الإلزام بمناقشة المقدمات التي انطلق منها المريسي في بناء النتيجة التي يريد الوصول إليها, وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل.

*** حجة إدماج الجزء في الكل أو حجة الاشتمال:**

يقوم هذا النوع من الحجج على مبدأ رياضي, يقضي بأن الحكم على الكل ينسحب على أجزائه, باعتبار أن الكل يتضمن الجزء.

ومن ذلك ما حدث بين المريسي والكناني حول دخول لفظ " الشيء " تحت غطاء العموم, فقال المريسي: " **يا أمير المؤمنين قد أقر بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء فقد اتفقنا على أنه شيء، وقال الله عز وجل بنص التنزيل: " إنه خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ " وهذه لفظة لم تدع شيئا إلا أدخلته في الخلق, ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء, لأنها لفظة استقصت الأشياء وأتت عليها مما ذكر الله تعالى ومما لم يذكرها, فصار القرآن مخلوقا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير** "([330]). فأراد بهذا القول أن لفظ (كل شيء) يفيد العموم ويعم كل أجزائه, فالله تعالى أخبرنا بخلقه لكل شيء, والقرآن شيء وهو جزء من هذا الكل, فالحكم العام على الكل

---

[329] - الكناني, المصدر السابق, ص 32.

[330] - نفس المصدر, ص 42.

ينسحب على كل أجزائه, فهو خالق هذا الجزء الذي هو القرآن. يكون هذا الاستدلال صحيحا حين يبنى على القواعد المطردة, لكن الكناني لم يسلم لخصمه في اطراد هذه القاعدة, ذلك لأن ألفاظ العموم ليست على حال واحدة, فكما أن هناك صيغ عامة يراد منها العموم, فهناك صيغ عامة لا يراد منها إلا الخصوص, ومنها الآيات التي استشهد بها الكناني كما في قوله تعالى: " **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** "(الأحقاف:25), وقوله أيضا: " **وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** "(النمل:23), فقال وهو يفسر الآيات ويحاور خصمه: قال الله عز وجل: " **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ", **يعني الريح التي أرسلت على عاد، فهل أبقت الريح يا بشر شيئا لم تدمره، قال: لا لم يبق شيء إلا دمرته، وقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة. قلت: قد أكذب الله من قال هذا بقوله: " فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ " فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة** "([331]). وكذلك في قوله: " **وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** ", **يعني بلقيس، فكأن بقولك يا بشر يجب أن لا يبقى شيء يقع عليه اسم الشيء إلا دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي ملك سليمان وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته لم يدخل في هذه اللفظة** "([332]).

ج) الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

*** حجة السلطة:**

وفيها يلجأ المتناظر إلى استعمال سلطة من خارج النص تقوي حجته وتدعمها, وتختلف السلطة حسب المنقول عنه, وفي نصنا هذا لا يكاد يسلم الخصم لصاحبه ويستسلم لسلطة الأشخاص العاديين الذين ينقل عنهم, لأنهما قد اتفقا ابتداء على اختيار نصوص القرآن الكريم لتكون المرجع والحاكم بينهما عند الخلاف, وهذا نص الاتفاق بينهما: **قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: فافعلا وأصلا بينكما يا عبد العزيز أصلا واتفقا عليه وأنا الشاهد بينكما إن شاء الله تعالى. قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين: إنه من ألحد في كتاب الله عز وجل جاحدا أو زائدا لم يناظر بالتأويل، ولا بالتفسير، ولا بالحديث. فقال المأمون: وبأي شي تناظره، قلت: بنص التنزيل كما قال عز وجل لنبيه ﷺ: كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ** "(الرعد:30), **وقال تعالى: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** "(الأنعام:151), **وقال حين أدعت**

---

[331] - الكناني, المصدر السابق, ص 42.

[332] - نفس المصدر, ص 42.

اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم: قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "(آل عمران:93)**, وقال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ** "(النمل:92)**. فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة، ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن أقر بالتنزيل، وأما من ألحد في التنزيل فكيف يناظر بتأويله. فقال لي المأمون: ويخالفك في التنزيل، قلت: نعم ليخالفني، أو ليدع قوله ومذهبه ويوافقني**"([333]).

ولذلك طلب المريسي من خصمه الأدلة التي تكون الحاكم بينهما, وإلا كان لزاما عليه الرجوع عن قوله إلى قول المريسي إن لم يثبت النص الذي يدعيه, قال بشر: " **يا أمير المؤمنين قد أقر عبد العزيز إنه شيء، وإنه لا كالأشياء فليأت بنص التنزيل كما أخذ علي وعلى نفسه، أنه ليس كالأشياء، وإلا فقد بطل ما ادعاه وصح قولي إنه مخلوق** "([334]).

وقد استعمل الكناني حجة السلطة بقوة وذكاء, وعرف كيف يوجه دلالة النصوص التي كان يظن المريسي وأتباعه أنها في صالحهم, ولما طالبوه بها ظنوه عاجزا عن الاستشهاد بها, حتى ارتفعت أصواتهم وكثر لغطهم في مجلس الخليفة, واعتقدوا أن الكناني قد انقطع, ولم يتوقفوا عن ذلك حتى تدخل المأمون.

د) الحجج التي تستدعي القيم:

تعتبر هذه الحجج ذات سلطة فاتنة تدخل الحجاج بسهولة باب التوجيه, وتحول الإقناع إلى هجوم يستهدف مناطق الخصم المعرفية وعوالمه الشعورية والفكرية, وهي تهدف إلى فرض الرأي وتسعى إلى إظهار الفرضيات على أنها حقيقة لا لبس فيها, ولا تتورع عن استعمال أسلوب الترغيب والترهيب وحمل المستمع على الإذعان والانقياد([335]).

ويظهر هذا الأسلوب جليا في مناظرة المأمون لفقهاء عصره, وهو في مقام الترهيب يزرع الرعب في قلب خصمه بالاعتماد على قيم لها أثرها في نفسه, وهي من جملة المعتقدات المسلم بها. ومن أمثلة ذلك قول المأمون لخصمه: " **يا إسحاق، أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله ﷺ ؟ ويحكم ! لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم، إن الله جل ذكره قال في كتابه: " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** "(التوبة:31)**, ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم** "([336]).

---

[333] - الكناني, المصدر السابق, ص ص (31- 32).
[334] - نفس المصدر, ص 35.
[335] - ينظر: الدريدي, سامية, مرجع سابق, ص270.
[336] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 357/5.

اعتمد المأمون في خطابه هذا على أمر مسلم به في اعتقاد خصمه, فخصمه فقيه يدرك تماما قيمة التهمة التي وضعت في وجهه, فطاعة العلماء في كل الأمور دون فهم وعلم توصل الإنسان إلى حد التقديس المنهي عنه في الآية الكريمة المستشهد بها, والتي ورد فيها حديث النبي ﷺ , فقد روى الترمذي وغيره من حديث عَدِيِّ بن حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ:"يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ، فَطَرَحْتُهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةٌ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ:"أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟ " قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ "([337]). وهذا حديث صحيح, يخلف آثار الرهبة في قلب متلقيه من خشية وقوعه في مخالفة الشرع , لذلك اعتمد عليه المأمون في مخاطبة خصمه قصد ترهيبه بالاعتماد على قيمة هذا الأثر في قلبه.

ولما كان للكفر قيمة خطيرة في قلوب المتناظرين, نجدهم يمارسون الضغط بها على بعضهم البعض أثناء المنازلات الفكرية, فمن أراد أن يرهب خصمه هدده وحذره من مغبة الوقوع في الكفر, وقد وردت صيغة التهديد هذه مرات عديدة في مناظرات المأمون لخصومه, منها قوله للمرتد الخراساني: " **فو الله لأن أستحييك بحق، أحب إلي من أن أقتلك بحق، وقد صرت مسلما بعد أن كنت كافرا، ثم عدت كافرا بعد أن صرت مسلما، وإن وجدت عندنا دواء لدائك تداويت به، وإن أخطأك الشفاء، وتباعد عنك، كنت قد أبليت العذر في نفسك، ولم تقصر في الاجتهاد لها، فإن قتلناك, قتلناك في الشريعة** "([338]). فالخصم يعرف حد الارتداد عن الدين بسبب الكفر الذي تكون عاقبته القتل, لذلك استعمل الخليفة هذه القيمة حتى يوجه قلب الخصم وفكره بقوة الترهيب.

ومنها أيضا قوله في المناظرة الثانية: " **أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه، أو أن يقول: عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه، أو أن يقول: إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول، فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول ؟ ثم قال : يا إسحاق، لا تقل منها شيئا، فإنك إن قلت منها شيئا استتبتك** "([339]). وتظهر خطورة هذا القول

---

[337] - حديث حسن, رواه الترمذي, رقم (3095), والبيهقي, أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي, السنن الكبرى, دار الفكر, بيروت, 116/10. وغيرهما.

[338] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 223/2.

[339] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 354/5.

وشدته في قول المأمون: " **فإنك إن قلت منها شيئا استتبتك** ", فالاستتابة لا تكون من الخليفة لشخص إلا إذا أذنب ذنبا يخرجه من دائرة الإسلام.

وترددت هذه الكلمة التي تحمل معاني الرهبة كثيرا على ألسنة المريسي والكناني في مناظرتهما, كقول بشر مثلا : " **وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس عليها وسفك دمك بها**"([340]), ويقصد حجة من الحجج التي ألقاه عليه, ويكون بموجبها وقوع الحد على الكناني بسبب وقوعه في الكفر الذي يبيح دمه. بينما نجدها تكررت في مواضع عدة على لسان الكناني, كقوله لبشر: " **أخبرني عمن قال (...) أمؤمن هو أم كافر؟ فقال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم** "([341]), وقد أعادها عليه مرات متعاقبة في مواطن عدة.

هـ) الحجج التي تستدعي المشترك:

ونعني بهذا المشترك " جملة المعارف المشتركة الشائعة بين المتناظرين, والتي يكون لها سلطة على النفوس, فهي تذعن لكل ما تعودت عليه وتنفر مما يخالفه ويجانب ما آمنت به وصدقته, لأنه يزعزع قداسة القديم ويربك النظام المعرفي السائد. ويشكل استدعاء المشترك ركيزة هامة من ركائز الحجاج, وبه يقنع المحتج لمبدأ أو فكرة متلقيه أو يحمله على الإذعان لما ورد في خطابه " ([342]).

والمشترك الذي غلب وساد في هذه المناظرات كان يدور حول المقدسات التي يشترك فيها الجميع, ولا يتسامح في مسها طرف أيا كان اتجاهه ومذهبه, فهناك ثوابت ومقدسات يشترك فيها جميع المسلمين على تنوع واختلاف مذاهبهم الفكرية والدينية والفقهية, كتقديس ذات الإله, وتقديس كتابه ونبيه ﷺ , وقد ورد ذلك في عديد من المواضع استعمل فيها المحاج هذا المشترك الذي يجمعه وخصمه ليحاجه ويلزمه به, قال المأمون لإسحاق: " **أتروي حديث (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين (...) قال: فهل يمكن أن يكون الرسول ﷺ مزح بهذا القول ؟ قلت: أعوذ بالله ! قال: فقال قولا لا معنى له فلا يوقف عليه ؟ قلت: أعوذ بالله !** "([343]). يظهر جليا في هذا النص استدعاء المأمون للمشترك المتعارف عليه بينه وبين خصمه, فهما يشتركان في معرفة النبي ﷺ وتقديسه وتنزيهه عن أن يقول لغوا, أو أن

---

[340] - الكناني, المصدر السابق, ص52.
[341] - نفس المصدر, ص 58.
[342] - الدريدي, سامية, المرجع السابق, ص287.
[343] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 357/5.

يمازح في وقت بيان الحق, لذلك كان جواب الخصم بترديد الاستعاذة الدالة على رفع النبي ﷺ وتنزيهه عن قول ذلك وعما كان يرمي إليه الخليفة.

وأما تقديس كتاب الله عز وجل وهو من أهم المعارف المشتركة بين المتناظرين جميعا, فقد ورد الرجوع إليه في معظم المناظرات التي بين أيدينا, وتكفينا الإشارة إلى أن المتناظرين لا يرضون بحكم يرجعون إليه سواه, ذلك أن الإقرار به والرجوع إليه من أصل دينهم, وأما الإعراض عنه فصاحبه محكوم عليه عندهم جميعا بالخروج عن دائرة الإسلام.

وقد كان القرآن الكريم هو الأصل الذي أصله المريسي والكناني بينهما, والرجوع إلى نصوصه أثناء التنازع, رغم الاختلاف الصارخ بينهما في أصول الاعتقاد.

وإلى نصوص القرآن الكريم كان المأمون يرجع في إقامة الحجة على خصمه في فضائل علي بن أبي طالب(**رضي الله عنه**), ويستشهد بها على تقديس النبي ﷺ , ومن ذلك قوله في مسألة إسلام علي بن أبي طالب (**رضي الله عنه**): " **يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه ؟ قال: فأطرقت. فقال: يا إسحاق، لا تنسب رسول الله ﷺ إلى التكلف، فإن الله يقول:** " **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**" (ص:86). **قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، بل دعاه بأمر الله. قال: فهل من صفة الجبار جل ثناؤه أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم ؟ قلت : أعوذ بالله !** "([344]). لم يكتف المأمون بقيمة النص الذي استشهد به, ولا بتسليم خصمه لقداسة النبي ﷺ فحسب, بل استدعى مشتركا آخر, وهو تنزيه الله تعالى عن دعاء من لا يجوز عليه حكم, وهذا ملاحظ في استعماله لعبارة (**صفة الجبار**) التي تتجاوب مع هذا الموقف في دفع الخصم نحو الاستسلام والانقياد له دون أدنى مقاومة.

5- الأساليب الحجاجية في المناظرة

أ) الشرح عن طريق القياس المنطقي:

والقياس كما هو معلوم تعدِية الحكم من الأصل إلى الفرع بعلة متحدة. وسأذكر في هذا المبحث موقفين, أحدهما بين الكناني والمريسي, والآخر بين المأمون وفقهاء عصره.

* بين الكناني والمريسي, قال الكناني: " **يا بشر ألست تزعم أن قوله:** " **خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ", **لفظه لا يخرج عنها شيء، لأن (كل): كلمة تجمع الأشياء فلا تدع شيئاً يخرج عنها, وكل شيء داخل فيها. فقال بشر: هكذا قلت وهكذا أقول. ثم قلت له: يا بشر قال الله عز وجل:** " **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** "(طه:41) **وقال عز وجل:** " **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** "(آل عمران:28), **وقال جل**

[344] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 352/5.

ذكره: " كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ "(الأنعام:12), وقال عز وجل: " كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ "(الأنعام:54) وقال: " تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ "(المائدة:116), فقد أخبر الله عز وجل في مواضع كثيرة من كتابه أن له نفسا، أفتقر يا بشر أن الله نفسا كما أخبرنا عنها بهذه الأخبار كلها، قال: نعم. فقلت له: قال الله عز وجل: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ "(آل عمران:185), أفتقول: أن نفس رب العالمين داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت. فصاح المأمون بأعلى صوته وكان جهير الصوت، معاذ الله معاذ الله معاذ الله "([345]).

وهذا الضرب من الاستدلال يعرف بالقياس المنطقي, اعتمد فيه المحاج على بناء حجته بقياس المسألة التي يريد بث الحكم فيها على مسألة أخرى تشترك معها في وجه العلة, أوقع بصاحبه في مشكلة الإقرار بأصل المسألة التي أراد القياس عليها, فلما أعطاه الموافقة على ما كان يريد احتج عليه بحكمه على نفسه من خلال حكمه على أصل المسألة المَقيس عليها.

* بين المأمون والفقهاء: وكان ذلك في القياس بين أحقية علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)** بالخلافة كما كانت لنبي الله هارون مع موسى **(عليهما السلام)**, انطلاقا من حديث النبي ﷺ : " **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** ", قال المأمون: " **... وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه، لا يقدر أحد أن يحتج فيه، ولا أعلم أحدا احتج به وأرجو أن يكون توفيقا من الله. قلت: وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله: " وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا "(طه:29- 35) : فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى، وزيري من أهلي، وأخي شدّ الله به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبح الله كثيرا، ونذكره كثيرا، فهل يقدر أحد يدخل في هذا شيئا غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي ﷺ وأن يكون لا معنى له "**([346]).

وهذا ضرب من القياس لم يسبق إليه المأمون – على لسان واضعه – , لم يعرف من قبل, مع وجود الفوارق بين الأصل المقيس عليه والمسألة الفرعية الجديدة المستحدثة, فهارون **(عليه السلام)** نبي الله ثبتت نبوته بنصوص القرآن الكريم, وهي العلة التي يمتنع القياس من أجلها لعدم توفرها في علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)**.

---

[345] - الكناني, المصدر السابق, ص52.

[346] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 358/5.

ب) الحجاج المغالط:

قوام الحجاج المغالط سبل تمويهية وتغليطية؛ الهدف منها إبطال كل ما يبتغي المجيب حفظه, أو حفظ كل ما يستهدف السائل إبطاله؛ عبر سوق الخصم إلى الكذب والباطل. وغالبا ما يستند المغالط في ذلك إلى مسالك تقوم على التحريف والتلبيس والتعتيم والكتمان والكذب والمكر، وغيرها من المسالك التي تيسر له تحصيل ما يروم إليه.

والمغالط شخص يقوم بتلبيس الكذب صفة الصدق والباطل صفة الحق. وقد يكون مطالبا أو يكون مجيبا.

قد يتبع المغالط مسالك تدليلية تضليلية وتمويهية تعود إلى الصورة أو المضمون أوهما معا. فيكون التضليل ناتجا إما عن مضمون الأقوال، بحيث يقدمها المغالط على أنها صادقة، لكن الأمر ليس كذلك حقيقة؛ وقد يعود إلى طريقة التدليل على الدعوى فيوهم خصمه بأنه التزم بطرق تدليلية منطقية صارمة ودقيقة، في حين أن الأمر كذلك ظاهريا فقط و ليس حقيقة.

وقد برز هذا النوع من الحجاج بجلاء ووضوح في المناظرة التي وضعت على لسان المأمون في محاججته لفقهاء عصره, وقد جاءت الأقوال المنسوبة له على نسق وترتيب يبعث على الشك والريب في صدق نسبتها له, ويتأكد هذا الشك ويرتقي إلى درجة اليقين حينما ينكشف الغطاء عن الحجاج المغالط فيها.

فمن الأقوال المضللة والمغالطة التي قدمت على لسان الخليفة على أساس أنها صادقة قوله:

– أن علي بن أبي طالب, كان في عمله أفضل من أبي بكر الصديق(**رضي الله عنهما**) في حياة النبي ﷺ , وقد أقر الخصم وسلم بهذه المقدمة المغلوطة. قال المأمون: " **فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ ، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله ﷺ بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ﷺ، أيُلْحق به ؟ قال: فأطرقت. فقال لي: يا إسحاق، لا تقل نعم، فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة. فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ﷺ الفاضل أبدا** "([347]). وهذه مقدمة خاطئة يكفي لدحضها أن جل العشرة المبشرين بالجنة هم من حسنات أبي بكر الصديق (**رضي الله عنه**), فقد ثبت في التاريخ أن إسلامهم كان على يديه (**رضي الله عنهم**).

[347] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 351/5.

– جهاد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وبقاء الصديق (رضي الله عنه) مع النبي ﷺ في العريش, حيث أن المأمون نفى تشريك النبي ﷺ لأصحابه في التدبير معه, والثابت في السنة والتاريخ تفصيل القول في ذلك, وأن النبي قد أشرك أصحابه في تدبير شؤون الحياة, كما هو ثابت في اختيار مكان غزوة بدر, وكما ورد حديث " تأبير النخل"([348]).

لكن المأمون غلط خصمه فجعله يسلم له في قضية امتناع مشاركة الغير للنبي ﷺ في أي أمر من الأمور بإطلاق دون تفصيل ولا تحديد.

قال إسحاق: " **قلت: يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في عريشه قال: يصنع ماذا ؟ قلت: يدبر. قال: ويحك ! يدبر دون رسول الله أو معه شريكا، أو افتقارا من رسول الله ﷺ إلى رأيه ؟ أي الثلاث أحب إليك ؟ قلت: أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله ﷺ أو يكون معه شريكا، أو أن يكون برسول الله ﷺ افتقار إلى رأيه. قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك ؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله ﷺ أفضل ممن هو جالس ؟** "([349]). وبهذا سقطت فضيلة الوزارة من حق الصديق(**رضي الله عنه**).

– وأخيرا نذكر في المغالطات, مضامين الآيات التي فسرها المأمون حسب رغبته في إظهار حجته, وبنى عليها عقيدته, وجر إليها خصمه, فاستسلم له فيها دون أدنى مقاومة.

قد تعود المغالطة إلى طريقة التدليل على الدعوى, فيوهم المغالط خصمه بأنه التزم بطرق تدليلية منطقية صارمة ودقيقة, فينخدع بذلك ويسلم زمام انقياده له ويرضى بعدها بكل ما يقرره له. ونذكر على سبيل التمثيل لهذه الجزئية ما فعله المأمون مع الفقهاء في فضيلة صحبة الصديق (**رضي الله عنه**) للنبي ﷺ في الغار, وكيف أنه أسقطها أمام خصومه عن طريق قياس باطل, أوهمهم فيه بصحة مقدماته ونتائجه. قال المأمون: " **قلت: ... وإن لأبي بكر فضلا. قال: ... فما فضله الذي قصدت له الساعة ؟ قلت: قول الله عز وجل: " ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ**

---

[348] - الحديث رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار قال: حدثنا إبراهيم بن أبي داود، قال: حدثنا محمد بن كثير العبدي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، وهشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة, أن النبي r مر على قوم في رءوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء ؟ قالوا: يؤبرون النخل، قال: لو تركوه لصلح، فتركوه، فشيص، فقال: " ما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم، وما كان من أمر دينكم فإلي ". قال الطحاوي: لم يكن ذلك منه صلى الله عليه وسلم إخبارا عن وحي ، وإنما كان منه على قول غير معقول ظاهر مما يتساوى فيه الناس في القول ، ثم يختلفون فيتبين ذوو العلم به عمن سواهم من غير أهل العلم به ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان يعاني ذلك ولا من بلد يعانيه أهله ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم إنما بلده مكة ، ولم تكن دار نخل يومئذ ، وإنما كان النخل فيما سواها من المدينة التي صار إليها صلى الله عليه وسلم ، وكان مع أهلها من معاناة النخل والعمل ما يصلحها ما ليس مثله مع أهل مكة ، وكان القول في الأمر الذي قال : فيه ما قال : واسعا له أن يقول فيه وأن يكون ذلك القول منه على ما نفى ما يستحيل عنده ويكون منه على الظن به ". الطحاوي, أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة, شرح مشكل الآثار, تح: شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة, دمشق, سوريا, ط2, 2006م, 277/4.

[349] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 353/5.

لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا "(التوبة:40)، **فنسبه إلى صحبته. قال: يا إسحاق، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافرا، وهو قوله: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا** "(الكهف:37- 38). **قلت: إن ذلك صاحب كان كافرا، وأبو بكر مؤمن. قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافرا، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمنا، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث** "([350]).

*** سبل التغليط بالأقوال اللغوية:**

قد يلجأ المغالط إلى استعمال مختلف الأساليب التضليلية والتدليسية الممكنة لتغليط خصمه. كأن يحتال لخصمه بدعوى التعمق في العبارة, حتى لا يفهم الخصم من كلامه إلا القليل لكثرة ما فيه من شبهة وغموض, وقد يتنبه الطرف الآخر لهذه الحيلة فيتجنب الوقوع في المزلق الذي أعد له, ويظهر هذا في قول المريسي, لما سأله الكناني عن قوله تعالى: " كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ", فهل هذا القول يعم كل الأنفس بما فيها نفس الله عز وجل ؟ فقال: " **إذا كانت نفس الله ضميراً أو توهماً، فهي خارجة وليست بداخلة في هذه النفوس** "([351]). فكان جوابه كلاما غير مفهوم يضلل السائل فقد يسكت عنه بسبب غموضه, وتكون النتيجة فرار المسؤول من مطب السؤال, لكن الكناني تفطن لذلك فقال له: " **كم ألقي عليك أني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عني، وإنما قلت إن لله نفسا كما أخبرنا وقد أقررت بذلك, فلتكن عندك علي أي معنى شئت ؟ وقل هي داخلة في هذه النفوس أو لا، ودع عنا كلام الخطرات والوساوس** "([352]). ولما علم المريسي بانكشاف مغالطته أراد أن يهرب من هذا المأزق بقوله: " **أنت رجل متعنت تجاب عن مسألتك فتطلب غيرها، وليس عندي جواب غير هذا** "([353]).

*** سبل التغليط بالأحوال (خارج لغوية):**

قد يتخذ التضليل في مثل هذه الحالات أوجها عدة، كأن يقوم أحدهما بتحريف كلام خصمه وإخراجه عن سياقه، كما فعل المريسي مع الكناني, لما سأله عن القرآن هل هو شيء أو غير شيء ؟ فحين أجابه قطعوا عليه كلامه وشغبوا عليه وقولوه ما لم يقل, قال الكناني: " **وجعل**

---

[350] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 355/5.
[351] - الكناني, المصدر السابق, ص53.
[352] - نفس المصدر, ص53.
[353] - الكناني, المصدر السابق, ص53.

محمد بن الجهم وغيره يصيحون ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل وطمعوا في قتلي، وجثا بشر على ركبتيه وجعل يقول: أقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن "[354].

وقد ينحرف الأمر بصاحبه إلى درجة الاستهزاء والاستصغار بخصمه, وأن يعمد إلى إثارة قضايا شخصية بهدف تجريحه والنيل منه، كما فعل خصوم الكناني عند دخوله قصر المأمون, وقد وصف استهزاءهم به في قوله: " **... حتى صرت في الموضع الذي يجلس فيه المناظرون، ويسمع كلامهم، والحاجب معي يقدمني، فلما انتهيت إلى الموضع. قال لي المأمون: أجلس فجلست (...) فسمعت رجلا من جلسائه يقول وقد دخلت من الإيوان: يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، لا والله ما أريت خلق الله قط أقبح وجها منه** "[355].

وغالبا ما يقوم في مثل هذه الحالة بالتهجم المباشر على الشخص, من خلال التنقيص من كفاءته والطعن في سلوكياته والتشكيك في معتقداته واستحضار ماضيه، وما إلى ذلك. وقد تكررت هذه الصورة في المناظرة الأولى بشكل واضح, فقد طعن الكناني في شخص بشر في أكثر من موضع, كقوله: " **فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه، ولا بد من جواب يفهم ويعقل أنه شيء يعقل أو غير شيء. قال عبد العزيز: صدقت إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول, ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل في كتابه من قال مثل ما قلت, أو كان بمثل ما وصفت به نفسك، فقال الله عز وجل: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** " (الأنفال:22-23) "[356]. وقوله أيضا: " **وإنما دخل الجهل على بشر ومن قال بقوله يا أمير المؤمنين لأنهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتناولوا القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول، وإنما تتكلم بالشيء كما يجري على ألسنتها، فكل كلامهم ينقض بعضه بعضا لا ينتقدون ذلك من أنفسهم، ولا ينتقده عليهم غيرهم لكثرته (...) قلت: وهذا الذي يأتينا به بشر يا أمير المؤمنين من لغة أصحابنا – بني الأنباء – بني ساسان** "[357]. ولم يتوقف الكناني عند القدح في شخص خصمه فحسب, بل راح يستشهد بحادثة قد حصلت له مع الأصمعي تقدح في لغة القوم, قال الكناني: " **وسمعت الأصمعي عبد الملك بن قريب، وقد سأله رجل أتدغم الفاء في الياء؟ فتبسم الأصمعي وقبض**

---

354 - نفس المصدر, ص35.
355 - الكناني, المصدر السابق, ص26.
356 - نفس المصدر, ص33.
357 - نفس المصدر, ص70.

على يدي وكان لي صديقاً، فقال لي أما تسمع، ثم أقبل على السائل وهو يتعجب من مسألته وقوله فقال له: تدغم الفاء في الياء في لغة إخواننا بني الأنباء- بني ساسان- يقولون: كيصبحت، فيدغمون الفاء في الياء، أما العرب فلا تعرف هذا"([358]).

6- الروابط والعوامل الحجاجية:

أ) الروابط الحجاجية:

وهي جملة الأدوات التي توفرها اللغة للربط بين مفاصل الكلام وأجزائه. فتربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر). وهي أنواع متعددة سنذكر منها أشهرها, وأكثرها ورودا, مع أننا نشير إلى أنها جاءت في نصوص هذه المناظرات قليلة العدد من حيث استعمالها, وأحسب أن قلتها ترجع إلى اختلاف بنية الحجاج في المناظرة عن بنيته في النصوص الأخرى, فالحجاج في هذه النصوص مضمر وضمني في أغلب أحواله, لأن صاحبه يسعى بطرق لبقة تبتعد عن ميادين التدافع والاصطدام لإقناع الطرف الآخر والتأثير فيه, فمنتج هذا النص طرف واحد يسعى إلى إقناع الطرف الآخر والتأثير فيه بوسائل يغيب عنها عنصر التدافع, الذي يعتبر في المقابل عنصرا أساسا في إنتاج نص المناظرة. فالمناظرة نص يشترك في إنتاجه طرفان وهو بنية واحدة ناتجة عن تدافع عقلين يسعى كل واحد منهما إلى دحض رأي الآخر وإسقاط فكرته وفرض رأيه وإقامة فكرته باستخدام الأساليب المباشرة التي تحقق له النتائج التي يرجوها. ومن أهم هذه الروابط بحسب ورودها في نصوص المناظرة نذكر ما يلي:

*** الروابط المدرجة للحجج:**

(لكن, حتى, وبل): وهي روابط تشترك مع بعضها في إثبات القطع مع سابقها أو نفيه وإثباته لما لحقها أو تأكيده، وهي توحي بالخلاف وتحيل على حجة عدم الاتفاق. وهذه معانيها وتطبيقاتها متفرقة:

* **لكن:** متى توسطت دليلين باعتبارها رابطا حجاجيا جعلت ما بعدها أقوى مما قبلها فتكون للاحق الغلبة المطلقة وتكون النتيجة بعد الدليل الثاني هي مبتغى القول.

وهذه أمثلتها في المناظرة الأولى, قال الكناني في الرد على من استقبح صورته وتنقصه بذلك: " **وسمعت عمرا يعيب ذلك ويدعو على صانعه، ولا يعيب الجص، ولا يدعو عليه، فقال**

[358] - الكناني, المصدر السابق, ص70.

المأمون: العيب لا يقع على الشيء المصنوع، وإنما يقع العيب على الصانع. قال: قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكن هذا يعيب ربي لم خلقني قبيحا فازداد تبسما حتى ظهرت (ثناياه) "[359].

وقال أيضا: " **إن الله عز وجل أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه إذ كان كلامه من صفاته فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء من أسمائه, ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأكبر الأشياء إثباتا للوجود ونفيا للعدم، وتكذيباً منه للزنادقة، والدهرية، ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم** "[360]. وقال في موضع آخر: " **فلما أظهر الله عز وجل اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكتاب والنور والهدى ولم يقل قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى، فيجعل الشيء اسما لكلامه** "[361].

يظهر بوضوح تام الربط الذي أحدثه هذا الرابط, فكان نقطة الفصل بين دليلين أحدهما قبله والآخر بعده, وأكدت أن الدليل الثاني أقوى حجاجيا من الأول, بحيث وجه القول كله إلى النتيجة المبنية على الحجة التي جاءت بعد ذكر الرابط, وهي أن الله تعالى أخبر عن نفسه بأنه شيء وأنه أكبر الأشياء, مع أن الدليل الأول كان ينفي تسمية الله بالشيء ولا بجعله اسما من أسمائه, فجاء الرابط ليزيد في قوة الدليل الأخير فيحقق نتيجة تكذيب الزنادقة والملحدين.

وجاء ذكر هذا الرابط في موضع اعتذار المأمون للمريسي بعذر الجهل, فقال وهو يخاطب الكناني: " **حسبك يا عبد العزيز, قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم, وأشهد على نفسه بذلك, وقد صدقت في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقر به ولا يحكم به على غيره بمثل ما حكم به بشر على نفسه** "[362]. قد استعمل المأمون هذا الرابط في مكانه حتى ينتزع البراءة لنفسه والاعتذار للمريسي, فجاءت أقواله بعد استعمال الرابط أقوى وقد أدت إلى النتيجة التي كانت فيما بعد بعدم إسقاط الحكم على الباقي مهما ألزم بشر بالحجة.

وفي المناظرة الثانية قل استعمال هذا الرابط, وذلك للأسباب المذكورة سابقا, وقد ورد على لسان المأمون في موضع واحد ثلاث مرات في قوله: " **قال: يا إسحاق، فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدْوتك من فضائل علي بن أبي طالب، فقس عليها ما**

---

359 - الكناني, المصدر السابق, ص30.
360 - نفس المصدر, ص34.
361 - الكناني, المصدر السابق, ص35.
362 - نفس المصدر, ص65.

أتوك به من فضائل أبي بكر، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي، فقل إنه أفضل منه، لا والله، ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده، فقل إنهما أفضل منه، ولا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، فإن وجدتها مثل فضائل علي، فقل إنهم أفضل منه، لا والله، ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه "([363]).

مع أن هذا الرابط قد أدى وظيفته واستعمل في مكانه إلا أن استعمال المأمون في الموضع الآخر كان أبلغ, وذلك عند سؤاله لإسحاق عن فضيلة العريش, فقال: " **فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك ؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله ﷺ أفضل ممن هو جالس ؟ قلت: يا أمير المؤمنين، كل الجيش كان مجاهدا. قال: صدقت، كلٌ مجاهد، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله ﷺ وعن الجالس، أفضل من الجالس** "([364]). جاءت الحجة هنا بعد الرابط أقوى, لذلك حقق بها نتيجة ما كان يريده, فقدم عليا **(رضي الله عنه)** بفضل الضرب بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ على أبي بكر **(رضي الله عنه)** الذي وصفه بالجلوس كالقاعدين عن الجهاد فانتقصه بذلك.

واستعمل المأمون هذا الرابط مرة واحدة في مناظرته للمرتد الخراساني, حين كلمه عن الاختلاف الذي أشكل عليه وأن الله تعالى أنزل كتبه محكمة, وجعل للناس عقولا تنظر في تفسيرها وفق قواعد وأصول لا تتحقق إلا بطول البحث والدراسة, فقال له مبينا ذلك: " **ولو شاء الله أن ينزل كتبه مفسرة، ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يختلف في تأويله لفعل، ولكنا لم نجد شيئا من أمور الدين والدنيا وقع إلينا على الكفاية إلا مع طول البحث والتحصيل والنظر** "([365]). وقد أدى أيضا الرابط وظيفته في هذا الموضع بإقامة الحجة المؤدية إلى النتيجة مباشرة.

* **حتى:** وهي ليست حتى التعليلية أو التي تفيد انتهاء الغاية, بل التي تفيد الجمع بين حجتين أو ثلاث, وتخدم مجتمعة نتيجة واحدة. لم يرد ذكر هذا الرابط إطلاقا في أي موضع من مواضع المناظرات الخمسة, إلا ما كان من استعماله في المعهود في التعليل وإفادة انتهاء االغاية.

* **بل:** لا يختلف الرابط الحجاجي **بل** عن **لكن** من حيث أنه يتوسط دليلين أو يربط بينهما, وهو رابط يستعمل للإبطال والحجاج مثله مثل **لكن**, والفرق بينهما من جهة الرابط **لكن** الذي

---

[363] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 351/5.
[364] - نفس المصدر, 353/5.
[365] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 223/2.

يكون فيه التفاضل بين دليلين يخدمان نفس النتيجة, بينما **بل** تنفي الأول وتقصيه. وقد وقع بين أيدينا أربعة مواطن جاء فيها ذكر هذا الرابط, ثلاثة في المناظرة الأولى, وموضع واحد في المناظرة الأخيرة بين الخارجي والمأمون. واختلف وروده فيها بحسب حالي هذا الرابط.

الحال الأولى:

* وقوع الاسم المفرد بعده, وقد تقدمه سؤال. فجاء ما بعد الرابط بإقرار أحد الحكمين الواردين في السؤال, ومثاله تلك الأسئلة التي كان يطرحها الكناني على خصمه ليفتك منه حكما يجريه فيما بعد عليه, ويخرج في الأخير بنتيجة يحكم فيها خصمه على نفسه بلسانه وبكلماته, وقد تكرر السؤال عدة مرات بقصد من الكناني ليؤكد النتيجة التي يسعى إليها. قال الكناني في سؤاله لبشر: " **أخبرني عمن قال: إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟ فقال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم. قلت: فأخبرني عمن قال من أن التوراة خلقها اليهود من دون الله تعالى أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم، فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم. قلت: فأخبرني عمن قال: إن بني آدم خلقوا الله، وأن الله أخبر بذلك. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا أقول أيضا مثل ذلك** "([366]).

الحال الثانية:

* أن يقع بعده جملة فيكون حينها معنى الإضراب, وهو نوعان:

– إما الإبطال نحو قول المريسي في جوابه عن سؤال خصمه: " **قال عبد العزيز: أخبرني بإجماع الخلق بزعمك على أن جعل وخلق واحد لا فرق بينهما في هذا الحرف وحده أو في سائر القرآن من الجعل، قال: بل في سائر القرآن من ذلك وفي سائر الكلام والأخبار والأشعار** "([367]). وقوله أيضا: " **قلت لبشر: زعمت أن معنى جعلناه خلقناه قرآنا عربيا، قال: نعم هكذا قلت وهكذا أقول أبدا فقلت: الله عز وجل تفرد بخلقه ولم يشاركه فيه أحد، أو شاركه في خلقه أحد، قال: بل الله خلقه وتفرد بخلقه ولم يشاركه في خلقه أحد** "([368]).

366 - الكناني, المصدر السابق, ص61.
367 - نفس المصدر, ص60.
368 - نفس المصدر, ص61.

– وإما الانتقال من غرض إلى غرض نحو جواب المأمون على سؤال الخارجي لما قال له: " **أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة أم بالغلبة والقهر** ؟" فأجاب المأمون بقوله: " **لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى أمر الأمة من عقد لي ولأخي، فلما صار الأمر إلي، علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين على الرضى بي، فرأيت أني متى خليت الأمر، اضطرب حبل الاسلام، ومرج عهدهم، وتنازعوا، وبطل الحج والجهاد، وانقطعت السبل، فقمت حياطة للمسلمين، إلى أن يجمعوا على من يرضونه، فأسلم إليه** "([369]).

وهذا النوع من الإضراب يعرف عند النحاة بعبارة " الإضراب على جهة الترك من غير الإبطال.

(لأن): ويجيء هذا الرابط عموما للتعليل, وتبيين الأسباب التي من أجلها سيق الكلام في سياقه, مع التأكيد على ذكرها, وقد جاء ذكره في كثير من المواضع من هذه المناظرات, على عكس الروابط السابقة, وأظن أن سبب ذلك يرجع إلى طبيعة الرابط وعمله في سياق الكلام, فوظيفته الحجاجية متعلقة بتعليل النتائج التي بنيت على الأدلة المذكورة في الكلام, ولكثرة هذه الأدلة التي يقتضيها مقام المناظرة دون سواه, كثر استعماله دون غيره مما سبق ذكره.

ومن بين المواطن التي ذكر فيها هذا الرابط, قول المريسي لخصمه في المناظرة الأولى: " **تقول القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت إنه شيء أقررت إنه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنه حجة الله على خلقه وإن حجة الله ليس بشيء** "([370]). وكذلك قول الكناني: " **وإنما أجرى الله عز وجل مثل هذا على كلامه، كما أجراه على نفسه لأنه من ذاته** "([371]). وقوله أيضا: " **قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه فقال:** " **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** "(التوبة:6)**, يعني حتى يسمع القرآن، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عنى القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك** "([372]). وقوله: " **وأنا وبشر يا أمير المؤمنين على غير السواء في مسألتنا، لأني سألته عما أخبر الله به وشهد به على نفسه وشهدت له الملائكة به** "([373]). وقوله أيضا: " **وإن قال: خلقه قائما بنفسه وذاته وهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد إلى القول به**

---

[369] - الذهبي, سير أعلام النبلاء, ص278/10.
[370] - الكناني, المصدر السابق, ص32.
[371] - نفس المصدر, ص34.
[372] - نفس المصدر, ص39.
[373] الكناني, المصدر السابق, ص54.

سبيلا في قياس ولا نظر ولا معقول لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد ولا العلم إلا من عالم ولا القدرة إلا من قادر "[374].

وأما في المناظرة الثانية فجاء تعليل النتيجة, وتأكيد الدليل في قول المأمون حول إسلام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه), حين قال: " **أخبرني عن إسلام علي حين أسلم: لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام، أو يكون إلهاما من الله. قال: فأطرقت. فقال لي: يا إسحاق، لا تقل إلهاما فتقدمه على رسول الله ﷺ لأن رسول الله ﷺ لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالى** ". وكذلك قوله: " **قال: فهل بلغك أن عليا حين أطعم المسكين واليتيم والأسير, قال: إنما نطعمكم لوجه الله ؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليا ؟ قلت: لا. قال: صدقت، لأن الله جل ثناؤه عرف سيرته**"[375].

*** روابط مدرجة للنتائج:**

(إذن، لهذا، وبالتالي): وتعتبر هذه الروابط بمثابة تقديم الحاصل من الكلام, فما يأتي بعدها يكون نتيجة نهائية للحجاج المبني على الحجج والأدلة والبراهين. ولما كان ميدان المناظرات عسيرا وصعبا لظهور النتائج فيه والتسليم بها, كان الاستعمال لمثل هذه الروابط نادرا جدا, فالرابط **(إذن)** على سبيل المثال ورد ذكره مرة واحدة في المناظرات كلها, وذلك في رد الفعل الذي أحدثه المأمون بعد استماعه للأدلة والبراهين التي احتج بها الكناني على المريسي في مسألة عدم دخول لفظ القرآن في عموم خلق الأشياء, قال الكناني: " **ثم قلت له: يا بشر قال الله عز وجل: " وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي " (...) وقال: " كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ", أفتقول: أن نفس رب العالمين داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت، فصاح المأمون بأعلى صوته وكان جهير الصوت، معاذ الله معاذ الله، فقلت: إذا ورفعت صوتي معاذ الله معاذ الله أن يكون كلام الله داخلا في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسه ليست بداخلة في الأنفس الميتة، وكلامه خارج عن الأشياء المخلوقة كما أن نفسه خارجة عن الأنفس الميتة** "[376].

وأما الرابطان **(لهذا وبالتالي)**, فقد انعدم ذكرهما البتة.

ب) العوامل الحجاجية:

---

374 - نفس المصدر, ص82.

375 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 352/5.

376 - الكناني, المصدر السابق, ص ص (52- 53).

وهي لا تربط بين متغيرات حجاجية, أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما, وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: **ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا, وأدوات الحصر: النفي والاستثناء (ما...إلا)، وجل أدوات القصر**([377]).

وقد غلب أسلوب الحصر في هذه النصوص بشكل ملفت للانتباه, وخاصة في المناظرة الأولى, بخلاف باقي الأدوات, ويرجع ذلك طبعا إلى طبيعة الحجاج وأسلوبه المباشر في إقامة الحجة على الخصم في نص المناظرة, فالمقام يحتم على المحاج أن يحصر الاحتمالات الواردة على حجته حتى يضيق الطريق على الطرف الآخر, فلا يستطيع النفوذ من خلالها إلى دحضها. وأكثر الأساليب المستعملة في هذه المناظرات: **أسلوب الحصر بالنفي والاستثناء, وأسلوب الحصر بالأداة (إنما).**

لما كانت هذه الاستعمالات تشترك في تأدية دور واحد داخل هذه النصوص, والمقام لا يقتضي التكرار والتطويل فيما لا فائدة ترجى منه, سأكتفي بذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر.

*** الحصر بالنفي والاستثناء:**

المناظرة الأولى:

* أقوال الكناني:

- " **فلم يدع شيئا من الخلق إلا ذكره** ".

- " **فما قلت إلا ما قال الله عز وجل في كتابه، وما جئت بشيء غير كلام الله ولا قلت ولا أقول إلا أن الله خلق الأشياء بكلامه** "([378]).

- **فقلت: يا أمير المؤمنين قد قلت هذا، وما قلته إلا على صحته، ولا خرجت عن كتاب الله عز وجل ولا قلت إلا ما قال الله عز وجل، ولا أخبرت إلا بما أخبر الله عز وجل به** "([379]).

استعمل أسلوب الحصر في قوله هذا حتى يحتج على خصمه بأن ما قاله يوافق قول الله عز وجل, ولما كان قوله معرضا للاحتمالات الواردة عليه, لجأ إلى هذا الأسلوب باستعمال النفي والاستثناء, الذي هو أقوى الأساليب المستعملة في هذا الغرض.

---

377 - العزاوي, أبو بكر, المرجع السابق, ص27.

378 - الكناني, المصدر السابق, ص38.

379 - نفس المصدر, ص 38.

– " **فقلت له: لا أعرف أحداً من المؤمنين إلا وهو يؤمن بهذا** "([380]) .

* أقوال المريسي:

– " **وزعم أنه لا يقبل إلا نص التنزيل, فما لنا ولذكر لغة العرب وغيرها, لست أقبل منه إلا نص التنزيل بما قال أن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وهو الحق** "([381]). وفي هذا الموقف استعمل المريسي طريقة الهجوم المضاد عن طريق نفس الحجة التي استدل بها خصمه, لأنه يدرك تماما أنه ما عمد إلى طريقة الحصر هذه إلا لأنها أقوى السبل في إثبات الحجة, فما دام الخصم لا يقبل في الاحتجاج إلا نصوص القرآن, فأرجع إليه كيله وطالبه بالمثل ظنا منه أنه قد قطع حجته بذلك.

– " **وهذه لفظة لم تدع شيئا إلا أدخلته في الخلق** "([382]).

– " **نعم هو حرف محكم لا يحتمل معنى غير الخلق** "([383]). يزعم بشر أن معنى لفظ (جعل) هو خلق, ولكي يبرهن على يقينه وتثبته حول هذا المعنى استعمل أسلوب الحصر بالنفي والإثبات عن طريق الاستثناء, ليحكم على هذه الكلمة بأنها لا تحتمل من المعاني إلا ما استثناه هو من معنى الخلق.

* قول المأمون:

– " **ما قلت يا عبد العزيز منذ اليوم إلا ما تقوله العرب وما تتعارفه وتتعامل به** "([384]). قد أضفى المأمون بقوله هذا على كلام الكناني ستار المصداقية, حيث أنه استعمل أسلوب الحصر بالنفي والإثبات عن طريق أداة الاستثناء, ليعلم مستمعه أن دعوته بنفي العربية عن كلامه, ما هو إلا محض الإثبات القطعي بعكس ما يدعيه.

المناظرة الثانية:

* قول المأمون:

– " **فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ما تجد لعلي في الجهاد ؟ قلت: في أي وقت ؟ قال: في أي الأوقات شئت ! قلت: بدر ؟ قال: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحد إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر ؟**"([385]).

---

380 - نفس المصدر, ص 42.
381 - الكناني, المصدر السابق, ص 39.
382 - نفس المصدر, ص42.
383 - نفس المصدر, ص 60.
384 - نفس المصدر, ص 73.
385 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 353/5.

– " **الناس جميعا انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا سبعة نفر من بني هاشم: علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله ﷺ** "([386]).

أراد المأمون بأسلوبه هذا تبيين موقف هؤلاء النفر الذين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم حنين, فنفى ثبات الكل ليعلم الخصم ويتحقق الانعدام ثم استثنى السبعة ليعلم أنهم من ثبت وحدهم دون غيرهم, فلا يشترك في صفة الثبات هذه إلا من ثبت في حقهم ذلك بالاستثناء الوارد في عبارات المأمون.

المناظرة الثالثة:

* قول المأمون:

– " **إن لم يكن ها هنا إلا القرابة، فقد خلف رسول اللّه ﷺ من أهل بيته من كان أقرب إليه من علي، أو من في مثل قعدده** "([387]). وفي هذا القول رد المأمون على علي بن موسى الرضى, بهذا الأسلوب ليبين له أن الحجة التي بنى عليها ادعاءه في أحقية علي بن أبي طالب للخلافة حجة واهية, وهي لا تصلح أن يقوم عليها حكم, فإن لم يكن إلاها فالاستدلال بها ضعيف, لأن الحجة المتمثلة في قرابته **(رضي الله عنه)** منه ﷺ , يشاركه فيها غيره, بل يشاركه فيها من هو أولى بها منه إن كانت الأحقية لا تثبت إلا بها.

وكما كثر الاعتماد على أسلوب الحصر بالنفي والاستثناء عند جل المتناظرين, كثر أيضا استعمال الحصر بالأداة (إنما), وإن كانت في الدلالة والقوة أقل من الأسلوب السابق, ولكثرتها سأذكر البعض منها طلبا للاختصار المفيد, لأن التكثير من ذكر الشيء الواحد المتكرر لا فائدة ترجى منه.

*** الحصر بـــ(إنما):**

المناظرة الأولى:

* قول الكناني:

– " **قلت: قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه فقال: " وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللّهِ ", يعني حتى يسمع القرآن، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عنى القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك**"([388]). نفى الكناني بقوله هذا كل الاحتمالات التي قد تخطر على بال المتلقي, فقد يظن أن كلام الله المقصود في الآية هو غير

---

386 - نفس المصدر, 356/5.

387 - نفس المصدر, 359/5.

388 - الكناني, المصدر السابق, ص45.

القرآن, وهذا على عكس ما جاءت به الآية, لأجل هذا اختار الكناني أسلوب الحصر بالأداة (إنما) ليحتج به على الخصم ويبلغ به المراد.

– " **قلت: يا أمير المؤمنين لا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء ثم الخبر عن معناه** "([389]). قطع الكناني بهذا القول كل الدعاوى التي تخالف ما ذهب إليه, فالإخبار عن الشيء فرع والإقرار به أصل, ولا يكون الفرع إلا بعد ثبوت الأصل, وهذا أمر مسلم به عند الجميع, لذلك حصر الأسبقية في الإقرار ثم التبعية للفرع وهو الإخبار عنه.

– " **فقلت: إنما تأمرني بما نهاني الله عنه وحرم علي القول به** "([390]). أثبت الكناني في هذا القول لخصمه مخالفته لأوامر الله تعالى في أقواله التي سمعها منه, ليبين للجميع خروجه عن الشرع ومخالفته للدين, حتى يرجح كفة النزاع لصالحه, ومن ثمة الانتصار في جولته هذه, فجاء كلامه قويا مبنيا على أسلوب الحصر الذي أعطاه صبغة حجاجية متميزة.

* قول المريسي:

– " **يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءكم إنما يتكلم ويخطب لينسي خصمه حجته ويشغله بغيرها** "([391]). نفى المريسي أي فائدة من كلام خصمه, ولم يثبت له سوى ما حصره بالأداة.

– " **فإنما أمر الله أن يرد إليه وإلى الرسول، ولم يأمرنا أن نرده إلى كتابه العزيز وإلى سنة نبيه عليه السلام** "([392]).

– " **معنا من كتاب الله آية لا يتهيأ لك معارضتها ولا دفعها، ولا التشبيه فيها، ولا الخطب عليها، كما فعلت في غيرها، وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس عليها وسفك دمك بها** "([393]). برر المريسي تأخير المحاجة بهذه الآية إلى هذا الوقت بالذات, حتى تكون هذه الحجة خاتمة المجلس ونهاية المناظرة, ولم يستعمل هذا الأسلوب هنا إلا لاعتقاده الجازم بأن المستمع سيتساءل عن سبب تأخره في إيراد هذه الحجة, التي يراها هو قاصمة الظهر لخصمه, لذلك أراد أن يقطع ورود السؤال على أي متسائل لكي لا يوقع ذلك في حرج الإجابة التي حكم عليه بفعله هذا أنها غير مقنعة.

المناظرة الثانية:

---

389 - نفس المصدر, ص 59.
390 - الكناني, المصدر السابق, ص 61.
391 - نفس المصدر, ص75.
392 - نفس المصدر, ص 31.
393 - نفس المصدر, ص 58.

* قول المأمون:

- " **اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول:"والسابقونَ السّابقون، أُولئك المقرّبون"، إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحدا سبق عليا إلى الإسلام** "([394]). ضيق المأمون مفهوم الآية لما استعمل أسلوب الحصر بـــ(إنما), فأصبحت الآية لا تدل على أفضلية السبق بالخيرات, وإنما دلت على فضل شخص واحد كما زعم المأمون.

- " **يا إسحاق، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله ﷺ عليا على هذا الخلق** "([395]).

-" **أخبرني عن حزن أبي بكر: أكان رضا أم سخطا ؟ قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ﷺ خوفا عليه وغما، أن يصل إلى رسول الله ﷺ شيء من المكروه. قال: ليس هذا جوابي، إنما كان جوابي أن تقول: رضا، أم سخطا**"([396]). تقابل في هذا النص استعمالان لنفس الأسلوب من الطرفين المتنازعين, فكان الأول من قول إسحاق في جوابه عن سؤال المأمون حول حزن أبي بكر **(رضي الله عنه)**, فنفى أن يكون حزن أبي بكر لشيء غير خوفه على النبي ﷺ , بينما قابله المأمون بنفس الأسلوب وبذات الأداة, فغير اتجاه الكلام واتهمه بالحيدة عن الجواب, وبين له مقصده من السؤال الذي لا يكون الجواب عليه إلا من أحد الوجهين المذكورين.

المناظرة الرابعة:

* قول المأمون:

- " **لنا اختلافان: أحدهما كاختلافنا في الآذان، وتكبير الجنائز، وصلاة العِيدين، والتشهد، والتسليم من الصلاة، ووجوه القراءات، واختلاف وجوه الفتيا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس باختلاف، وإنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنة** "([397]). أزال المأمون من ذهن مستمعه ما كان علق به من أثر الاختلاف الذي أوقعه في الحيرة, لأنه كان يظن غير الذي بين له, ولم يعلم بحقيق الأمر إلا بعد استماعه للمأمون الذي بين له أنه ليس مما ذهبت إليه ولكنه من باب التوسعة والتخفيف ذلك.

- " **فإن كان إنما أوحشك هذا، فينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله** "([398]). يريد المأمون من استعماله هذا الأسلوب؛ أن يضع خصمه في صورة معرفة السبب

---

394 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 352/5.
395 - نفس المصدر, 352/5.
396 - نفس المصدر, 355/5.
397 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 223/2.
398 - نفس المصدر, 223/2.

الذي أدى به حقا إلى هذه الوحشة التي وجدها في صدره من الاختلاف الذي يزعمه, فإن لم يكن أوحشك إلا هذا الذي تقوله, فالرد عليه يكون من وجه كذا وكذا.

وبعد ذكر الحجج وأنواعها, والاستدلالات وطرقها, وذكر الأدوات والروابط والعوامل الحجاجية, كل ذلك في المرحلة الثانية من المراحل التي يقطعها المتحاجون في ميادين المناظرة, نصل في الختام إلى آخر المراحل, وهي:

7- مرحلة النتائج(المقاطع):

وتسمى هذه المرحلة: مرحلة المقاطع, وهي المرحلة التي ينقطع فيها البحث, بالوصول إلى:

* **الضروريات:** وهي اليقينيات التي يجب التسليم بها حسب الضرورة العقلية.
* **الظنيات:** التي يتم فيها تسليم خصم لآخر.

تنوعت المقاطع التي انتهت إليها نتائج المناظرات التي بين أيدينا, ما بين ضروريات وظنيات, بالإضافة إلى ما توصلت إليه مناظرة الكناني والمريسي من حيدة هذا الأخير عن التسليم للخصم, كما أنه في كثير ما تقوم الحجة على خصم ولا يسلم لمناظره فيكون رافضا لها معاندا له. وسنحاول ذكر ذلك حسب نوع النتائج.

أ) التسليم في الضروريات:

المناظرة الأولى:

انقطع المريسي أمام خصمه في أكثر من موضع, وذلك بظهور اليقين الذي يحدث معه العلم الضروري الموجب للتسليم, ومثاله ما حكاه الكناني في قوله: " **ثم قلت له: يا بشر قال الله عز وجل:** " **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** "**, وقال عز وجل:** " **وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ** "**(...) فقد أخبر الله عز وجل في مواضع كثيرة من كتابه أن له نفسا، أفتقر يا بشر أن لله نفسا كما أخبرنا عنها بهذه الأخبار كلها، قال: نعم. قال: فقلت له: قال الله عز وجل:** " **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ** "**, أفتقول أن نفس رب العالمين داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت. فصاح المأمون بأعلى صوته وكان جهير الصوت: معاذ الله معاذ الله معاذ الله. فقلت: إذا ورفعت صوتي: معاذ الله معاذ الله أن يكون كلام الله داخلا في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسه ليست بداخلة في الأنفس الميتة، وكلامه خارج عن الأشياء المخلوقة كما أن نفسه خارجة عن الأنفس الميتة** "([399]).

[399] - الكناني, المصدر السابق, ص ص (52- 53).

وكذلك في رده عليه حول مسألة العموم التي احتج بها المريسي, وزعم أن قوله تعالى: " خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ", لفظ عام يعم كل الأشياء, وقد انقطع المريسي عن جواب الكناني لما بين له خروج بعض الخاص من صيغ العموم إذا احتفت به بالقرائن, مستشهدا لأقواله بنصوص القرآن الكريم. قال الكناني: " **فقال بشر: يا أمير المؤمنين قد أقر بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء, فقد اتفقنا على أنه شيء، وقال الله عز وجل بنص التنزيل: إنه " خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ", وهذه لفظة لم تدع شيئا إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء لأنها لفظة استقصت الأشياء وأتت عليها مما ذكر الله تعالى ومما لم يذكرها, فصار القرآن مخلوقا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير. قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين علي أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل حتى يرجع أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله وكذبه وبطلان ما ادعاه. فقال: هات ما عندك يا عبد العزيز، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: " تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا " يعني الريح التي أرسلت على عاد، فهل أبقت الريح يا بشر شيئا لم تدمره، قال: لا لم يبق شيء إلا دمرته، وقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى, لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة. قلت: قد أكذب الله من قال هذا بقوله: " فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ " فأخبر عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة. وقال عز وجل: " مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ", وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك, فلم يصر شيئا منها كالرميم. وقال عز وجل: " وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ", يعني بلقيس، فكأن بقولك يا بشر يجب أن لا يبقى شيء يقع عليه اسم الشيء إلا دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي ملك سليمان وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته لم يدخل في هذه اللفظة. فهذا كله مما يكسر قولك ويدحض حجتك، ومثل هذا في القرآن كثير مما يبطل قولك** "([400]). فهذه حجج ملزمة بقوة النص الذي لا يقاوم, ولذلك ذهل المريسي عن جواب خصمه وانقطع.

ومن بين القضايا التي انقطع فيها المريسي؛ مسألة الجعل والخلق, فقد استشهد فيها الكناني على أقواله في الرد عليه وإبطال حجته بأكثر من عشر نصوص, آخرها قوله: " **وقال الله عز وجل مخبرا عن دعاء إبراهيم عليه السلام: " رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا "(إبراهيم:35), وقد كانت مكة مخلوقة قبل آدم عليه السلام وقبل إبراهيم، فكيف يدعو إبراهيم بخلقها وهذا مما لا يعقله الناس، وقال عز وجل: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ "(المائدة:103),**

[400] - الكناني, المصدر السابق, ص 42.

فأخبر الله أنه ما جعل ذلك كله، وزعم بشر أن الله ما خلق البحيرة ولا السائبة ولا الوصيلة ولا الحام، وإنما خلقهما الكفار من دون الله تعالى, ومن قال هذا فقد كفر بالله عز وجل. قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال: حسبك يا عبد العزيز فقد ثبتت حجتك في هذه المسألة كثباتها في المسألة الأولى وانكسر قول بشر فيها، وبطلت دعواه "([401]).

وكان انقطاع المريسي عن جواب خصمه ومنازعته في معظم جولات المناظرة, إلا ما سنذكره في باب الحيدة فإنه نوع مستقل بذاته.

– اعتراف المريسي بالانقطاع, وقد جاء مصرحا به عنه في قول الكناني: " **فأقبل علي المأمون فقال: أحسنت, أحسنت يا عبد العزيز وقد أبلغت فلا تحتاج إلى زيادة، ثم أقبل على بشر فقال: يا بشر هل عندك شيء تحتاج تسأل عنه عبد العزيز أو تحتج به عليه, فقد ظهرت حجته ووضح قوله عندنا. قال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك هذا يريد نص التنزيل بكل شيء يتكلم به أو يتلفظ به, وليس كل ما يتكلم به الناس ويحتجون به يجدونه في نص التنزيل, وإنما يجدونه في التأويل, وهذا لا يقبل التأويل ويبطل التفسير حتى كأنه كان يشاهد التنزيل, وهذا ما لا أسوغه أنا للمناظرين ولا أطيقه للمتكلمين, إذ كان الناس لا يجدون علم ما يختلفون فيه ويتنازعون من أمر دينهم في كتاب الله عز وجل بنص التنزيل**"([402]).

المناظرة الثالثة:

وقد وقع فيها انقطاع علي بن موسى الرضى أمام القياس المنطقي الذي ألزمه به المأمون([403]), فقد احتج على أحقية علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)** للخلافة بفضل قرابته منه ﷺ, وعلى هذه الحجة بنى المأمون قياسه, فاحتج بالأحقية في ذلك لمن هو أقرب من علي بن أبي طالب **(رضي الله عنه)** للنبي ﷺ, وهذا ما يعرف عند المناطقة بقياس الأولى.

المناظرة الرابعة:

كان التسليم في هذه المناظرة مبرهنا عليه بالقول والفعل معا, وذلك عند رجوع المرتد إلى الحق بعد سماعه من المأمون. فكان انقطاعه مقرونا باعترافه وعودته إلى الرأي الذي دعاه إليه خصمه. فبعد الاستدلال المكثف من المأمون والاحتجاج بالمنطق والقياس, قال له: " **... لو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحن، وذهب التفاضل والتباين، ولما عرف الحازم من العاجز،**

401 - نفس المصدر, ص 67.
402 - الكناني, المصدر السابق, ص 79.
403 - ينظر: ابن عبد ربه, المصدر السابق, 359/5.

ولا الجاهل من العالم، وليس على هذا بنيت الدنيا. قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن المسيح عبد اللّه، وأن محمدا صادق، وأنك أمير المؤمنين حقا"[404].

ب) التسليم في الظنيات:

ويتم فيها تسليم خصم لآخر, ليس من جهة إقامة الحجة الملزمة المترتب عليها اليقين والعلم الضروري, ولكن من جهة غياب الحجة في الرد وعدم استحضار الدليل من الطرف المحجوج. وهذا ما قامت عليه معظم جولات المناظرة الثانية, مما يؤكد ظني فيما ادعيت أنها موضوعة على لسان المأمون, فبالإضافة إلى أنها اتخذت في باب إقامة الحجة معظم أساليب المغالطة, فيمكننا القول هنا في باب النتائج: أن معظم النتائج المتوصل إليها فيها كانت ظنية, بمقدورنا الرد عليها من أكثر من وجه, وما دام المقام لا يتسع لذلك فنكتفي بمجرد الإشارة وحسب.

المسائل التي سلم فيها الخصم للمأمون:

المناظرة الثانية:

– تسليمه له في فضل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على أبي بكر (رضي الله عنه) في حياة النبي ﷺ , قال المأمون: " **فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ ، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله ﷺ بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ﷺ ، أيلحق به ؟ قال: فأطرقت** "[405]. وهذا لا يسلم له فيه إذ يمكن رده من وجوه عدة.

– تسليمه له في فضل علي بن أبي طالب على مجموع العشرة المبشرين بالجنة (رضي الله عنهم), قال: " **يا إسحاق، فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب، فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي، فقل إنه أفضل منه، لا والله، ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده، فقل إنهما أفضل منه، ولا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، فإن وجدتها مثل فضائل علي، فقل إنهم أفضل منه، لا والله، ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه** "[406]. وهذا ظن مزعوم مثل سابقه.

---

404 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 223/2.
405 - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 351/5.
406 - نفس المصدر, 351/5.

– تسليمه له في صحة حديث الطير وما تضمنه. قال إسحاق: " **فحدثته الحديث. فقال: يا إسحاق، إني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق، فأما الآن فقد بان لي عنادك، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح. قلت: نعم، رواه من لا يمكنني رده. قال: أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه، أو أن يقول إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول، فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول ؟ فأطرقت...** "([407]). ويكفي لرد هذا الزعم ضعف حديث الطير.

– تسليمه له في النزاع حول مناسبة حديث الولاية, وكيف خفي على هذا الفقيه العلم بالتأريخ الإسلامي في أبسط مسائله, أو يخفى على فقيه يتردد على مجالس الخليفة ويترأس مجلس مناظرة علمه بتاريخ استشهاد الصحابي المشهور في غزوة هي من أشهر الغزوات ؟ قال المأمون: " **يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أروه، ففعلت. قال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه ؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله ﷺ : (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه). قال: في أي موضع قال هذا، أليس بعد منصرفه من حجة الوداع ؟ قلت: أجل. قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا ؟** "([408]).

ج) الحيدة عن الجواب:

وبها سمى الكناني كتابه الذي ذكر فيه مناظرته لبشر المريسي في مجلس الخليفة العباسي المأمون. وقد حاد المريسي عن الجواب في:

– مسألة إثبات العلم لله تعالى. قال الكناني: " **وقال الله عز وجل: " وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ", فأخبر الله عز وجل بأخبار كثيرة في كتابه، أن له علما, أَفَتُقِر يا بشر أن لله علما كما أخبرنا أو تخالف التنزيل ؟ قال عبد العزيز: فحاد بشر عن جوابي وأبى أن يصرح بالكفر فيقول: ليس لله علم، فيكون قد رد نص التنزيل فتتبين ضلالته وكفره، وأبى أن يقول: إن لله علما، فأسأله عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا ؟ وعلم ما أريد، وما يلزمه في ذلك من كسر قوله وإبطال حجته، فاجتلب كلاما لم أسأله عنه، فقال: معنى علمه أن**

---

[407] - ابن عبد ربه, المصدر السابق, 354/5.
[408] - نفس المصدر, 357/5.

لا يجهل. فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين, لا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء ثم الخبر عن معناه، فليُقِر بشر أن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، فإن سألته عن معنى العلم, وهذا مما لا أسأله عنه فليجبن أن الله لا يجهل، وقد حاد بشر يا أمير المؤمنين عن جوابي (...) قال: فأقبل المأمون على بشر, وقال: يأبي عليك عبد العزيز إلا أن تقر أن لله علما فأجبه ولا تحد عن جوابه. فقال بشر: قد أجبته وأن معنى العلم لا يجهل وهذا جوابه ولكنه يتعنت "([409]).

– حيدة المريسي عن جواب الكناني, لما ترك حجاجه بالتنزيل والنصوص القرآنية وحاججه بالقياس الذي يزعم إتقانه, قال الكناني لبشر: " **أتسألني أم أسألك؟ فقال: سل أنت. فقلت لبشر: تقول إن كلام الله مخلوق. فقال: إن القرآن مخلوق، فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث: لا بد أن تقول أن الله عز وجل خلق القرآن وهو عندي أنا كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائما بذاته ونفسه فقل ما عندك. قال بشر: أقول إنه مخلوق وإنه خلقه كما خلق الأشياء كلها. فقلت: يا أمير المؤمنين تركنا القرآن والسنن والأخبار عند هربه منها وناظرناه بالقياس والكلام لما ادعاه وذكر أنه يقيم الحجة علي به, وأني أقر معه بخلق القرآن، فقد رجع بشر إلى الحيدة عن الجواب وانقطع الكلام, فإن كان يريد مناظرتي على أنه يجيبني عما أسأله عنه, وإلا فأمير المؤمنين أعلا عينا في ما يراه في صرفي, فإنما يريد بشر أن يقع معه من لا يفهم فيحيد عن دينه ويحتج عليه بما لا يعقله فتظهر حجته عليه فيبيح بذلك دمه. فأقبل عليه المأمون, وقال: أجب عبد العزيز عما سألك فقد ترك قوله ومذهبه وناظرك على مذهبك وما ادعيت أنك تحسنه وتقيم الحجة به عليه.فقال بشر: قد أجبته ولكنه يتعنت. فقال له المأمون: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقول واحدة من ثلاث. قال: ما عندي غير ما أجبت به** "([410]).

د) التعنت والمكابرة:

تعنت المريسي في مناظرته للكناني بعدما أقيمت عليه الحجة في عدة مواطن منها:

– رده لكل ما احتج به الكناني من نصوص القرآن وكلام العرب لما قامت عليه الحجة, فما وجد سبيلا للدفاع إلا بقوله: " **ما تعرف العرب من هذا شيئا، وما أنت أعرف بلغة العرب مني، وكل شيء نسبته إلى العرب فهو مخالف لقولها ولغتها ومذهبها في كلامها** "([411]).

---

[409] - الكناني, المصدر السابق, ص 43.
[410] - الكناني, المصدر السابق, ص 81.
[411] - نفس المصدر, ص 72.

– رده على الحجج بالكلام المجرد العاري من الدليل, وذلك بعد قيام الحجج عليه, وعجزه عجزا واضحا عن رد ما حوجج به, ومن ذلك قوله: " **ما انقطعت ولا تحيرت ولا بانت فضيحة مذهبي، وأنا على بينة من أمري، وما دعوت الناس ولا أدعوهم إلا إلى سبيل الرشاد, ولا أنا ولا هم إلا على سداد, وكل من خالفني فكافر حلال الدم** "([412]).

وهذا ختام هذه الدراسة, فإن وفقت فمن الله وحده عز وجل, وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان, ولكنني أرجو ثواب الاجتهاد على الجهد المبذول, وأن يتجاوز لي عن التقصير, والله من وراء القصد, ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[412] - نفس المصدر, ص 74.

خاتمة

وبعد, فقد كادت رحلة البحث أن تتوقف دون الوصول إلى نهايته, فصعوبة مسالكه ودقة مداخله, قذفت في نفسي شيئا من اليأس قارب أن يحول بيني وبين ما أرغب وأريد, لكن لطف الله عز وجل كان الأقرب, فكنت أتحين الفرصة بعد الفرصة لاستكمال مباحثه, وأرقب وقت النشاط لاستتمام مطالبه, حتى يسر الله الوعر وذلل الصعب, فخرج البحث على الصفة التي هو عليها الآن, ولا ندعي فيه الإصابة والسداد بالقدر الذي يجب أن يكون, فالنقص من أوصاف البشر, ولكن حسبنا من العذر أن نكون قد شاركنا بالبحث والدراسة في موضوع كنا ولا زلنا نرى أهميته البالغة.

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج, يمكن أن نذكر بعضها, وما لم نذكره فهو مبثوث في ثنايا البحث. توصلت إلى:

– أن لكل خطاب بنية حجاجية خاصة, تبنى من خلال العملية التواصلية بين الباث والمتلقي, فالباث ينتج خطابا يوجهه إلى المتلقي عبر الوسائل اللغوية التي تحمل ضمنيا حججا تؤثر فيه وتوجهه.

– تظهر بنية الحجاج في أنواع من الخطابات بشكل واضح, ونقصد بها: الخطاب البلاغي, والتداولي, والفلسفي, بسبب القصد المعلن عنه في نص الخطاب من طرف صاحبه.

– أن بنية الخطاب الحجاجي تكمن في الحجج المستعملة داخل النص, هذه الحجج التي تصاغ بأساليب حجاجية معينة, وتربط فيما بينها من جهة, وبينها وبين نتائجها من جهة أخرى بواسطة روابط وعوامل حجاجية يقتضيها المقام والسياق.

– أن المناظرة نص خطابي يشترك مع باقي النصوص الحجاجية الأخرى في عموم بنيته, إلا أنه يختلف عنها في أشياء حجاجية مهمة, منها:

** أن المناظرة بنية مشتركة بين طرفين, تتفاعل فيها الحجج وتتدافع, لتخرج لنا النص على شكله الذي هو عليه.

** أن الحجج المؤسسة لبنية المناظرة نوعان:

* حجج لغوية: تشترك فيها كافة الخطابات الحجاجية الأخرى.

* حجج غير لغوية: يتميز بها نص المناظرة عن باقي النصوص, ويكون استعمالها بحسب قدرة الأطراف على حسن استعمالها.

** أن استعمال الروابط والعوامل الحجاجية في نص المناظرة ضعيف إذا ما قورن بغيره من النصوص الأخرى, والسبب يرجع إلى طبيعة النص في حد ذاته, فهي التي تفرض على

المناظر أن يتعامل بالحجج المباشرة, وبالأسلوب الذي يمكنه من الظهور على خصمه, ويبتعد عن الحجج اللغوية المضمرة التي تظهر في استعمالات المحاجج لها عن طريق اعتماده على تلك الروابط والعوامل.

– اشتراك نصوص المناظرات المعتمدة في الدراسة في بنية واحدة, مما جعلنا نكتشف جزءا من مستويات العقل العربي وبنيته الفكرية, متمثلا في الأشخاص الذين كانت تدور على ألسنتهم تلك المناظرات.

– توصلت من خلال البحث والتحليل, إلى أن نصي المناظرة الأولى والثانية موضوعان مصنوعان, تظهر فيهما آثار الصنعة.

لا يسعني في الأخير إلا أن أختم قولي بما كان يختم به سيد الخلق أجمعين ﷺ , فأقول:

سبحانك اللهم وبحمدك, أشهد أن لا إله إلا أنت, أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم " رواية حفص عن عاصم ".

- الآلوسي, أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود, روح المعاني, تح: سيد عمران, دار الحديث, القاهرة, مصر, 2005م.

- ابن الأثير, أبو الفداء عبد الله القاضي الجزري, الكامل في التاريخ, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان,ط1, 1987م.

- أعراب، حبيب, " الحجاج والاستدلال الحجاجي", عالم الفكر، مجلة دورية محكمة، الكويت، ع1 سبتمبر 2001م.

- ابن الأنباري, أبو بكر محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات, المكتبة العصرية, بيروت, لبنان, 2004م.

- الأندلسي, أبو حيان محمد بن يوسف بن على, البحر المحيط, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1993م.

- الأندلسي, ابن عبد ربه, العقد الفريد, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط3, 2006م.

- باتريك شارودو (Patrick charaudeau), الحجاج بين النظرية والأسلوب, تر: أحمد الودرني, دار الكتاب الجديد المتحدة, بيروت, لبنان, ط2009/1م.

- ابن بطة, عبيد الله بن محمد العكبري, الإبانة الكبرى, تح: الحسن بن عباس, دار الفاروق الحديثة, القاهرة, مصر, ط1, 2008م.

- بنحدو، رشيد, النص الأدبي من الإنتاج إلى التلقي، أطروحة مرقونة بكلية الآداب ظهر المهراز بفاس، إشراف حسن المنيعي، 1991م.

- البيهقي, أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي, السنن الكبرى, دار الفكر, بيروت.

- الترمذي, أبو عيسى محمد بن عيسى, مكتبة المعارف, الرياض, المملكة العربية السعودية, ط1.

- الجوهري, أبو نصر إسماعيل بن حماد, تاج اللغة وصحاح العربية المعروف ب " الصحاح ", دار الحديث, القاهرة, مصر, 2009م.

- الحربي، فرحان, " الأسلوبية في النقد العربي الحديث " (دراسة في تحليل الخطاب)، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م.

- الحكمي, حافظ بن أحمد معارج القبول، تح: محمد صبحي حلاق, دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ط5, 1427هـ.
- ابن حنبل, أحمد بن محمد الشيباني, المسند, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2008م.
- الخطيب البغدادي, أبو بكر أحمد بن علي, تاريخ بغداد, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط2, 2004م.
- ابن خلدون, عبد الرحمن ابن خلدون المغربي, تاريخ ابن خلدون, دار إحياء التراث العربي, بيروت, لبنان, ط4.
- الدريدي, سامية, الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري, بنيته وأساليبه, عالم الكتب الحديث, إربد, الأردن, ط1, 2008م.
- الذهبي, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان, سير أعلام النبلاء, تح: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد, مؤسسة الرسالة بيروت, ط9, 1993م.
- الذهبي, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان, ميزان الاعتدال في نقد الرجال, تح: علي محمد البجاوي, دار المعرفة, بيروت.
- الرازي, محمد بن أبي بكر بن عبد القادر, مختار الصحاح, دار الحديث, القاهرة, مصر, 2008م.
- الراضي, رشيد, الحجاج والمغالطة, دار الكتاب الجديد, بيروت, لبنان, ط1, 2010م.
- الزبيدي, محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى، تاج العروس من جواهر القاموس, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2007م.
- الزركلي, خير الدين, الأعلام, دار العلم للملايين, ط5, 1980م.
- الزمخشري, محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم جار الله, الكشاف, دار إحياء لتراث العربي, بيروت, لبنان, ط2, 2001م.
- سبط ابن العجمي, برهان الدين الحلبي, الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث, تح: علي صبحى السامرائي, عالم الكتب مكتبة النهضة العربية, ط1, 1987 م.
- السد، نور الدين, الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة, الجزائر, 1997م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل, المحكم والمحيط الأعظم, ت: عبد الحميد هنداوي.
- شرشار, عبد القادر, تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق, سوريا, 2006م.

- الشريف الجرجاني, علي بن محمد بن علي, التعريفات, ت: محمد صديق المنشاوي.
- ابن أبي شيبة, أبو بكر, المصنف, تح: سعيد اللحام, دار الفكر, بيروت, لبنان.
- صولة, عبد الله, الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية, منشورات كلية الآداب بمنوبة, تونس, 2001م.
- الطبري، محمد بن جرير, جامع البيان في تأويل القرآن, ت: أحمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط1، 2000 م.
- الطحاوي, أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة, شرح مشكل الآثار, تح: شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة, دمشق, سوريا, ط2, 2006م.
- الطلبة, محمد سالم محمد الأمين, الحجاج في البلاغة المعاصرة, دار الكتاب الجديد, لبنان, ط1, 2008م.
- ابن عاشور, الطاهر, التحرير والتنوير, مؤسسة التاريخ العربي, بيروت, لبنان, ط1, 2000م.
- العزاوي, أبو بكر, اللغة والحجاج. العمدة في الطبع, ط1, 2006م.
- العسقلاني, ابن حجر أحمد بن علي بن محمد, لسان الميزان, تح: عبد الفتاح أبوغدة, مكتب المطبوعات الإسلامية, ط1, 2002م.
- العشي, عبد الله, زحام الخطابات, دار الأمل, تيزي وزو, الجزائر, 2005م.
- ابن فارس, أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني, معجم مقاييس اللغة, تح: عبد السلام هارون.
- الفيروز آبادي, محمد بن يعقوب بن محمد، أبو طاهر, القاموس المحيط, تح: محمد نعيم العرقسوسي, مؤسسة الرسالة. ط1.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن, دار الحديث, القاهرة, مصر, 2007م.
- ابن قيم الجوزية, محمد بن أبي بكر, إعلام الموقعين عن رب العالمين, تح: مشهور بن حسن آل سلمان, دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ط1, 1423هـ.
- ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر, البداية والنهاية, تح: علي شيري, دار إحياء التراث العربي, ط1, 1988 م.
- ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر, تفسير القرآن العظيم, دار ابن حزم, بيروت, ط1, 2002م.

- الكناني, أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى, الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن, تح: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار الفرقان, القاهرة, مصر, ط1, 2009م.
- لالاند, القاموس الفلسفي, دار الفكر, بيروت, لبنان, ط2, 1986م.
- المسدي, عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3.
- مسلم, ابن الحجاج بن مسلم النيسابوري, الجامع الصحيح, مكتبة المعارف, الرياض, المملكة العربية السعودية, ط1.
- مفتاح، محمد, تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي, بيروت, لبنان, ط2, 1986م.
- المقدسي, محمد بن عبد الهادي, كتاب الانتصار, تح: محمد سيد الجليند, مكتبة ابن عباس, القاهرة, ط1, 2003م.
- ابن منظور, محمد بن مكرم الإفريقي, لسان العرب, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2005م.
- الموصلي, أبو يعلى المسند، تح: إرشاد الحق الأثري، مؤسسة علوم القرآن, بيروت, لبنان.
- ميارة, لمهابة محفوظ, " مفهوم الحِجاج في القرآن الكريم ", مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق, العدد (81) الجزء (3).
- الميداني, عبد الرحمن حبنكة, ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة, دار القلم, دمشق, ط4, 1993م.
- النسائي, أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب السنن الكبرى, تح: عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 1991م.
- الوضيفي, مصطفى, المناظرة في أصول التشريع الإسلامي (دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي).

المواقع الإلكترونية:

- موقع: دجلة نات (dijh.net).
- شبكة نفحات عشق (عشق محمد وآل محمد عليهم السلام).
- مركز البيت العالمي للمعلومات (Al-shia.org).

ملحق

نصوص المناظرات:

1- نص مناظرة الكناني مع المريسي (من كتاب الحيدة):

قرأت على أبي عمر أحمد بن خالد في ربيع الآخر عام اثنين وخمسين وثلاثمائة، حدثنا أبو عمر وعثمان بن أحمد بن عبد الله السماك قال فنا أبو بكر محمد بن الحسن بن أزهر بن حسين القطايعي، قال: حدثني أبو عبد الله العباس بن محمد بن فرقد، قال: حدثني أبي محمد بن فرقد بهذا الكتاب من أوله إلى آخره، قال: قال عبد العزيز بن مسلم الكناني:

اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القرآن، ودعاه الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون وعامة الناس وما قد دفع الناس إليه من المحنة، والأخذ في الدخول في هذا الكفر والضلالة، ورهبة الناس وفزعهم من مناظرته، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسرون به قوله، ويدحضون به حجته ويبطلون به مذهبه، واستتار المؤمنين في بيوتهم وانقطاعهم عن الجمعات والجماعات، وهربهم من بلد إلى بلد، خوفا على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس لبشر على مذهبه وكفره وضلالته، والدخول في بدعته، والانتحال لمذهبه، رغبة في الدنيا ورهبة من العقاب الذي كان يعاقب به من خالفه على مذهبه.

قال عبد العزيز بن يحيى: فأزعجني ذلك وأقلقني واسهر ليلي وأطال غمي وهمي فخرجت من بلدي متوجها إلى ربي عز وجل أسأله سلامتي وتبليغي، حتى قدمت ببغداد فشاهدت من غلظ الأمر واحتداده أضعاف ما كان يصل إليه، ففزعت إلى ربي أدعوه وأتضرع إليه راغباً وراهباً، واضعا له خدي، وباسطاً إليه يدي، أسأله أرشادي وتسديدي، وتوفيقي ومعونتي، والأخذ بيدي وأن لا يسلمني ولا يكلني إلى نفسي، وأن يفتح لفهم كتابه قلبي، وأن يطلق لشرح بيانه لساني، وأخلصت لله عز وجل نيتي ووهبت له نفسي، فعجل تبارك وتعالى إجابتي، وثبت عزمي، وشجع وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني، وشرح به صدري، فأبصرت رشدي بتوفيقه إياي، وأنست إلى معونته ونصره وتأييده ولم أسكن إلى مشاورة أحد من خلق الله في أمري، وجعلت أستر أمري وأخفي خبري عن الناس جمعيا "خوفا " من أن يشيع خبري، ويعلم بمكاني فأُقتل قبل أن يُسمع كلامي، فأجمع رأي على إظهار نفسي وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق والأشهاد، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم، وأن يكون ذلك في مسجد الجامع في يوم الجمعة، وأيقنت أنهم لا يحدثوا على حادثة، ولا يعجلون

عليه بقتل وغيره من العقوبة بعد إشهار نفسي، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق إلا بعد مناظرتي والاستماع مني (وكان ذلك كله بتوفيق الله عز وجل لي، ومعونته إياي).

قال عبد العزيز بن يحيى: وكان الناس في ذلك الزمان وذلك الوقت في أمرا عظيم، قد منع الفقهاء والمحدثون والمذكرون والداعون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما من سائر المواضع، إلا بشر المريسي وابن الجهم، ومن كان موافقاً لهما على مذهبهما، فأنهم كانوا يقعدون يعني (الجهم بن صفوان الذي به تعرف الجهمية) ويجتمع الناس إليهم فيعلمونهم الكفر والضلال وكل من أظهر مخالفتهم وذم مذهبهم، أو أتاهم بذلك أحضر، فإن وافقهم ودخل في كفرهم وأجابهم إلى ما يدعونه إليه وإلا قتلوه سراً، وحملوه من بلد إلى بلد، فكم من قتيلاً لم يُعلم به، وكم من مضروب قد ظهر أمره وكم ممن أجابهم واتبعهم على قولهم من العلماء خوفا على أنفسهم لما عرضوا على السيف والقتل أجابوا كرها، وفارقوا الحق عياناً، وهم يعلمون لما حذروا، من بأسهم والوقوع بهم.

قال عبد العزيز: فلما كان في الجمعة التي اعتزمت فيها على إظهار نفسي، وإشهار قولي، واعتقالي، صليت الجمعة بالمسجد الجامع بالرصافة من الجانب الشرقي بحيال القبلة والمنبر بأول صف من صفوف العامة، فلما سلم الإمام من صلاة الجمعة، وثبت قائما على رجلي ليراني الناس ويسمعوا كلامي، ولا تخفى عليهم مقالتي، وناديت بأعلى صوتي لأبني، وكنت قد أقمت أبني بحيالي عند الأسطوانة الأخرى، فقلت له: يا أبني ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق.

قال عبد العزيز: فلما سمع الناس كلامي، ومسألتي لأبني وجوابه إياه هربوا على وجوههم خارجين من المسجد إلا يسير من الناس خوفاً على أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعون، وظهر لهم ما كانوا يخفون ويكتمون، فلم يستتم أبني الجواب حتى أتاني أصحاب السلطان، واحتملوني وأبني فأوقفوني بين يدي عمرو بن مسعدة وكان قد جاء ليصلي الجمعة، فلم نظر إلى وجهي، وكان قد سمع كلامي ومسألتي لأبني، وجواب أبني إياي، فلم يحتج أن يسألني عن كلامي، فقال لي: أمجنون أنت؟ قلت: لا. قال: فموسوس أنت؟ قلت: لا. قال: أفمعتوه أنت؟ قلت: لا. أني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة والحمد الله كثيراً. قال: فمظلوم أنت؟ قلت: لا. فقال لأصحابه ورجالته: مروا بهما إلى منزلي.

قال عبد العزيز: فحملنا على أيد الرجال حتى أخرجنا من المسجد ثم جعلوا يتعادون بنا سحباً شديداً وأيدينا في أيد الرجال يمنه ويسره، وسائر أصحابه خلفنا وقدامنا، حتى صرنا إلى

منزل عمرو بن مسعدة على تلك الحال العنيفة الغليظة، فوقفنا على بابه حتى دخل، وأمر بنا فأدخلنا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي حديد، ووسادة عليه، فلما صرنا بين يديه، أقبل علي فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل مكة، فقال: ما حملك على ما فعلت بنفسك؟ قلت: طلب القربة إلى الله عز وجل وطلب الزلفة لديه. قال: فهلا فعلت ذلك سرا من غير نداء ولا إظهار لمخالفة أمير المؤمنين، أطال الله بقاه. ولكنك أردت الشهرة والرياء والتسوق لتأخذ أموال الناس. فقلت: ما أردت من هذا شيئا، ولا أردت إلا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه لا غير ذلك. فقال: أو تفعل ذلك؟ قلت: نعم. ولذلك قصدت وبلغت بنفسي ما ترى بعد خروجي من بلدي وتغريري بنفسي مع سلوكي البراري أنا وولدي، رجاء تأدية حق الله عز وجل فيما استودعني من الفهم والعلم وما أخذ علي وعلى العلماء من البيان. فقال: إن كنت إنما جعلت هذا سببا لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين فق حل دمك بمخالفتك أمير المؤمنين. فقلت له: إن تكلمت في شيء غير هذا، أو جعلت هذا ذريعة إلى غيره فدمي حلال لأمير المؤمنين.

قال عبد العزيز: فوثب عمرو قائما على رجليه، وقال: أخرجوه بين يدي إلى أمير المؤمنين. قال: فأخرجت، وركب من الجانب الغربي وأنا بين يديه وولدي يعدي بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيدي الرجال حتى صار إلى أمير المؤمنين من الجانب الشرقي، فدخل وأنا في الدهليز قائم على رجلي، فأطال عند أمير المؤمنين، ثم خرج فقعد في حجرة له، وأمر بي فأدخلت عليه، فقال لي: قد أخبرت أمير المؤمنين أطال الله بقاه بخبرك وما فعلت، وما قلت وما سألت من الجمع بينك وبين مخالفيك من المناظرة بين يديه، وقد أمر أطال الله بقاه، بإجابتك إلى ما سألت وجمع المناظرين عن هذه المقالة إلى مجلسة أعلاه الله في يوم الاثنين الأتي وتحضر معهم ليناظروا بين يديه أيده الله ويكون هو الحاكم بينكم.

قال عبد العزيز: فأكثرت حمد الله على ذلك وشكرته وأظهرت الشكر والدعاء لأمير المؤمنين، فقال لي عمرو بن مسعدة: أعطنا كفيلا بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا حاجة إلى حبسك.

فقلت له: أعزك الله أنا رجل غريب ولست أعرف في هذا البلد أحدا ولا يعرفني من أهله أحد، فمن أين لي من يكفلني، وخاصة مع إظهار مقالتي لو كان الخلق يعرفوني لتبرؤوا مني، وهربوا من قربي وأنكروا معرفتي، قال: فنوكل بك من يكون معك حتى يحضك في ذلك اليوم، وتنصرف فتصلح من شأنك وتفكر في أمرك فلعلك أن ترجع عن غيك وتتوب من فعلك فيصفح أمير المؤمنين عن جرمك، فقلت ذلك إليك أعزك الله فأفعل ما رأيت.

قال عبد العزيز: فوكل بي من يكون معي في منزلي وانصرفت.

قال عبد العزيز: فلما كان يوم الاثنين، صليت الغداة في مسجدي الذي كان على باب منزلي، فلما فرغت من الصلاة إذ بخليفة عمرو بن مسعدة قد جاء ومعه خلق كثير من الفرسان والرجال فحملوني مكرما على دابة حتى صاروا بي على باب أمير المؤمنين فأوقفوني حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت. فلما صرت بين يديه أجلسني ثم قال لي: أنت مقيم على ما كنت عليه، أو قد رجعت عنه، فقلت: بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله إياي بصيرة في أمري، فقال لي عمرو: أيها الرجل قد حملت نفسك على أمر عظيم وبلغت الغاية في مكروهها وتعرضت لما لا قوام لك به، من مخالفة أمير المؤمنين أطال الله بقاه، وادعيت ما لا يثبت لك به حجة على مخالفيك ولا لأحد غيرك، وليس وراءك بعد الحجة عليك إلا السيف، فأنظر نفسك وبادر أمرك قبل أن تقع المناظرة، وتظهر عليك الحجة، فلا تنفعك الندامة، ولا تقبل لك معذرة، ولا تقال لك عثرة، فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو نازل بك، وأنا استقبل أمير المؤمنين أطال الله بقاه وأساله الصفح عن جرمك وعظيم ما كان منك، إن أظهرت الرجوع عنه، والندم على ما كان منك، وآخذ لك الأمان منه أيده الله والجائزة، وإن كانت لك ظلامة أزلتها عنك، وإن كانت لك حاجة قضيتها لك، فإنما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أقمت على ما أنت عليه، ورجوت أن يخلصك الله على يدي من عظيم ما أوقعت بنفسك فيه، فقلت له: ما ندمت أعزك الله ولا رجعت، ولا خرجت عن بلدي، وغررت بنفسي إلا في طلب هذا اليوم، وهذا المجلس رجاء أن يبلغني الله ما أؤمل من إقامة الحق فيه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال محمد بن الحسن سمعت أبا عبدا لله يقول: قال لي أبي جاء عبد العزيز إلى أبي عبدا لله أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهو في الحبس فقال: إن هذا الأمر الذي أنت فيه ليس تطيقه على دقته، فاذكرني فبعث إليه أبو عبد الله أنا قد وقعت، وأخاف أن أذكرك فأشيط بدمك، فيكون قتلك على يدي، فأقتل أنا أحب إلي، فانصرف بسلام. قال عبد العزيز: فقام عمرو بن مسعدة على رجليه، وقال: قد حرصت في كلامك جهدي، وأنت حريص مجتهد في سفك دمك وقتل نفسك، فقلت له: معونة الله أعظم، والله عز وجل ألطف من أن يسلمني ويكلني إلى نفسي، وعدل أمير المؤمنين أطال الله بقاه أوسع من أن يقصر عني، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال عبد العزيز: وأمر بي فأخرجت إلى الدهليز الأول، ومعي جماعة موكلون بي، وكان قد تقدم إلى سائر بني هاشم ممن يحضر مجلس أمير المؤمنين أطال الله بقاه، أن يركبوا ووجه إلى الفقهاء والقضاة والموافقين لهم على مذهبهم. وسائر المتكلمين، والمناظرين أن يحضروا دار أمير المؤمنين، فأمر القواد والأمراء أن يركبوا في السلاح كل ذلك ليرهبوني بهم. ومنع الناس من الانصراف إلى أن ينقضي المجلس، فلما اجتمع الناس وتأهبوا ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفون بالكلام والجدال، أذن لي في الدخول، فلم أزل أنقل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجب (صاحب) الستر الذي على باب الصحن، فلما رآني أمر بي فأدخلت إلى حجرته، ودخل معي فقال لي: إن احتجت إلى أن تجدد طهرا فافعل، فقلت: لا حاجة لي بذلك، فقال: صل ركعتين قبل دخولك، فصليت أربع ركعات ودعوت الله وتضرعت إليه، فلما فرغت، أمر من كان بحجرته فخرج من الحجرة ثم تقدم إلي فقال لي وهو يسارني: يا هذا إن أمير المؤمنين بشر مثلك رجل من ولد آدم، وكذلك كل من يناظرك بحضرته فهو بشر مثلك، فلا تتهيبهم، واجمع فهمك وعقلك لمناظرتهم، وإياك والجزع، واعلم علما يقينا أنه إن ظهرت حجتك عليهم انكسروا وانقطع كلامهم عنك، وأذللتهم وغلبتهم ولم يقدروا على ضر ولا مكروه وصار أمير المؤمنين أطال الله بقاه وسائر الأولياء والرعية معك عليهم، وإن ظهرت حجتهم عليك أذلوك وقتلوك وأشهروك وجعلوك للخلق عبرة، فأجمع همتك ومعرفتك ولا تدع شيئا مما تحسنه وتحتاج إليه أن تتكلم به خوفا من أمير المؤمنين أو من أحد غيره وتوكل على الله واستخر الله ، وقم فادخل.

فقلت له: جازاك الله خيرا فقد أديت النصيحة وسكنت الروعة وآنست الوحشة، وخرج، وخرجت معه إلى باب الصحن.

قال عبد العزيز: فشال الستر، وأخذ الرجال بيدي وعضدي وجعل أقوام يتعادون بي، وأيديهم في ظهري وعلى عنقي، فجعلت أسمع أمير المؤمنين وهو يقول: خلو عنه خلو عنه، وكثر الضجيج من الحجاب والأولياء بمثل ذلك، فخلي عني وقد كاد عقلي أن يتغير من شدة الجزع وعظيم ما رأيت من ذلك الصحن من السلاح والرجال، وقد انبسطت الشمس عليهم، وملأ الصحن صفوفا، وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها، فلما صرت على باب الإيوان، وقفت هناك فسمعته يقول: قربوه قربوه، فلما دخلت من باب الإيوان وقعت عيني عليه، وقبل ذلك لم أتبينه لما كان على باب الإيوان من الحجاب والقواد، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: أدن مني، فدنوت منه، ثم قال: أدن مني زاده تكرارا، وأنا أدنو منه خطوة خطوة، حتى صرت في الموضع الذي يجلس فيه المناظرون،

ويسمع كلامهم، والحاجب معي يقدمني، فلما انتهيت إلى الموضع. قال لي المأمون: أجلس فجلست.

قال عبد العزيز: فسمعت رجلا من جلسائه يقول وقد دخلت من الإيوان: يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، لا والله ما أريت خلق الله قط أقبح وجها منه، فسمعته يقول هذا وفهمت كلامه كله ورأيت شخصه على ما بي من الروعة والجزع والخوف، وجعل ينظر إلي وأنا ارتعد وانتفض، فأحب أن يؤنسني وأن يسكن عني ما قد لحقني وأن ينشطني، فجعل يكثر كلام جلسائه ويكلم خليفته عمرو بن مسعدة، ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج أن يتكلم بها يريد بذلك كله إيناسي، وجعل يطيل النظر إلى الإيوان، ويدير طرفه فيه، فوقعت عينه على موضع من نقش الجص قد انتفخ، فقال: يا عمرو أما ترى هذا الذي قد انتفخ من هذا النقش، وسيقع فبادره في يومنا هذا، فقال عمرو: قطع الله يد صانعه، فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون فقال لي: الاسم، فقلت: عبد العزيز. فقال لي: ابن من؟ فقلت: ابن يحيى قال: ابن من؟ قلت: ابن ميمون الكناني. قال: وأنت من كنانة. قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، فتركني ولم يكلمني هنيهة، ثم أقبل علي فقال: من أين الرجل، قلت: من الحجاز، قال: من أي الحجاز، قلت: من مكة، قال: ومن تعرف من أهلها، قلت: يا أمير المؤمنين كل من بها من أهلها أعرفه إلا رجلا ضوى إليها وجاور بها من الغرباء فإني لا أعرفه، قال: فهل تعرف فلانا، هل تعرف فلانا حتى عد جماعة من بني هاشم كلهم أعرفهم حق معرفتهم، فجعلت أقول: نعم أعرفه، وسألني عن أولادهم وأنسابهم فأخبره من غير حاجة به إلى شي من ذلك، ولا مما تقدم من مسألتي وإنما يريد به إيناسي وبسطي للكلام، وتسكين روعتي وجزعي، فقوى بها ظهري، واشتد بها قلبي، واجتمع بها فهمي، وعلا بها جدي، وانشرح بها صدري، وانطلق بها لساني، ورجوت بها النصر على عدوي.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز إنه اتصل بي ما كان منك في قيامك في المسجد الجامع، وقولك إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبحضرة الخلق على رؤوس الأشهاد، ومسألتك بعد ذلك الجمع بينك وبين مناظريك على هذه المقالة بحضرتي وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم، وقد جمعتك والمخالفين لك لتتناظروا بين يدي وأكون أنا الحكم فيما بينكم فإن تكن لك الحجة والحق معك تبعناك، وإن تكن لهم الحجة عليك والحق معهم عاقبناك. ثم أقبل المأمون على بشر المريسي فقال: يا بشر قم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه.

قال عبد العزيز: فوثب إلي بشر من موضعه الذي كان فيه كالأسد يثب إلى فريسته، فجاء فانحط علي، فوضع فخذه الأيسر على فخذي الأيمن، فكاد أن يحطمها، واعتمد علي بقوته كلها. فقلت له: مهلا فإن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي، وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي، فصاح به المأمون تنح عنه، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني.

قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز ناظره على ما تريد واحتج عليه، ويحتج عليك، وسله ويسألك، وتناصفا في كلامكما، وتحفظا ألفاظكما، فإني مستمع إليكما ومتحفظ ألفاظكما.

قال عبد العزيز: فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين، ولكني أقول شيئا فإن رأى أمير المؤمنين أبقاه الله أن يأذن لي في ذلك فعلت. فقال: قل ما تريد. فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك إني رجل عربي، وفي كلامي دقة، ولم يسمع أمير المؤمنين أطال الله بقاه من كلامي شيئا قبل هذا الوقت، فجليل كلامي في سمع أمير المؤمنين دقيق، وبشر يا أمير المؤمنين كثير سماع أمير المؤمنين دقيق كلامه، فصار في سمع أمير المؤمنين جليلا، فإن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاه أن يأذن لي فأقدم شيئا من كلامي في هذا المجلس ليقيس ما يدق بعده من كلامي على ما تقدم، ويعرف مذهبي في كلامي، ثم يجمعني ومن أحب لمناظرتي بعد هذا في أي وقت شاء.

قال المأمون: أنا مشغول عن هذا بما يلزمني من أمر المسلمين، وإنما جمعتك ومخالفيك لما أظهرت من مخالفتك إياهم وذمك لمذهبهم، وادعائك الرد عليهم، ومسألتك الجمع (بينك) وبينهم ولست أجمعك وإياهم بعد هذا المجلس إلا عن مناظرة تجري بينك وبينهم فتحتاجون إلى عودة لاستتمام ما بقي عليكما من المناظرة فأجمعكما لذلك. قال عبد العزيز: فقلت في نفسي، هذا الذي سألت الله عز وجل أن يبلغنيه وعاهدته لأن بلغنيه لأقومن بحقه ولأذبن عن دينه بما يلهمني بتوفيقه صابرا محتسبا وإن عرضت على السيف والقتل حتى إذا بلغني الله ما أملته وأعطاني ما سألته، وأيدني بالمعونة، وكفاني المؤونة وعطف قلوب عباده علي، وصرف عني ما كنت أحاذر من سوء بادرة تكون قبل قيامي بحق الله تعالى، أأنقض عهده، وأخلف وعده، وأكفر نعمه، فيسخط علي ويخذلني ويكلني إلى نفسي، والله والله لا فعلت ولو تلفت نفسي. قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين إني لم أتهيب المناظرة ولم أعجز عنها، وإنما أحببت أن أقدم في هذا المجلس شيئا من كلامي ليقف من بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاه ومن في مجلسه على معنى كلامي ودقته فلا يخفى عليهم بعض ما يجري بيننا. قال: فقال أمير المؤمنين المأمون لبشر: ناظر صاحبك على ما تريد.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك إن رأيت أن تأذن لي أن أتكلم بشي قد شغل قلبي قبل مناظرتي لبشر. فقال لي: تكلم بما شئت فقد أذنت لك.

فقلت: أسألك بالله يا أمير المؤمنين من بلغك إنه كان أجمل ولد آدم – صلى الله عليه وسلم –. فأطرق مليا، ثم رفع رأسه فقال: يوسف عليه السلام. فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين– فوالله ما أعطي يوسف على حسن وجهه بعرتين، ولقد سجن وضيق عليه من أجل حسن وجهه بعد أن وقف على براءته بالشاهد الذي أنطقه الله عز ول بتصديقه وبيان قوله وبعد إقرار امرأة العزيز إنها هي راودته عن نفسه فاستعصم فحبس بعد ذلك كله لحسن وجهه، قال الله تعالى : {ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} فدل بقوله عز وجل أنه سجن بغير ذنب لعله حسن وجهه وليغيبوه عنها وعن غيرها، فطال في السجن جبسه حتى إذا عبر الرؤيا ووقف الملك على علمه ومعرفته اشتاق إليه، ورغب في صحبته فقال عز وجل: { وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} فكان هذا القول من الملك عندما وقف عليه من علم يوسف ومعرفته قبل أني يسمع كلامه، فلما دخل عليه وسمع كلامه وحسن عبارته صيره على خافي خزائن الأرض، وفوض إليه الأمور كلها وتبرأ منها وصار كأنه من تحت يده، فكان هذا الذي بلغه يوسف عليه السلام بكلامه وعلمه لا بجماله، قال عز وجل: {فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} ولم يقل أني حسن جميل، قال الله عز وجل: { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} فوالله يا أمير المؤمنين ما أبالي إن وجهي أقبح مما هو، وإني أحسن من الفهم والعلم أكثر مما أحسن. قال عبد العزيز: فقال لي المأمون وأي شي أردت بهذا القول، وما الذي دعاك إلى ذكر هذا؟ فقلت سمعت بعض من هاهنا يقول لأمير المؤمنين: يكفيك من كلامه قبح وجهه، فما يضرني قبح وجهي مع ما رزقني الله عز وجل من فهم كتابه، والعلم بسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه، ثم قلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاه فقد رأيتك تنظر إلى هذا النفش وانتفاخ الجص وتذكره، وسمعت عمرا يعيب ذلك ويدعو إلى صانعه، ولا يعيب الجص، ولا يدعو عليه، فقال المأمون: العيب لا يقع على الشيء المصنوع، وإنما يقع العيب على الصانع. قال: قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكن هذا يعيب ربي لم خلقني قبيحا فازداد تبسما حتى ظهرت (ثناياه).

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون وقال: يا عبد العزيز: ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة، فقلت: أمير المؤمنين أطال الله بقاك، كل متناظرين على غير أصل يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفا في شي من الفروع، فهما كالسائر على غير الطريق، لا يعرف الحجة

فيتبعها ويسلكها وهو لا يعرف الموضع الذي يريد فيقصده، ولا يدري من أين جاء فيرجع يطلب الطريق فهو على ضلال أبدا. ولكننا نؤصل بيننا أصلا، فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى الأصل، فإن وجدناه فيه وإلا رمينا به ولم نلتفت إليه.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: نعم ما قلت، فاذكر الأصل الذي تريد أن يكون بينكما، ويذكر أيضا هو مثله حتى تتفقا على الأصل فتؤصلاه بينكما.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، أو أصل بيني وبينه ما أمرنا الله به واختاره لنا وأدبنا به وعلمنا ودلنا عليه عند التنازع والاختلاف، ولم يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى اختيارنا.

فقال المأمون: وذلك موجود عن الله عز وجل. قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.

وهذا تعليم الله عز وجل وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين وهو خير وأحسن ما أصله المتنازعون بينهم، وقد تنازعت أنا وبشر يا أمير المؤمنين فنحن نؤصل بيننا كتاب الله عز وجل وسنه نبيه – صلى الله عليه وسلم – كما أمرنا فإن اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى كتاب الله عز وجل، فإن وجدناه فيه وإلا رددناه إلى سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – فإن وجدناه فيها وإلا ضربنا به الحائط ولم نلتفت إليه.

فقال بشر: وأين أمرنا الله أن نرد ما اختلفنا فيه إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – قلت: كأنك لم تسمع ما جرى وما ابتدأت به، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}

قال بشر: فإنما أمر الله أن يرد إليه وإلى الرسول، ولم يأمرنا أن نرده إلى كتابه العزيز وإلى سنة نبيه عليه السلام.

قال عبد العزيز: هذا مالا خلاف فيه بين المؤمنين وأهل العلم إن رددناه إلى الله فهو إلى كتاب الله، وإن رددناه إلى رسوله بعد وفاته رددناه إلى سنته، وإنما يشك في هذا الملحدون، وقد روى هذا بهذا اللفظ عن ابن عباس وعن جماعة من الأئمة الذين أخذ العلم عنهم رحمة الله عليهم.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: فافعلا وأصلا بينكما يا عبد العزيز أصلا واتفقا عليه وأنا الشاهد بينكما إن شاء الله تعالى.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين: إنه من الحد في كتاب الله عز وجل جاحدا أو زائدا لم يناظر بالتأويل، ولا بالتفسير، ولا بالحديث.

فقال المأمون: وبأي شي تناظره، قلت: بنص التنزيل كما قال عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم – : {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} وقال تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} وقال حين أدعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم: {قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} وقال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ}.

فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة، ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن أقر بالتنزيل، وإما من الحد في التنزيل فكيف يناظر بتأويله. فقال لي المأمون: ويخالفك في التنزيل، قلت: نعم ليخالفني، أو ليدع قوله ومذهبه ويوافقني.

قال عبد العزيز: ثم أقبلت على بشر فقلت: يا بشر ما حجتك أن القرآن مخلوق، وانظر إلى أحد سهم في كنانتك فارمني به، ولا تحتاج إلى معاودتي بغيره.

فقال: تقول القرآن شيء أم غير شيء، فإن قلت إنه شيء أقررت إنه مخلوق إذ كانت الأشياء مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أنه حجة الله على خلقه وإن حجة الله ليس بشيء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر ما رأيت أعجب من هذا تسألني وتجيب نفسك عني وتكفرني ولم تسمع كلامي ولا قولي فإن كنت سألت لأجيبنك، فاسمع مني فأني أحسن أن أجيب عن نفسي واحتج عن مقالتي ومذهبي، وأن كنت إنما تريد أن تخطئني وتتكلم لتدهشني وتنسيني حجتي فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهما، وما أحسبك إلا وقد تعلمت شيئا أو سمعت قائلا يقول هذه المقالة التي قلتها أو قرأتها في كتاب فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها.

قال عبد العزيز: فأقبل المأمون (على بشر) فقال: صدق عبد العزيز، اسمع منه جوابه ورد عليه بعد ذلك بما شئت من الكلام، ثم قال لي: تكلم يا عبد العزيز وأجب عما سألك عنه.

قال عبد العزيز: سألت عن القرآن أهو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد هو شيء إثباتا للوجود ونفيا للعدم فهو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا.

فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه، ولا بد من جواب يفهم ويعقل أنه شيء يعقل أو غير شيء.

قال عبد العزيز: صدقت إنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذم الاختيارات، ولقد ذم الله عز وجل في كتابه من قال مثل ما قلت: أو كان بمثل ما وصفت به نفسك، فقال الله عز وجل: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} وقال عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: {أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} وقال عز وجل: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}. ومثل هذا في القرآن كثيرا جدا، ولقد امتدح الله عز وجل في كتابه أقواما بحسن الاستماع وأثنى عليهم أحسن الثناء فقال: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} وقال عز وجل: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ} وقال عز وجل: {وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} وقال عز وجل: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى صَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} ومثل هذا في القرآن كثير، فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا ما اختاره أهل الكتاب، ولا ما اختاره الجن لأنفسهم.

قال عبد العزيز: قال المأمون: دع هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنت فيه، وبين ما كنت فيه، واشرحه، واحتج لنفسك، فقلت: يا أمير المؤمنين: إن الله عز وجل أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه إذ كان كلامه من صفاته فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأكبر الأشياء إثباتا للوجود ونفيا للعدم، وتكذيباً منه للزنادقة، والدهرية، ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم فقال عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ} فدل على نفسه أنه شيء ليس الأشياء، وأنزل في ذلك خبرا خاصا مفردا لعلمه السابق أن جهما وبشرا ومن قال بقولهما سيلحدون في أسمائه ويشبهون على خلقه، ويدخلونه وكلامه في الأسماء المخلوقة، قال عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا

الخبر تكذيبا لمن الحد في كتابه، وافترى عليه، وشبهه بخلقه، قال عز وجل: {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ} ثم عدد أسماءه في كتابه ولم يتسم بالشيء ولم يجعله أسما من أسمائه، ثم قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إن الله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة) ثم عدها فلم نجده جعل الشيء اسما لله عز وجل، ثم ذكر جل ذكره كلامه نفسه ودل عليه بمثل ما دل على نفسه ليعلم الخلق أنه من ذاته وأنه صفة من صفاته، فقال الله عز وجل: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ} فذم الله اليهودي حين نفى أن تكون التوراة شيئا، وذلك أن رجلا من المسلمين ناظر رجلا من اليهود بالمدينة، فجعل المسلم يحتج على اليهودي من أن الوحي شي بالمعنى، وذم من جحد أن كلام الله شيء فلما أظهر الله عز وجل اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء المخلوقة، ولكنه أظهره عز وجل باسم الكتاب والنور والهدى ولم يقل قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى، فيجعل الشيء اسما لكلامه، وكذلك سمى كلامه بأسماء ظاهرة يعرف بها، فسمى كلامه نورا وهدى، وشفاء، ورحمة، وحقا، وقرآنا، وأشباه ذلك لعلمه السابق في جهم وبشر ومن يقول بقولهما إنهم سيلحدون في أسمائه وصفاته التي هي من ذاته وسيدخلونها في الأشياء المخلوقة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين قد اقر عبد العزيز إنه شيء، وإنه لا كالأشياء فليأت بنص التنزيل كما أخذ علي وعلى نفسه، أنه ليس كالأشياء، وإلا فقد بطل ما ادعاه وصح قولي إنه مخلوق، إذ كنا قد أجمعنا واتفقنا إنه شيء، وقلت أنا هو شيء كالأشياء وداخل في الأشياء، وقال هو ليس هو شيء كالأشياء ولا داخل في الأشياء، فليأت بنص التنزيل على ما ادعاه، وإلا فقد ثبتت الحجة عليه بخلقه إذ كان الله عز وجل قد أخبرنا بنص التنزيل أنه خالق كل شيء.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون هذا يلزمك يا عبد العزيز، وجعل محمد بن الجهم وغيره يصيحون (يقولون) ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل وطمعوا في قتلي، وجثا بشر على ركبتيه وجعل يقول: أقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن، فأمسكت فلم أتكلم حتى قال لي المأمون: مالك لا تتكلم يا عبد العزيز فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل على ما قلت وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء أي شيء هو وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل كما طالبني ولست أتكلم في هذا المجلس

ويتكلم فيه غير بشر إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره في مكانه، فصاح المأمون بمحمد بن الجهم وغيره فأمسكوا.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون تكلم يا عبد العزيز فليس يعارضك أحد غير بشر.

قال عبد العزيز: قال الله عز وجل: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} وقال عز وجل {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} وقال عز وجل: {وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} فدل عز وجل بهذه الأخبار كلها وأشباه لها كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء، وأنه خارج عن الأشياء، وأنه إنما تكون الأشياء بقوله وأمره، ثم ذكر خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئا إلا ذكره، وأخرج كلامه وقوله وأمره منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء وخارج عن الأشياء المخلوقة، فقال عز وجل: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} فجمع في هذه اللفظة الخلق كله، ثم قال: والأمر، يعني الأمر الذي كان به هذا الخلق، ففرق عز وجل بين خلقه وبين أمره، فجعل الخلق خلقا والأمر أمرا، وجعل هذا غير هذا، وهذا غير هذا، فقال عز وجل: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} يقول إذا أردت شيئا فإنما هو كلمح البصر يقول له كن كما أريد فيكون كلمح بالبصر، وقال عز وجل: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} يقول من قبل الخلق ومن بعد الخلق، ثم جمع عز وجل بين الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة من كتابه، وأخبر عن خلقهما بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها فقال عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ} وقال عز وجل {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} وقال عز وجل: {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} وقال عز وجل{حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى} وقال عز وجل: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} وقال عز وجل: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} وقال عز وجل: {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون بعض هذا يجزيك فاختصره، فقلت: يا أمير المؤمنين قد أخبرنا الله عز وجل عن خلق السموات والأرض وما بينهما، فلم يدع شيئا من الخلق إلا ذكره،

وأخبر عن خلقه، وأنه إنما خلقه بالحق، وأن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله، وأنه غير الخلق، وخارج عن الخلق، وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء وإنما به تكون الأشياء.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك فقد أدعى أن الأشياء إنما تكون بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات فزعم أن الله عز وجل يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه ونقض قوله ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري، وأمير المؤمنين أطال الله بقاه الشاهد عليه الحاكم بيننا.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز قد قال بشر كلاما قد قلته وتحتاج أن تصحح قولك ولا ينقض بعضه بعضا، وجعل بشر يصيح ويقول: لو تركناه يتكلم لجاءنا بألف لون مما خلق الله عز وجل بها الأشياء.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، ذهبت الحجج وانقطع الكلام، ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج إلى الباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله عز وجل. قال: فصاح المأمون: يا بشر أقبل على صاحبك واسمع منه، ودع هذا الضجيج، وكان قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم.

قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون وقال: تكلم يا عبد العزيز. فقلت: يا بشر زعمت أني قد أتيت بأشياء متباينات متفرقات، فزعمت أن الله خلق بها الأشياء، فما قلت إلا ما قال الله عز وجل في كتابه، وما جئت بشيء غير كلام الله ولا قلت ولا أقول إلا أن (الله) خلق الأشياء بكلامه.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد قال إنه خلق الأشياء بقوله وبأمره، وبكلامه، وبالحق، فقال المأمون: بلى قد قلت هذا يا عبد العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين قد قلت هذا، وما قلته إلا على صحته، ولا خرجت عن كتاب الله عز وجل ولا قلت إلا ما قال الله عز وجل، ولا أخبرت إلا بما أخبر الله عز وجل به أنه خلق (مما) يوافق بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضا، وكل ما ذكر الله عز وجل إنه خلق ويخلق به الأشياء فهو شيء واحد له أسماء، هو كلام الله، هو قول الله، هو أمر الله، وهو الحق، فقول الله هو كلامه وكلامه هو الحق، والحق هو أمره، وأمره هو قوله، وقوله هو الحق، وهي أسماء شتى لشيء واحد، وكما سمى كلامه نورا وهدى وشفاء ورحمة وقرآنا، وفرقانا، فهذا مثل ذلك، وذلك مثل هذا، وإنما أجرى الله عز وجل مثل هذا على كلامه، كما أجراه على نفسه لأنه من ذاته، فسمى كلامه بأسماء كثيرة، وهي شيء واحد كما سمى نفسه

بأسماء كثيرة وهو واحد أحد صمد فرد، وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة فهمه ومعرفته باللغة، ومعنى كلام العرب وألفاظها.

قال بشر: يا أمير المؤمنين قد أصل بيني وبينه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم -، وزعم أنه لا يقبل إلا نص التنزيل فما لنا ولذكر لغة العرب وغيرها لست أقبل منه إلا نص التنزيل بما قال أن كلام الله هو قوله، وهو أمره، وهو الحق.

فقال المأمون: ذلك يلزمك يا عبد العزيز لما عقدت على نفسك من الشرط.

قال عبد العزيز: فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين إن ذلك يلزمني وعلي أن آتي به من نص التنزيل، قال: هاته.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه فقال: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ} يعني حتى يسمع القرآن، لأنه لا يقدر أن يسمع كلام الله من الله، وإنما عنى القرآن لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك. وقال عز وجل :{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ} فسمى الله القرآن كلامه، وسماه قوله، وأخبر أن قوله هو كلامه بقوله عز من قائل: {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ} وقال الله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ} فهذا خبر الله عن القرآن إنه الحق، وقال عز وجل : {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ} فأخبر عن القرآن إنه الحق ، وقال عز وجل : {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} فهذا خبر الله عن القرآن إنه الحق وقال عز وجل : {وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} فهذا خبر الله عن القرآن إنه الحق وقال عز وجل لنبيه- صلى الله عليه وسلم - : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} وقال عز وجل: {المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} وقال : {الم تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} وقال عز وجل: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ} وقال عز وجل: {وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا}، فهذه كلها وأمثالها في القرآن كثير، إخبار الله عن القرآن أنه الحق، فسماه باسم الحق، ثم ذكر عز وجل أن القرآن قوله وأن قوله هو الحق فقال عز وجل:

{ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} فهذا خبر الله عن قوله إنه الحق وإن الحق قوله، وقال عز وجل: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وقال عز وجل: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ} فهذه أخبار الله كلها عن الحق إنه قوله وأن قوله هو الحق، ومثل هذا في القرآن كثير، ثم ذكر أن الحق كلامه وأن كلامه الحق فقال عز وجل: {كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} فأخبر عن كلام الله أنه الحق، وقال عز وجل: {وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} فأخبر عز وجل عن الحق أنه كلامه وأن كلامه هو الحق، وقال عز وجل: {وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} فهذه أخبار الله عز وجل عن الحق أنه كلامه وإن كلامه هو الحق ثم ذكر عز وجل أن القرآن أمره، وهو كلامه فقال عز وجل: {حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِّنْ عِندِنَا} يعني القرآن ، فأخبر الله أن القرآن أمره؛ وأن أمره القرآن، وقال عز وجل: {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ} يعني القرآن فهذا خبر الله أن القرآن أمره وأن أمره القرآن، وإن هذه أسماء شتى لشيء واحد، وهو الشيء الذي به خلق الأشياء وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء، وغيره داخل في الأشياء، ولا هو كالأشياء وبه تكون الأشياء، وهو كلامه، وهو قوله، وهو أمره، وهو الحق. وهذا نص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

قال عبد العزيز: فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

قال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، إنه يحب أن يخطب ويهذي بما لا أعقله، ولا أسمعه، ولا التفت إليه، ولا أتى بحجة، ولا أقبل من هذا شيئاً.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك، من لا يعقل عن الله ما خاطب به نبيه – صلى الله عليه وسلم –، وما علمه لعباده المؤمنين في كتابه، ولا يعلم ما أراد الله بكلامه وقوله، يدعي العلم، ويحتج بالمقالات والمذاهب ويدعو الناس إلى البدع والضلالات؟.

فقال بشر: أنا وأنت في هذا سواء، أنت تنتزع بآيات من القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها، وأنا أرد ذلك وأدفعه حتى تأتي بشيء أفهمه وأعقله.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد سمعت كلام بشر وتسويته فيما بيني وبينه، (ولقد فرق الله فيما بيني وبينه) وأخبر أنا على غير السواء، قال: وأين ذلك لك من كتاب الله عز وجل؟ قلت: قال الله عز وجل: {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} فأنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه– صلى الله عليه وسلم – هو الحق، وأومن به، وبشر يشهد على نفسه إنه لا يعلم ذلك ولا يعقله ولا يقبله ولا هو مما يقوم

لي به عليه حجة، فلم يقل كما قال الله عز وجل، ولا كما علم نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يقوله، ولا كما قال موسى عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنين، ولا كما قال أهل الكتاب، ولقد أخبر الله عز وجل عن جهله، وأزال عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أولى الألباب، لكن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لما خصه الله به من الفضل والسؤدد، ورزقه من دقة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللغة عقل عن الله عز وجل قوله، وعرف ما أراد به وما عنى به فقبله واستحسنه ممن انتزعه بين يديه وأظهر قبوله والرضاء بقوله.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين قد اقر بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف (شاء) فقد اتفقنا على أنه شيء، وقال الله عز وجل بنص التنزيل: إنه {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} وهذه لفظة لم تدع شيئا إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء لأنها لفظة استقصت الأشياء وأنت عليها مما ذكر الله تعالى ومما لم يذكرها فصار القرآن مخلوقا بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين علي أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل حتى يرجع أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله وكذبه وبطلان ما أدعاه. فقال: هات ما عندك يا عبد العزيز، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} يعني الريح التي أرسلت على عاد، فهل أبقت الريح يا بشر شيئا لم تدمره، قال: لا لم يبق شيء إلا دمرته، وقد دمرت كل شيء كما أخبر الله تعالى لأنه لم يبق شيء إلا وقد دخل في هذه اللفظة. قلت: قد أكذب الله من قال هذا بقوله: {فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} فأخب عنهم أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة. وقال عز وجل: {مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ} وقد أتت الريح على الأرض والجبال والمساكن والشجر وغير ذلك فلم يصر شيئا منها كالرميم وقال عز وجل: {وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ} يعني بلقيس، فكأن بقولك يا بشر يجب أن لا يبقى شيء يقع عليه اسم الشيء إلا دخل في هذه اللفظة وأوتيته بلقيس، وقد بقي ملك سليمان وهو مائة ألف ضعف مما أوتيته لم يدخل في هذه اللفظة. فهذا كله مما يكسر قولك ويدحض حجتك، ومثل هذا في القرآن كثير مما يبطل قولك، ولكني أبدأ بما هو أشنع وأظهر فضيحة لمذهبك وأدفع لبدعتك، قال الله عز وجل: {وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ} وقال: {لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً} وقال عز وجل: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ} وقال عز وجل: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} فأخبر

الله عز وجل بأخبار كثيرة في كتابه، أن له علماً أفتقر يا بشر أن الله علما كما أخبرنا أو تخالف التنزيل؟.

قال عبد العزيز: فحاد بشر عن جوابي وأبا أن يصرح بالكفر فيقول: ليس لله علم، فيكون قد رد نص التنزيل فتتبين ضلالته وكفره، وأبى أن يقول: إن الله علماً، فأسأله عن علم الله هل هو داخل

في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وعلم ما أريد، وما يلزمه في ذلك من كسر قوله وإبطال حجته، فاجتلب كلاماً لم أسأله عنه، فقال: معنى علمه إن لا يجهل. فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين لا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء، وإنما يكون الإقرار بالشيء ثم الخبر عن معناه، فليقر بشر أن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، فإن سألته عن معنى العلم وهذا مما لا أسأله عنه فليجبن أن الله لا يجهل، وقد حاد بشر يا أمير المؤمنين عن جوابي.

فقال بشر: وهل تعرف الحيدة؟ قلت: نعم إني أعرف الحيدة في كتاب الله عز وجل وهي سبيل الكفار التي اتبعتها.

فقال لي المأمون: يا عبد العزيز هل تعرف الحيدة في كتاب الله عز وجل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين وفي سنة المسلمين، وفي لغة العرب. فقال: وأين هي من كتاب الله عز وجل. فقلت: قال الله عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام حين قال لقومه: {هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ} وإنما قال لهم إبراهيم هذا ليكذبهم فيعيب آلهتهم ويسفه أحلامهم فعرفوا ما أراد بهم، وإنهم بين أمرين: إما أن يقولوا نعم يسمعوننا حين ندعو وينفعوننا ويضروننا، فيشهد عليهم بلغة قومهم إنهم قد كذبوا. أو يقولوا لا يسمعوننا حين ندعو ولا ينفعوننا ولا يضروننا فينفوا عن آلهتهم القدرة. وعلموا أن الحجة لإبراهيم عليه السلام في أي القولين أجابوه عليهم قائمة. فحادوا عن كلامه واجتلبوه كلاما من غير ما سألهم عنه فقالوا: {بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} ولم يكن هذا جوابا لمسألة إبراهيم عليه السلام، وأما الحيدة في سنة المسلمين فيروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقد قدم عليه فنظر إليه يكاد يتفقأ شحما، فقال: يا معاوية ما هذه الشحمة لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم، قال له معاوية: يا أمير المؤمنين رحمك الله علمني وفهمني، ولم يكن هذا جواباً لقول عمر رضي الله عنه إنما حاد عن جوابه لعلمه بما فيه، فاجتلب كلاما غيره فأجاب به.

وأما الحيدة في كلام العرب فقول امرئ القيس:

تقول وقد مال الغبيط بنا معا ... ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلت لها سيري وأرخي زمامه ... ... ولا تبعدني من جناك المعلل

ولم يكن هذا جواباً لكلامها، وإنما حاد عن جوابها واجتلب كلاماً غيره، قال: فأقبل المأمون على بشر فقال: يأبي عليك عبد العزيز إلا أن تقرأن لله علماً فأجبه ولا تحد عن جوابه. فقال بشر: قد أجبته وأن معنى العلم لا يجهل وهذا جوابه ولكنه يتعنت.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين صدق أن الله لا يجهل، ولم تكن مسألتي إياه على هذا، إنما سألته أني يقر بالعلم الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه وأثبته لنفسه ولم أسأله عن الجهل

فينفي الجهل عن الله تعالى فليقر أن لله علماً، ولينفي أن الله لا يجهل.

قال عبد العزيز: ثم التفت إلى بشر فقلت: لا بد من أن تقول أن لله علما كما أخبر، أو ترد أخبار الله بنص التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حيدتك عن جوابي، فجعل يقول: يا أمير المؤمنين إن نفي الجهل عنه هو جوابه وهو الذي عناه الله في كتابه وهو الذي يطالبني به واحد إلا أن اللفظين مختلفان.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين إن نفي السوء لا تثبت به المدحة قال بشر: وكيف ذلك؟ قلت: إن قولي هذه الاسطوانة لا تجهل ليس هو إثبات العلم لها.

قال عبد العزيز: ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين إنه لم يمدح الله تعالى في كتابه ملكاً ولا نبياً ولا مؤمناً بنفي الجهل ليدل على إثبات العلم، وإنما مدحهم بالعلم فقال عز وجل: {كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} ولم يقل لا يجهلون، وقال عز وجل لنبيه- صلى الله عليه وسلم -: {عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} وقال عز وجل: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} ولم يقل الذين لا يجهلون فهذا قول الله تعالى ومدحته للملائكة وللنبي – صلى الله عليه وسلم -، وللمؤمنين فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، وعلى الخلق جميعاً أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله، فما اختار بشر يا أمير المؤمنين من حيث اختار الله لنفسه، ولا من حيث اختار للملائكة، ولا من حيث اختار لنبيه – صلى الله عليه وسلم -، ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين، فمن أجهل ممن اختار لنفسه غير ما اختار الله لنفسه ولملائكته ولأنبيائه ولعباده المؤمنين.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: فإذا قال بشر إن لله علماً وأقر بذلك فيكون ماذا، قلت: اسأله يا أمير المؤمنين عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله: {خَالِقُ

كُلِّ شَيْءٍ} فزعم إنه لم يبق شيء إلا وقد أتى عليه هذا الخبر. فإن قال: نعم فقد دخل في الأشياء المخلوقة فقد شبه الله يا أمير المؤمنين بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم ولا يعلمون شيئاً، وكل من تقدم (وجوده) قبل علمه فقد دخل عليه الجهل فيما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، والله عز وجل أعظم وأجل من أن يوصف بذلك أو ينسب إليه، ومن قال ذلك فقد كفر وحل دمه ووجب على أمير المؤمنين قتله، وإن قال إن علم الله خارج عن جملة الأشياء وغير داخل فيها، كما أن قوله خارج عن الأشياء وغير داخل فيها، فمن ثم ترك قوله وضل يا أمير المؤمنين وثبتت عليه الحجة فيها. فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز، وإنما فر بشر أن يجيبك في هذه المسألة لهذا. ثم أقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز تقول إن الله عالم. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فتقول: إن الله سميع بصير. قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فتقول إن لله سمعاً وبصراً. كما قلت إن له علم، فقلت، لا أطلق هذا هكذا يا أمير المؤمنين. فقال: أي فرق بين هذين؟ فأقبل بشر يقول: يا أمير المؤمنين يا أفقه الناس، ويا أعلم الناس يقول الله عز وجل: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين قد قدمت إليك فيما احتججت به إن على الناس كلهم جميعا أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عما أمسك الله عنه، فأخبرنا الله عز وجل أن له علما بقوله: {فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ} فقلت: إن له علماً كما قال: وأخبرنا إنه سميع بصير بقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} فقلت: إنه سميع بصير كما قال. ولم يخبرنا أن له سمعاً وبصراً، فقلت: كما قال. وأمسكت عند إمساكه. فأقبل عليهم المأمون فقال: ما هو مشبه فلا تكذبوا عليه. فقال بشر: قد زعمت أن الله علماً، فأي شيء هو علم الله، ومعنى علم الله فقلت له: هذا مما تفرد الله بعلمه ومعرفته وحجب عن الخلق جميعا علمه فلم يخبر به ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا علمه أحد قبلي، ولا يعلمه أحد بعدي لأن علم الله أكبر وأوسع وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه، ألم تسمع إلى قوله عز وجل: {وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء} وقال: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ} وقال عز وجل: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} وقال: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. أتدري يا بشر ما معنى هذا؟ قال: وأي شيء هذا مما نحن فيه. فقال المأمون: قل يا عبد العزيز أنت ما معنى هذا. قلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك يقول: ولو أن ما في الأرض من جميع الشجر والخشب

والقصب أقلام يكتب بها والبحر مداد يمده من بعده سبعة أبحر بالمداد والخلائق كلهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا الشجر ما نفذت كلمات الله، فمن يبلغ عقله أو فهمه أو فكره كنه عظمة الله عز وجل وسعة علمه وكثرة كلامه، قال عز وجل: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} فمن يحد هذا أو يصفه أو يدعي علمه؟ وقد عجزت الملائكة المقربون عن علم ذلك واعترفوا بالعجز {قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} وقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} فقال بشر: لا بد أن تقول أي شيء هو علم الله أو يقف أمير المؤمنين أطال الله بقاه على حيدتك عن الجواب فأكون أنا وأنت في الحيدة سواء. فقلت: إنما تأمرني بما نهاني الله عنه وحرم علي القول به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولست أعصي الله وارتكب نهيه وأطيع الشيطان وأتبع أمره وأمرك إذ قد أمرتماني بمعصية الله وارتكاب نهيه.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسم أمير المؤمنين من كلامي فقال: يا عبد العزيز أمرك بشر بما نهاك الله عنه وحرم عليك القول به، وأمرك بما أمرك به الشيطان؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ومن أين لك ذلك؟ قلت: من كتاب الله وكلامه بنص التنزيل. قال: هاته. قلت: قال الله عز وجل: {إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}, فحرم الله على الخلق جميعاً بهذا الخبر أني يقولوا على الله مالا يعلمون. وأمرهم الشيطان بضد ذلك، قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وهذا أمر الشيطان لنا أن نقول مالا نعلم، وقد اتبع يا أمير المؤمنين بشر سبيل الشيطان ووافقه على قوله، وأمرني بما نهيت عنه من ارتكاب نهي الله عز وجل وتحريمه حين قال: لابد أن تقول أي شيء علم الله، وقد أعلمته أني لا أعلمه ولا علمه أحد قبلي ولا يعلمه أحد بعدي.

قال عبد العزيز: فكثر تبسم المأمون حتى غطى فمه بيده وأطرق ينكث بيده على السرير.

باب ذكر"علم" الله عز وجل:

فقال لي بشر: لو ورد عليك اثنان وقد تنازعا في علم الله عز وجل، فحلف أحدهما بالطلاق: إن علم الله هو الله. وحلف الآخر بالطلاق: إن علم الله غير الله ، فقالا لك: أفتنا في أيماننا فما كان جوابك لهما. قلت: الإمساك عنهما وتركهما وجهلهما وصرفهما بغير جواب. قال

بشر: يلزمك ويجب عليك إذ كنت تدعي العلم أن تجيبهما عن مسألتهما وأن تخرجهما من أيمانهما وإلا فأنت وهما في الجهل سواء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: أو يجب علي أن أجيب كل من سألني عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذكرا ولا علماً قد جهل السائل عنها، وحمق الحالف عليها. قال بشر: يجب عليك أن تجيبه عن مسألته فإنه لابد لكل مسألة من جواب.

قال عبد العزيز: فقلت: هذا جهل من قائله. قال عبد العزيز: ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين سمعت ما قال بشر إنه يجب علي جواب من سألني عن مسألة وفتياه وإخراجه من يمينه بما لا أجده في كتاب الله ولا في سنة نبيه– صلى الله عليه وسلم –.

فلو ورد علي يا أمير المؤمنين ثلاثة نفر (قد تنازعوا) في الكوكب الذي أخبر الله عز وجل أن إبراهيم عليه السلام رآه بقوله: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} فقال أحدهم: حلفت بالطلاق إنه المشتري وقال الآخر حلفت بالطلاق إنه الزهرة. "وقال الآخر حلفت بالطلاق إنه المريخ" فأفتنا في أيماننا وأجبنا في مسألتنا كان علي أن أجيبهم في مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم، وذلك مما لم يخبرنا الله عز وجل به ولا رسوله.

فقال المأمون ما ذلك عليك بواجب ولا لك بلازم.

قال عبد العزيز: فقلت له: فلو ورد علي يا أمير المؤمنين ثلاثة نفر قد تنازعوا في الأقلام التي أخبر الله عنها في كتابه بقوله: {إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} قال أحدهم: حلفت بالطلاق إن هذه الأقلام نحاساً، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها خشب، وقال الآخر: حلفت بالطلاق إنها قصب، فأجبنا عن مسألتنا، وأجبنا عن أيماننا، وذلك مما لم يخبر الله به ولا رسول ولا يوجد علمه في كتاب الله ولا في سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، كان علي يا أمير المؤمنين أن أجيبهم عن مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم. فقال المأمون: لا ليس عليك إجابتهم ولا فتياهم. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، فلو ورد علي ثلاثة نفر قد تنازعوا في المؤذن الذي يؤذن بين أهل الجنة والنار الذي أخبر الله عز وجل بقوله: {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} فقال أحدهم: حلفت بالطلاق إن المؤذن من الملائكة. وقال الآخر: حلفت بالطلاق إن المؤذن من الإنس. وقال الآخر: حلفت بالطلاق إن المؤذن من الجن. فأجبنا عن مسألتنا وافتنا في أيماننا، وذلك مما لا أجده في كتاب الله عز وجل ولا في سنه نبيه – صلى الله عليه وسلم –، ولا أخبرنا الله به ولا رسوله كان علي يا أمير المؤمنين أن أجيبهم في مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم،

فقال المأمون لا ليس عليك إجابتهم ولا فتياهم، فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين لا يجوز لي ولا لغيري بأن يقض بينهم ولا يفتيهم إلا أن يكون الله عز وجل قد أخبر عن ذلك في كتابه أو عن علم الله، وهو مما لا يوجد في كتابه ولا في سنة نبيه، ولا أخبرنا الله به ولا رسوله، وقد أكذب الله بشرا على لسان أمير المؤمنين أطال الله بقاه فيما ادعاه من وجوب الجواب علي وفتوى من جهل في مسألته وحمق في يمينه، فقال: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر: واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألني عبد العزيز أن أقول لله علماُ فلم أجبه، وسألته ما علم الله فلم يجبني فقد استوينا في الحيدة عن الجواب، ونخرج عن هذه المسألة إلى غيرها، وندعها على غير حجة تثبت لأحدنا على صاحبه فيما قال.

قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إن بشرا قد أفحم وانقطع عن الجواب ودحضت حجته وبقي لا حجة يقيمها لهذا المذهب الذي كان يدعو الناس إليه، فلجأ إلى أن يسألني عن مسألة محال يحتج بها علي ليقول: سألني عبد العزيز عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني عنها، وقد قال ذلك، وأنا وبشر يا أمير المؤمنين على غير السواء في مسألتنا، لأني سألته عما أخبر الله به وشهد به على نفسه وشهدت له الملائكة به، وتعبد الله عز وجل نبيه – صلى الله عليه وسلم – وسائر الخلق بالإيمان به بقوله: {وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ} فوجب على نبيه – صلى الله عليه وسلم – وعلى الخلق جميعاً الإيمان بما أنزل الله من كتاب، وبشر يا أمير المؤمنين يأبى أن يؤمن بذلك أو يقر به أو يصدقه. وسألني بشر عن مسالة ستر الله علمها عن الملائكة، وأهل ولايته جميعاً، وعني وعن بشر وعن سائر الخلق جميعاً، ممن مضى وممن هو آت إلى يوم القيامة فلم يعلمها أحد قبلنا ولا يعلمها أحد بعدنا، فلم يكن لي أن أجيبه عن مسألته، وإنما يدخل النقض علي يا أمير المؤمنين لو كان بشر يعلم ما سألني عنه أو غيره من العلماء، وكنت أنا لا أعلمه، فإما إذا اجتمعنا جميعاً أنا وبشر وسائر الخلق في جهل هذه المسألة وقلة العلم بها، فليس الضرر بداخل علي دونه، وهذه مسألة لا يحل أن يسأل عنها، ولا يحل لأحد يجيب فيها لأن الله عز وجل حرم ذلك عليه.

قال عبد العزيز: فقال لي المأمون: أنتما في مسألتكما على غير السواء، وقد صح قولك في هذه المسألة يا عبد العزيز وبان ووضح وظهرت حجتك على بشر فيها.

قال عبد العزيز: ورأيت بشرا قد حار وانقطع وصح ما في يدي واستبان الحق ووضح لأمير المؤمنين ولسائر من بحضرته، فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، أرجع إلى المسألة ، وأدع العلم فأكسر قول بشر وافضح مذهبه وأبطل قوله واحتجاجه.

فقال لي المأمون: قد أصبت يا عبد العزيز بتركك الكلام فيما قد قطع المجلس من غير أن يرجع إليك عن مسألتك فيه جواب، وقد وقفنا من قولك على ما يلزم بشرا في هذه المسألة لو أجابك عن مسألتك، فهات ما عندك من غير هذا.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك على كل من اكتال بمكيال أن يوفي به، قال ذلك يلزمه. فقلت: يا بشر ألست تزعم أن قوله: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} لفظه لا يخرج عنها

شيء، لأن كل ، كلمة تجمع الأشياء فلا تدع شيئاً يخرج عنها وكل شيء داخل فيها. فقال بشر: هكذا قلت وهكذا أقول، وهكذا هو عند الخلق ولست أرجع عنه بكثرة خطبك وهذيانك، فقلت: أمير المؤمنين شاهد عليك بهذا.

قال عبد العزيز: ثم قلت له: يا بشر قال الله عز وجل {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} وقال عز وجل: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ} وقال جل ذكره: {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ} وقال عز وجل: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ} وقال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} فقد أخبر الله عز وجل في مواضع كثيرة من كتابه أن له نفسا، أفتقر يا بشر أن الله نفسا كما أخبرنا عنها بهذه الأخبار كلها، قال: نعم

قال عبد العزيز: فقلت له: قال الله عز وجل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ} أفتقول أن نفس رب العالمين داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت، فصاح المأمون بأعلى صوته وكان جهير الصوت، معاذ الله معاذ الله معاذ الله، فقلت: إذا ورفعت صوتي معاذ الله معاذ الله أن يكون كلام الله داخلا في الأشياء المخلوقة، كما إن نفسه ليست بداخله في الأنفس الميتة، وكلامه خارج عن الأشياء المخلوقة كما إن نفسه خارجة عن الأنفس الميتة.

قال بشر: يا أمير المؤمنين قد سألني فليسمع كلامي وليدع الصياح والضجيج. فقلت له: تكلم بما شئت. فقال: إذا كانت نفس (الله) ضميراً أو توهماً، فهي خارجة وليست بداخلة في هذه النفوس. فقلت له: كم ألقي عليك إني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عني، وإنما قلت إن لله نفسا كما أخبرنا وقد أقررت بذلك فلتكن عندك علي أي معنى شئت؟ وقل هي داخلة في هذه النفوس أو لا، ودع عنا كلام الخطرات والوساوس، فقال لي: أنت رجل متعنت تجاب عن مسألتك فتطلب غيرها، وليس عندي جواب غير هذا وانقطع.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، قد كسرت قوله بقوله، ودحضت حجته بحجته وبطل ما كان يدعو إليه من بدعته، وبان لأمير المؤمنين قبح مذهبه وفحش قوله، فأقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز وقد وضحت حجتك، وبان قولك، وانكسر قول بشر، وتحتاج أن تشرح هذه الأخبار التي في القرآن ومعانيها وما أراد الله عز وجل بها ليسمع من بحضرتنا، فقد جرت اليوم أشياء كثيرة يحتاج من سمعها إلى معرفتها وفهمها.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل شرف العرب وكرمهم بأن أنزل القرآن بلسانهم وجعله مكتتباً على تبيانهم فقال عز وجل: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً} وقال عز وجل: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} وقال عز وجل: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ} فخص الله عز وجل العرب بفهمه ومعرفته وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره ومعاني ألفاظه وخصوصه وعمومه ومحكمه ومبهمه، وخاطبهم بما عقلوه وعلموه، ولم يجهلوه وقبلوه ولم يدفعوه، وعرفوه فلم ينكروه، إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم ولغاتهم وكلامهم، فأنزل الله جل ذكره القرآن على أربعة أخبار خاصة، وعامة، فمنها خبر مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص، ومنها خبر مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى العموم، فهذان خبران محكمان لا ينصرفان بإلحاد ملحد، ومنها خبر مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص، ومنها خبر مخرجه الخصوص ومعناه معنى العموم، ففي هذين الخبرين يا أمير المؤمنين دخلت الشبهة على من لا يعرف خاص القرآن وعامه. فأما الخبر الذي مخرجه العموم ومعناه العموم، فهو قوله عز وجل: {وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ} فجمع هذا الخبر الخلق والأمر، ولم يبق شيئاً إلا وقد أتى عليه، لأن كل شيء هو له، مما هو مخلوق وغير مخلوق. فهذا خبر مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى العموم.

وأما الخبر الذي مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص، فهو قوله عز وجل: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ} وقوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ} فكان مخرج الخبر لآدم عليه السلام مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص، وكذلك كان مخرج الخبر لعيسى عليه السلام مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص. ثم قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} والناس اسم يجمع آدم وعيسى ومن بينهما ومن بعدهما، فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر إنه لم يعن آدم

وعيسى عليهما السلام في الناس الذين خلقهم من ذكر وأنثى لأنه قد قدم ذلك الخبر الخاص في آدم وعيسى عليهما السلام، وكان مخرج اللفظ عاما بهما وبغيرهما ومعناه خاصا بالناس دونهما.

وأما الخبر الذي مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى العموم فهو قوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى} فكان مخرج الخبر خاصا ومعناه عاما. وأما الخبر الذي مخرجه مخرج العموم ومعناه الخصوص، فهو قوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر أنه لم يعن إبليس فيمن تسعة الرحمة لما قدم فيه من الخبر الخاص قبل ذلك وهو قوله: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} فكان إبليس ومن تبعه خارجين بهذا الخبر الخاص من رحمته التي وسعت كل شيء، فصار معنى ذلك الخبر العام خاصا لخروج إبليس ومن تبعه من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، فلما أنزل الله عز وجل هذه الأربعة الأخبار، خص العرب بفهمها ومعرفة معانيها وألفاظها وخصوصها وعمومها والخطاب بها، ثم لم يدعها اشتباها على خلقه فيجد الملحدون السبيل إلى الإلحاد في صفاته والطعن على أخباره والتشبيه على خلقه من غير العرب الذين لم يعقلوا عنه ما أراد بخطابه حتى جعل فيها بيانا ظاهراً وعلماً واضحاً لا يخفى على من سمعه وتدبره وتفهمه من غير العرب، ممن لا يعرف الخاص، والعام، والمحكم، والمبهم، تفضلا منه وتكرما وإحسانا إلى خلقه وإثباتا منه للحجة على من ألحد في كتابه وصفاته وما هو من ذاته، فإذا أنزل الله تبارك وتعالى خبراً مخرج لفظه خاص ومعناه عام، أو خبراً مخرج لفظه عام ومعناه خاص لم يدعه إشكالا على خلقه حتى يجعل أحد بيانين، أما أن يستثني من الجملة شيئا يكون بيانا للناس جميعا، أو يقدم قبله خبرا خاصا، فإذا أنزل بعده خبراً عاماً لم يتوهم أحد من العلماء إنه عنى ما خصه في الخبر الذي قدمه قبل نزول العام إذ كان قد خصه ونصه قبل ذلك.

قال عبد العزيز: فأما الخبر الذي ينزل على لفظ العموم ثم يستثني من الجملة ما لم يعنه في العموم فهو قوله عز وجل في قصة نوح عليه السلام: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً} فعقل المؤمنون عن الله عز وجل حين استثنى الخمسين سنة من الألف أن الألف لم يستكملها نوح في قومه أيام الطوفان قال: فكان ابتداء اللفظ عاماً بالألف سنة، ومعناه خاصاً بالاستثناء للخمسين سنة، من الألف، ومثل هذا في القرآن كثير، ولكني أختصر من كل خبر مسألة واحدة ليقف من بحضرة أمير المؤمنين على ذلك كما أمر.

وأما الخبر الذي ينزله على مخرج العموم وقد قدم قبلة خبراً خاصاً، فهو قوله عز وجل: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} فكان مخرج الخبر باللفظ عاما، وكان معناه خاصا لما قدم قبله من

الخصوص في إبليس ومن تبعه بقوله: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} وقوله: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فعقل المؤمنون عن الله تعالى أنه لم يعن هؤلاء الذين قدم فيهم الأخبار الخاصة لخروجهم عن الرحمة أنهم معمومون بالرحمة مع غيرهم بهذا الخبر العام، وكذلك قال عز وجل في قصة لوط عليه السلام: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} وقال في موضع آخر: {إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ} فخص عز وجل المرأة بالهلاك وقدم فيها أخبارا خاصة بذلك، ثم أنزل عز وجل خبراً مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص فقال: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ} فعقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن امرأة لوط بالنجاة، لما قدم فيها من الأخبار الخاصة بالهلاك، وكذلك حين قدم إلينا عز وجل في نفسه خبراً خاصا إنه حي لا يموت بقوله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} ثم أنزل خبراً مخرجه مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص فقال: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ} عقل المؤمنون عن الله عز وجل أنه لم يعن نفسه مع هذه النفوس الميتة لما قدم إليهم من الخبر الخاص في نفسه أنه حي لا يموت وكذلك حين قدم إلينا في كتابه خبراً خاصا فقال عز وجل: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} فدل على قوله باسم معرفة، وعلى الشيء باسم نكره، فكانا شيئين مفترقين عند العرب وأهل اللغة، فقال: إذا أردناه، ولم يقل إذا أردناهما، (وقال: أن نقول له) ولم يقل أن نقول لهما، ففرق بين القول والشيء المخلوق والذي يقول له كن فيكون بالقول مخلوقا، ثم قال عز وجل: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} فعقل المؤمنون عن الله عز وجل عند نزول هذا الخبر العام إنه لم يعن كلامه وقوله في الأشياء المخلوقة لما قدم في ذلك من الخبر الخاص أن الأشياء المخلوقة إنما تكون بقوله، وإنما غلط بشر ومن قال بقوله وهلكوا وتاهوا وضلوا لجهلهم بالخاص والعام في القرآن العظيم، وإنما شرف الله العرب وفضلها بمعرفتها بخاص القرآن وعامه ومجمله ومبهمه.

فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين إن بشرا خالف كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم - وخالف إجماع أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم -.

فقال لي المأمون: خالف كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله وإجماع أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم - قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أوقفك عليه الساعة، قال: قل. فقلت: يا أمير المؤمنين إن اليهود ادعت تحريم أشياء لم تحرم عليهم في التوراة وزعموا أنها في التوراة

محرمة، فقال الله عز وجل لنبيه– صلى الله عليه وسلم –: {قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} فإذا أتوا بالتوراة فتليت لم يوجد ما ادعوه محرما عليهم فيها، كان إمساك التوراة عند ذلك مكذبا لقولهم ومبطلا لدعواهم، وكذلك أقول لبشر: أتل قراءنا بما قلت، وإلا فإن إمساك القرآن عما تدعيه مكذب لك مبطل لدعواك. وكذلك ننظر في سنة الرسول عليه السلام فإن كان معه سنة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما قال، وإلا فإمساك السنة مكذب لقوله مبطل لدعواه وهما الأصل الذي أصلناه بيننا وأشهدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاه على أنفسنا به وشرطنا على أنفسنا إسقاط كل ما لم يوجد في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

أما خلاف أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – فإن أصحابه اختلفوا في الحلال والحرام ومخارج الأحكام، فلم يخطئ بعضهم بعضا، فهم من أن يكفر بعضهم بعضا أبعد. وبشر يا أمير المؤمنين أدعى على الأمة كلمة تأولها بغير علم منه لمعناها وبما أراد الله عز وجل بها ولم يجد لها في كتاب الله عز وجل ما ينصها ولا ما يدل على تأويلها، ثم زعم أن من خالفه عليها كافر حلال الدم فأباح دم الأمة جميعا على ذلك، فهو خارج عن إجماع أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – تسليماً وشرف وكرم.

الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فقال بشر: قد خطبت وتكلمت وهذيت وتركتك حتى تفرغ مما ادعيت (من إبطال خلق القرآن) بنص التنزيل، ومعنا من كتاب الله آية لا يتهيأ لك معارضتها ولا دفعها، ولا التشبيه فيها، ولا الخطب عليها، كما فعلت في غيرها، وإنما أخرتها ليكون انقضاء المجلس عليها وسفك دمك بها.

قال عبد العزيز: فقلت له: هاتها فأنا أشهد أمير المؤمنين على نفسي إني أول من يتبعك عليها ويقول بها، ويرجع عن قوله، ويكذب نفسه ويتوب إلى الله إن كان معك نص التنزيل، وكل من خالف نص التنزيل فهو كافر، والله لو اجتمعت الأنس والجن على ما قلت أن يأتوا به لم يقدروا أن يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

قال بشر: قال الله عز وجل: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً}.

قال عبد العزيز: فقلت له: لا أعرف أحداً من المؤمنين إلا وهو يؤمن بهذا ويقول: إن الله جعل القرآن عربياً ولا يخالف ذلك. فأي شي في هذا من الحجة لك والدليل على خلقه.

فقال بشر: وهل في الخليفة أحد يشك في هذا أو يخالف علي فيه إن معنى جعلناه خلقناه.

قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين هات نص التنزيل الذي قال يأتي به ورجعنا إلى معناه وتأويله.

فقال بشر: ما هذا تأويل ولا تفسير ولا معنى، ولا هو إلا نص التنزيل.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إن القرآن منزل بلسانك وبلسان قومك، وأنت أفهم أهل الأرض بلغة العرب ومعاني كلامها، وبشر رجل من أبناء الأعاجم يتأول كتاب الله على غير ما عناه الله عز وجل ويحرفه عن مواضعه ويبدل معانيه، ويقول ما تنكره العرب ولا تتعارفه في كلامها ولغاتها، وأنت أعلم خلق الله بلغات قومه، وإنما يكفر بشر الناس ويبيح دماءهم وبتأويل التنزيل.

فجعل بشر يقول: جاء الحق وزهق الباطل، تروح يا عبد العزيز إلى الكلام والخطب والاستغاثة بأمير المؤمنين أطال الله بقاه لينقطع المجلس قال الله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ} ثم ضرب بشر يده على فخذي وقال: أقبل علي فقد أتيت بما لا تقدر على دفعه ولا على التشبيه فيه لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك وإيجاب العقوبة عليك، فإن يكن عندك شيء تتكلم به، وإلا فقد قطع الله مقالك وأدحض حجتك، وجعل يصيح، فرحناك في أول ما أردت فأين كلامك واحتجاجك إنه انقطع ذاك وجاء ما يخرس اللسان ويذهب العقل ويحل الدم.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز مالك قد أمسكت أجبه إن كان عندك جواب لمسألته، فقلت: ليس يدعني يا أمير المؤمنين أكلمه من ضجيجه وصياحه، فإن أمسك تكلمت وأجبته وكسرت قوله بإذن الله عز وجل، وإن أراد أن يهذي ويروج الكلام إلى قطع المجلس لم أتكلم، وكان أمير المؤمنين أطال الله بقاه أعلا عينا بما يراه، فصاح به المأمون أمسك وأسمع الجواب منه عما سألت.

قال عبد العزيز: فأمسك، فقال لي المأمون: تكلم يا عبد العزيز بما تريد. فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك ما خفي عليك حرف واحد مما جرى اليوم في مجلسك ولنعم الحاكم أنت جازاك الله عن رعيتك أفضل الجزاء، وبشر يقول: ما يخطر بباله من غير علم ولا حقيقة لقوله، فإن رأى أمير المؤمنين أن يتحفظ علينا ألفاظنا وما يجري بيننا في هذه المسألة ويشهد علينا بما نقول ويطالب كل واحد منا صاحبه بإقامة الشاهد على ما يقول، من الكتاب والسنة فعل. فقال: أنا أفعل ذلك منذ اليوم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر فقلت: أخبرني عن جعل هذا حرف محكم لا يحتمل غير الخلق، فقال بشر: نعم هو حرف محكم لا يحتمل معنى غير الخلق وما بين جعل وخلق فرق عندي ولا عند غيري من سائر الناس، ولا عند أحد من العرب، ولا من العجم، ولا يتعارفون الناس ولا يعقلون غير هذا في كلامهم ولغاتهم سواء عندهم قالوا: خلق أو جعل.

فقلت لبشر: أخبرني عن نفسك ودع ذكر العرب وسائر الناس فأنا من الناس ومن الخلق ومن العرب أخالفك على هذا وكذلك سائر العرب تخالفك.

فقال بشر: هذا باطل منك ودعوى تدعيها على العرب وغيرهم وليس يخالف في هذا أحد من خلق الله غيرك خوفا على نفسك مما هو نازل بك لا محالة.

قال عبد العزيز: أخبرني بإجماع الخلق بزعمك على أن جعل وحلق واحد لا فرق بينهما في هذا الحرف وحده أو في سائر القرآن من الجعل، قال: بل في سائر القرآن من ذلك وفي سائر الكلام والأخبار والأشعار.

قال عبد العزيز: فقلت: حفظ عليك أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ما قلت وشهد به عليك.

فقال بشر: أنا أعيد هذا القول عليك متى سألتني عنه ولا أخالفه ولا أرجع عنه.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: زعمت أن معنى جعلناه خلقناه قرآنا عربيا، قال: نعم هكذا قلت وهكذا أقول أبدا فقلت: الله عز وجل تفرد بخلقه ولم يشاركه فيه أحد، أو شاركه في خلقه أحد، قال: بل الله خلقه وتفرد بخلقه ولم يشاركه في خلقه أحد.

قال عبد العزيز: أخبرني عمن قال: إن بعض ولد آدم خلقوا القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟ فقال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم.

قلت: فأخبرني عمن قال من أن التوراة خلقها اليهود من دون الله تعالى أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم، فقلت: وأنا أقول أيضا هكذا كافر حلال الدم. قلت: فأخبرني عمن قال: إن بني آدم خلقوا الله، وأن الله أخبر بذلك. أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا أقول أيضا مثل ذلك.

فأخبرني يا بشر أليس الله خلق الخلق كلهم أجمعين؟ قال: بلى. قلت: فهل شاركه في خلقهم أحد؟ قال: لا. قلت: فمن قال إن بعض بني آدم خلقوا الله أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وأنا هكذا أقول. قال بشر: قد قعدت تمتحنني وتشغلني حتى يؤذن الظهر وينقطع المجلس رجاء أن تنصرف سالما وهو مالا يكون عندك جواب لمسألتي وإلا فقد انقطع الكلام وأي شي هذه الخرافات.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين ليس ينصفني فأمره أن يجيبني عما أسأله عنه، فإن الذي بقي أيسر، ثم أجيبه عن مسألته وعن كلامه، فقال له المأمون أجبه عن كلامه وما يسألك، قال الساعة يؤذن بالصلاة وينقطع المجلس، فقال المأمون: يؤخر الآذان بالصلاة إلى آخر الوقت وإن احتجتما إلى المجلس بعد الصلاة لتمام الكلام جلست لكما حتى تفرغا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون فقال: سله يا عبد العزيز عما تريد ولا تدع شيئا مما تحتاج إليه فإني متحفظ عليكما جميع ما يجري بينكما وشاهد عليكما، فقلت له: جزاك الله عني يا أمير المؤمنين خاصة وعن رعيتك عامة أفضل الجزاء فقد جلست منا اليوم مجلس الإمام العادل أحسنت إلي حين رأيتني جزعا فسكنت روعتي وآنست وحشتي وبسطت لساني بحجتي وتابعت الحق حين ظهر لك ودافعت وانتصرت له وشهدت لي بثبات الحجة، ودفعت أهل الباطل حين زهق واضمحل، وبانت فضيحته، وشهدت على بطلانه، وأنصفت في مجلسك، وكان ذلك كله منك بتوفيق الله تعالى وتأييده إياك فله الحمد والشكر على ما أولاك وأولى رعيتك فيك يجزيك الله أفضل ما جازى أحداً من الأئمة عن رعيته.

فقال لي المأمون: قد أبلغت يا عبد العزيز في القول والشكر ولك الزيادة مما ابتدأناك به، فارجع إلى مسألة بشر (وأسأله) عما تريد.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر فقلت: أخبرني عمن زعم إن بعض بني آدم خلقوا الملائكة من دون الله تعالى أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. فقلت: وأنا أقول هكذا أيضا. قلت: أخبرني عمن زعم إن بعض بني آدم خلقوا لله شركاء أمؤمن أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: وهكذا أقول أنا أيضا.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين قد أقر بشر أنه كافر حلال الدم، وكل من قال بقوله ووافقه على مذهبه، وعلمت إني قد أخطأت، وأطرق المأمون إطراق مغضب، نظر إليه بشر فقال: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك لم يكفرنا ويحل دماءنا بحضرتك وفي مجلسك بلا حجة ظهرت، وإنما سبب ذلك ليقول هذا.

قال عبد العزيز: فقلت له: قد شهد عليك أمير المؤمنين بما قلت. فقال لي المأمون: لقد أفحشت القول وأعظمته واستشهدني على ما لم أسمعه ولم أشهد على بشر به ولا على أحد يقول بقوله.

قال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين اسمع قول فإن (كنت) قلت حقاً وإن بشرا قد كفر نفسه ومن قال بمقالته وأحل دمه ودماءهم وانتزعت على كل حرف من كلامي بآية من كتاب الله عز

وجل، وإلا فدمي حلال وليأمر أمير المؤمنين بضرب عنقي الساعة على رؤوس الأشهاد وإن أتيت على ما قلت ولفظت به بنص الكتاب والتنزيل في كل لفظة وأقمت الشهادة على بشر من كتاب الله وسعني عدل أمير المؤمنين. قال: فقال لي: هات ما عندك ولا تطل الكلام بغير حجة.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً} وقد خلقتم الله عليكم كفيلا، لا معنى لذلك عنده غيره، وإنه ومن قال بقوله ومن خالفه وسائر العرب والعجم يقولون هذا.

ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في القول الأول، وصدق في قوله إن من قال هذا حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال عز وجل: {وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ} ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله، ومن خالفه وسائر الخلق جميعاً غير هذا أن الله قال لبني آدم، ولا تخلقوا الله، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وأمير المؤمنين يشهد عليه بهذا اللفظ، وقد كذب في قوله، إن معنى ولا تجعلوا ولا تخلقوا، وصدق في قوله، إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بقوله وقولي وقول الناس جميعاً.

فقال المأمون: ما أقبح هذا وأشنعه وأعظم القول به. فقلت: قال الله سبحانه: {وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ} فزعم بشر يا أمير المؤمنين إن بني آدم يخلقون الله البنات، ويخبر بذلك عن الله عز وجل وإنه هو قاله وشهد به على نفسه، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

قلت: وقال عز وجل: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ} فزعم بشر يا أمير المؤمنين إن معنى وجعلوا وخلقوا، ولا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله غير هذا فزعم عن الله عز وجل إنه قال وخلقوا لله أنداداً ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال الله عز وجل: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ} وخلقوا له شركاء الجن، لا معنى له عنده ولا عند من يقول بقوله ومن خالفه ولا عند سائر الناس إلا هذا، فزعم بشر أن الله عز وجل أخبر إنهم يخلقون له شركاء الجن، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في قوله إن معنى وجعلوا وخلقوا، وصدق في قوله إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بقوله وقول الناس جميعا. وقوله عز وجل: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ} فزعم بشر يا أمير المؤمنين إن معنى، وجعلوا، وخلقوا لله شركاء، لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله ولا من خالفه ولا عند العرب والعجم وإلا هذا المعنى فزعم أن الله

عز وجل أخبرهم، إنهم خلقوا له شركاء وكذب بشر يا أمير المؤمنين وقال الباطل والزور، ولقد نفى الله تعالى ذلك وأبطله، وأخبر أنه لا يعلم من هذا شيئا وأخبر إن من قال ذلك كافر ضال بقول: (وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول..).

وكما قال : {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} وقال عز وجل: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا} لا معنى له عنده ولا عند من قال بقوله وعند الناس جميعا غير هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وكذب في الأول ، وصدق في الآخر إنه كافر حلال الدم بإجماع الأمة، وقال عز وجل: {أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} فزعم بشر إن معنى أم جعلوا، أم خلقوا، لا معنى له عنده وعند من قال بقوله وعند الناس جميعا غير هذا، وزعم أن من قال هذا كافر حلال الدم، وكذب في قوله الأول وصدق في الآخر إنه حلال الدم كافر بإجماع الأمة، وقال عز وجل: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ...} فزعم بشر إن معنى قوله، وجعلوا، وخلقوا الملائكة، ثم قال: من قال هذا كافر حلال الدم، وكذب في الأول وصدق في الآخر إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، وقال عز وجل: { وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا...} فزعم بشر يا أمير المؤمنين إن معنى تجعلونه وتخلقونه، يعني أن اليهود خلقوا التوراة، ومعنى خلق التوراة خلق كلام الله عز وجل، فزعم أن اليهود خلقت كلام الله تعالى وأنه لا معنى لذلك عنده ولا عند غيره ومن قال بقوله وعند سائر العرب والعجم غير ذلك، ثم قال: من قال هذا فهو كافر خلال الدم، فكذب في الأول، وصدق في الآخر إنه كافر حلال الدم. ثم قال الله عز وجل: {كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} فزعم بشر إن معنى قوله الذين جعلوا القرآن عضين، الذين خلقوا القرآن عضين، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد كذب في قوله، إن المقتسمين خلقوا القرآن، وصدق في قوله، إن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال: حسبك يا عبد العزيز قد أقر بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم وأشهد على نفسه بذلك وقد صدقت في كل ما قلت، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم ما عليه في ذلك وهذا شيء يلزمه في نفسه خاصة ولا يلزم غيره ممن لا يقر بمثل ما أقر به ولا يحكم به على غيره بمثل ما حكم به بشر على نفسه.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إنما قد خاطبت أمير المؤمنين بما قد حصل في يدي، واقر بشر به وأشهد أمير المؤمنين على نفسه، وعلمت أن أمير المؤمنين قد حفظ عليه كلامه، ولولا ذلك ما اجترأت على ذلك، فقال لي المأمون، كنت تقصد بشرا وحده بالكلام والمخاطبة دون سائر الناس، قلت: لم يدعني، جعلت أسأله في خاصة نفسه فيقول: هذا قولي وقول سائر الناس وقول العرب والعجم، فأجبته على حسب كلامه، وصدق أمير المؤمنين هذا يلزم من أقر به دون غيره إلا من قال مثل قوله وأقر بمثل ما أقر به وهذا الذي عنيت بقولي الأول حين قلت: ومن قال بقوله فقال: قد أحسنت يا عبد العزيز الانتزاع.

قال عبد العزيز: ثم أقبل علي المأمون فقال: يا عبد العزيز تكلم في بيان هذا واذكر الجعل والخلق وفرق بينهما واشرح ذلك ليقف عليه من بحضرتنا ويعرفه، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك، ولكن إن رأيت أن تأذن لي فأقول قبل البيان والشرح أشياء في هذا المعنى مما أكسر به قول بشر وأدحض به حجته وأفضح به مذهبه وأبطل به اعتقاده فقال: لا يطول بنا المجلس فقلت: يا أمير المؤمنين إنما أدرسه درساً يا أمير المؤمنين، قال: قل ما تريد، ولا تخاطب بشرا أقبل علي ودعه. قلت: قال الله عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: {لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً} وقال في موضع آخر لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: { وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً} فزعم بشر يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم – لا تخلق مع الله إلها آخر، فمن أقبح قولا من هذا أو أفحش منه. وقال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: { وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} فزعم بشر إن الله قال لنبيه عليه السلام ولا تخلق يدك مغلولة إلى عنقك، فزعم أن الله خلقه وبعثه رسولا، وليس له يد، ثم خاطبه بعد الرسالة فقال: ولا تخلق يدك، والله سبحانه خلقه خلقا سويا، وما أقبح هذا القول وأشنعه وأبين كسره وقال الله عز وجل: { لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً} فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل قال لخلقه: لا تخلقوا دعاء الرسول بينكم، ما أقبح هذا من قول وأدحضه، وقال عز وجل: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} فالله يأمرها بعد ولاته والرضاع له أن تلقيه في اليم ويعدها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين. وبشر يزعم إنه وعدها أن يرده إليها ويخلقه، وهذا مالا يعقله الناس، كيف يخلقه وهو مخلوق، وقال عز وجل : {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} وزعم بشر إنه يريد أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض ويخلقهم وهم

مخلوقون مستضعفون في الأرض هذا مالا تعقله العرب ولا العجم. وقال عز وجل: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} فخاطبه بعد خلقه وبعد فهمه ومعرفته، وزعم بشر أن الله تعالى قال لداود: إنا جعلناك خليفة في الأرض، وهذا مما لو خوطب به داود عليه السلام ما عقله، وقال الله عز وجل مخبراً عن دعاء إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام حين قالا: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} فأخبر أنهما دعيا ربهما وهما مخلوقان، وزعم بشر أنهما دعيا ربهما إن يخلقهما مسلمين كان قد خلقهما، وقال الله عز وجل مخبرا عن دعاء إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً} وقد كانت مكة مخلوقة قبل آدم عليه السلام وقبل إبراهيم، فكيف يدعو إبراهيم بخلقها وهذا مما لا يعقله الناس، وقال عز وجل: {مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ} فأخبر الله أنه ما جعل ذلك كله، وزعم بشر أن الله ما خلق البحيرة ولا السائبة ولا الوصيلة ولا الحام، وإنما خلقهما الكفار من دون الله تعالى ومن قال هذا فقد كفر بالله عز وجل.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال: حسبك يا عبد العزيز فقد ثبتت حجتك في هذه المسألة كثباتها في المسألة الأولى وانكسر قول بشر فيها، وبطل دعواه، فارجع إلى بيان ما قد انتزعت به واشرحه (واذكر) معانيه وما أراد الله به وما هو من الجعل مخلوق؟ وما هو غير مخلوق؟ وبيان الأعلام والشواهد، وما هو مخلوق، وما هو غير مخلوق، وما تتعامل به العرب في لغاتها وما تفرق به بين الجعلين في كلامها، ليسمع من في المجلس ذلك، ويقفوا على مذهب العرب في ذلك وما أراده الله عز وجل بقوله في ذلك.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن جعل في كتاب الله عز وجل يحتمل معنيين عند العرب، معنى خلق، ومعنى صير غير خلق، فلما كان خلق حرفا محكما لا يحتمل معنى غير الخلق، ولم يكن من صناعة العباد لم يتعبد الله به العباد فيقول لهم: اخلقوا أو لا تخلقوا، إذ كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين وكان من فعل الخالق سبحانه وتعالى.

ولما كان جعل على معنى صير لا على – معنى الخلق خاطب الله به العباد بالأمر والنهي فقال: اجعلوا ولا تجعلوا، ولما كان جعل كلمة تحتمل معنيين معنى خلق ومعنى صير لم يدع الله في ذلك استباها على خلقه ولبسا على عباده فيلحد الملحدون في ذلك ويشبهون على خلقه كما فعل بشر وأصحابه حتى جعل على كل كلمة علما ودليلا فرق به بين الجعل الذي يكون على معنى الخلق، وبين الجعل الذي يكون على معنى التصيير، فأما الجعل الذي هو على معنى الخلق فإن الله عز وجل جعله من القول المفصل, انزل القرآن به مفصلا وهو بيان لقوم يفقهون. والقول المفصل يستغني به السامع إذا أخبر (به قبل) أن توصل الكلمة بغيرها من الكلام إذ كانت قائمة

بذاتها تدل على معناها، فمن ذلك قول الله عز وجل: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}.

فسواء عند العرب قال، وجعل، أو قال وخلق، لأنها قد علمت أنه أراد بهذا الجعل الخلق، لأنه أنزل من القول المفصل، وقال عز وجل: {وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً} فعقلت العرب عنه أن معنى هذا وخلق لكم إذ كان قولا مفصلا. وقال تعالى: { وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ}(1)، فعقلت العرب عنه أنه عنى بهذا الجعل الخلق، إذ كان من القول المفصل، وسواء عندها قال جعل أو قال خلق، لأنها قد علمت ما أراده وما عنى. ومثل هذا في القرآن كثيرا جدا، يا أمير المؤمنين، فهذا وما كان على مثاله من القول المفصل الذي يستغني المخاطب به والسامع له بكل كلمة عما بعدها.وأما جعل الذي هو بمعنى التصيير الذي هو غير خلق فإن الله عز وجل أنزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب (به) حتى تصل الكلمة بالكلمة التي بعدها فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصلة لم يصلها بغيرها من الكلام لم يعقل السامع لها ما أراد بها ولم يفهمها ولم يقف على معنى ما عنى بها حتى يصلها (بغيرها).

فمن ذلك قول الله عز وجل: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} فلو قال: إنا جعلناك، ولم يصلها بما بعدها لم يعقل داود عليه السلام ولا أحد ممن سمع هذا الخطاب ما أراد الله به. ولا ما عنى بقوله لأنه خاطبه بهذا القول وهو مخلوق، فلما وصلها بخليفة في الأرض، عقل داود وكل من سمع هذا الخطاب ما أراد الله بقوله وما عنى به، وكذلك حين قال الله عز وجل لأم موسى: {أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} فلو لم يصل جاعلوه بالمرسلين لم تعقل أم موسى ما خاطبها به ولا ما عنى بقوله، إذ كان خلق موسى عليه السلام قد تقدم لرده إليها، فلما وصل الكلمة بالمرسلين عقلت أم موسى ما أراد بخطابها، وكذلك قوله عز وجل: { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً} وقد كان الجبل قبل أن يتجلى له مخلوقا، فوصل الجعل بدكا، ولو لم يصله لم يعقل السامع له ما أراد الله بقوله، وكذلك قوله عز وجل: { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} فلو لم يصل الكلمة وفصلها لم يعقل أحد كل من سمع ذلك ما أراد بدعوتهما، وكذلك قول إبراهيم: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً} فوصله بآمنا، ولم لم يصله ما عقل أحد ممن سمع ذلك ما عنا بدعوته إذ كان بلد مكة مخلوقا قبل ذلك، فلما وصل بآمنا عقل السامع لذلك ما أراد إبراهيم عليه السلام بدعوته، ومثل هذا كثير في القرآن جدا يا أمير المؤمنين.

والذي تتعارفه العرب وتتعامل به في لغاتها وخطابها ومعنى كلامها ومخارج ألفاظها هو الذي جرت به سنة الله عز وجل في كتابه إذ كان إنما أنزل بلسانها واكتتب على تبيانها فخاطبهم الله عز وجل بما عقلوه وعرفوه ولم ينكروه ولم يكونوا يعرفون سواه وهو القول الموصل والمفصل.

فأرجع أنا وبشر يا أمير المؤمنين لما اختلفنا فيه من قول الله عز وجل: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً} إلى سنة الله في كتابه في الجعلين جميعا، وإلى سنة العرب أيضا وما تتعارفه وتتعامل به، فإن كان من القول الموصل فهو كما قلت أنا إن الله جعله قرآنا عربيا، بأن صيره عربيا_ أي_ أنزله بلغه العرب ولسانها، ولم يصيره أعجميا فينزله بلغة العجم، وإن كان من القول المفصل فهو كما قال ولن يجد ذلك أبدا، وإنما دخل الجهل على بشر ومن قال بقوله يا أمير المؤمنين لأنهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتناولوا القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول، وإنما تتكلم بالشيء كما يجري على ألسنتها، فكل كلامهم ينقض بعضه بعضا لا ينتقدون ذلك من أنفسهم، ولا ينتقده عليهم غيرهم لكثرته.

قال عبد العزيز: وسمعت الأصمعي عبد الملك بن قريب، وقد سأله رجل أتدغم الفاء في الياء؟ فتبسم الأصمعي وقبض على يدي وكان لي صديقاً، فقال لي أما تسمع، ثم أقبل على السائل وهو يتعجب من مسألته وقوله فقال له: تدغم الفاء في الياء في لغة إخواننا بني الأنباء- بني ساسان- يقولون: كيصبحت، فيدغمون الفاء في الياء، أما العرب فلا تعرف هذا.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسم المأمون من قول الأصمعي ووضع يده على فيه. قلت: وهذا الذي يأتينا به بشر يا أمير المؤمنين من لغة أصحابنا بني الأنباء_ بني ساسان.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك يذمنا ويكفرنا ويقول إنا نحرف القرآن عن مواضعه، وهو قد وضع قدر القرآن وشأنه وسماه بأنقص اسم ووصفه بأخس صفة واقلها ولقد خالف بقوله كتاب الله عز وجل وحرفه عن مواضعه لأن الله عز وجل سماه كتابا عزيزا، وسماه كريما، وأخبر عنه إنه تام كامل بقوله: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}. وسماه عبد العزيز موصلاً ومفصلاً، فخالف كتاب الله تعالى وصفته وذم ما مدح الله لأن الموصل عند العرب والعجم وسائر الخلق دون التام الصحيح الكامل، إذ كان الموصل عندهم جميعا الملفق الذي قد وصل بعضه ببعض ولف بعضه ببعض. فإذا أراد الرجل من العرب وغيرهم أن يضع من قدر الشيء قال: هو موصل وليس هو صحيح، فقد سمى كتاب الله اسما ناقصا وقال فيه إثماً وبهتاناً عظيماً، ولو قلت أنا هذا وما هو دونه لكان قد خطب وتكلم واستغاث بأمير المؤمنين وأخرجنا

عن الإسلام وهو يقول العظام ويحيل على العرب، وأمير المؤمنين أطال الله بقاه يحلم عنه بفضله وهو يتقوى بحلمه علينا.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: وهذا أيضا من جهلك بما في كتاب الله عز وجل، تذمني وتزعم إني سميت كتاب الله اسماً ناقصاً، وتغري بي أمير المؤمنين، وهو أعلم بما قلت وتكلمت مني ومنك وما قلت إلا ما قال الله عز وجل، وما نسبت إلا ما نسبه إليه وارتضاه له، وهو عند العرب الفصحاء كلام جيد صحيح مرتضى، وأنت تزعم أن كلام الله هو من ذاته مخلوق وتشبهه بكلام المخلوقين من الشعر وقول الزور وغيره، وتنكر عل أن سميته بما سماه الله تعالى به.

فقال بشر: وأين سماه الله موصلا ومفصلا. قلت: في كتابه من حيث لا تفهمه ولا تعلمه فقال: هاته.

قال عبد العزيز: فقلت: قال الله عز وجل: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} فهذه تسمية الله عز وجل لكلامه ووصفه له بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير وهو الذي اختاره لنفسه ولكلامه وارتضاه له، وقال: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ} فامتدحهم بصلة ما وصل وأثنى عليهم في غير آية من كتابه ووعدهم على ذلك أحسن عدة وهي الجنة، وقال عز وجل: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} فهذه مدحة الله وهذا ثناء الله، وهذا جزاء الله لمن وصل ما وصل. ولقد ذم الله عز وجل الذين قطعوا ما أمر الله بصلته وذمهم ولعنهم وجعلهم من الخاسرين فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} فهذا ذم الله لمن قطع ما وصل الله وما أمر بصلته وهو وعيد الله لهم بالنار.

ثم ذكر الله ما في القرآن من المفصل فقال عز وجل: {الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} وقال عز وجل: {حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} وقال عز وجل: {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} وقال: {قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} فهذا قول الله عز وجل وهذه أخبار الله وهذه تسمية الله وهذه نسبة الله عز وجل لكلامه وهذا اختيار الله عز وجل لكتابه ولكلامه وهذا ما ارتضاه الله ورضي به من قائله.

قال عبد العزيز: فأقبلت على أمير المؤمنين فقلت: يا أمير المؤمنين يزعم بشر أني سميت كتاب الله اسما ناقصا مذموما وإني ذهبت بقدره وسميته بما لم يسمه الله عز وجل، وإني أتيت بذلك إثما وبهتانا عظيما ويدعي علي الدعاوي وأنا حاضر معه، وإنما ينبغي له إذا تكلمت بشي

يطالبني بإقامة الحجة والدليل على كل لفظة لفظت بها، فإن لم أفعل ذلك فليتكلم بما شاء ولقد أكذبه الله عز وجل في كتابه وذم قوله وأبطله بما أنزل الله في كتابه من ذكر الموصل والمفصل، وما قصد بشر يا أمير المؤمنين بقوله هذا إلا إلى تنقيص العرب كلها وذم كلامها ولغاتها، وما تتعامل به في خطابها، إذ كانت تسمي كلام الله تعالى موصلا ومفصلا، وتسمي كلامها مفصلا وموصلا، وتختار هذه الأسماء لكلامها وترتضيها، وهي عندنا جميلة حسنة صحيحة المعنى لا خلاف بينهم.

قال بشر: ما تعرف العرب من هذا شيئا، وما أنت أعرف بلغة العرب مني، وكل شيء نسبته إلى العرب فهو مخالف لقولها ولغتها ومذهبها في كلامها.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك أنت بيت اللغة وأعلم خلق الله بلغة العرب وكلامها وما تتعارفه وتتعامل به في خطابها وأنت الحاكم بيننا فإن أكن تزيدت على العرب منذ اليوم في ما حكيته عن العرب أو نسبته إليهم أو عدلت عن سنتهم أو حدث عنهم وعن مذهبهم وكلامهم وخطابهم ومخارج ألفاظهم فقد استحققت العقوبة من وجهين، أحدهما جرأتي على أمير المؤمنين أطال الله بقاه وقولي بين يديه، وحكايتي عن قومه ما يعلم خلافه مع علمي إنه أعلم خلق الله بذلك. والأخرى كذبي على سائر العرب وادعائي الباطل عليهم وأمير المؤمنين يشهد علي بكذبي وتزييدي وهو في حل وسعة من دمي ومن كل ما يعاقبني به، إن كان قد وقف على ذلك مني. وإن يكون بشر يا أمير المؤمنين قد تزيد في القول، وادعى علي الباطل كان أمير المؤمنين أعلا عينا بالرد عليه ومنعه من قول الزور والكذب.

فقال المأمون: ما قلت يا عبد العزيز منذ اليوم إلا ما تقوله العرب وما تتعارفه وتتعامل به، وما خرجت عن مذهبها، ولو عدلت عن ذلك ما سوغت لك الكذب عليها.

قال عبد العزيز: فقلت: الله أكبر الله أكبر كذب بشر والله بشهادة أمير المؤمنين أطال الله بقاه_ لي عليه_ أفلحت ورب الكعبة أفلحت ورب الكعبة وظهر أمر الله وهم كارهون.

قال عبد العزيز: فقال بشر وعلى الخلق أن يتعلموا لغة العرب وما تعبدنا الله بهذا، كل إنسان يقول بلغته وبقدر معرفته، وما كلف الله الخلق فوق طاقتهم، ولا طالب أولاد العجم بلغة العرب.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: وكلف الله الخلق أن يتكلموا بما لا يعلمون حيث ادعيت العلم وتكلمت في القرآن العظيم وتأولت كتاب الله على غير ما عناه الله، ودعوت الخلق إلى إتباعك، وكفرت من خالفك وأبحت دمه، والله قد نهى الخلق جميعا فلم يحاش نبيا مرسلا ولا صديقا ولا

عبدا مؤمنا أن يقولوا مالا يعلمون، فقال عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}. وقال عز وجل لنوح عليه السلام: {فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} فقال نوح معتذرا إلى ربه معترفا بخطيئته مستغفرا منها: { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ} وقال تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ} يذمهم الله بهذا الخبر وذم فعلهم وطريقهم التي سلكوا، فقال بشر: أخطب حتى تشبع من الكلام ثم أخاطبك. قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين إن بشرا قد تحير في ضلالته، وعمي عن رشده، وبانت فضيحة قوله ومذهبه، وانقطع فما يأتي بحجة.

فقال بشر: ما انقطعت ولا تحيرت ولا بانت فضيحة مذهبي، وأنا على بينة من أمري، وما دعوت الناس ولا أدعوهم إلا إلى سبيل الرشاد ولا أنا ولا هم إلا على سداد وكل من خالفني فكافر حلال الدم.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين ما كان بقي على بشر غير هذا قد قال كما قال فرعون، ولجأ إلى سبيل فرعون فاتبعها وإلى سبيله فسلكها.

فتبسم المأمون حتى وضع يده على فيه ثم قال: كيف قلت يا عبد العزيز؟ فأعدت عليه القول فازداد تبسمه ثم قال: كيف قال بشر ما قال فرعون ولجأ إلى سبيل فرعون؟ فقلت له: لما قرأت على بشر القرآن وأوضحت السبيل والبرهان ودللته على طريق النجاة، ونطقت بالحق الذي أنطقني الله به قال بشر إني لعلى بينة من ربي قال هو ما دعوت الناس إلا إلى سبيل الرشاد، وكذلك قال فرعون حين أنطق الله من وفقه لقول الحق قال عز وجل: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا} قلت: قال هذا المؤمن الحق الذي أنطق الله به لسانه وسدد به قوله وسمعه فرعون وقومه قال فرعون لقومه: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} وكذلك بشر يا أمير المؤمنين حين سمعني أقول الحق وفقني الله إليه وأنطق به لساني، فقال: إني لعلى بينة من ربي وما دعوت الناس إلا إلى سبيل الرشاد فأجاب بمثل ما أجاب به فرعون عند سماع الحق واتبع سبيله وما عدل عنها

فبشر مرة يتبع سبيل الشيطان ويأمر بما أمر به الشيطان وقد قال الله عز وجل: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} ومرة يتبع سبيل اليهود في تحريف القرآن عن مواضعه، وقد قال الله عز وجل: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} إلى قوله: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ} وقال: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ} ومثل هذا كثير، ومرة يتبع سبيل الكفار في التسوية بين الناس وبين خلقه في خلق الأشياء، ومرة يتبع سبيل عبدة الأصنام في الحيدة عن الجواب وقد قال الله عز وجل: {وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} ومرة يتبع سبيل فرعون والقول بمثل قوله وقد قال الله عز وجل: {وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} وقال عز وجل: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} وقال عز وجل: {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءكم إنما يتكلم ويخطب لينسي خصمه حجته ويشغله بغيرها، ولولا بسط أمير المؤمنين إياه لم يقدر يدير لسانه في فمه ولكنت ظاهرا عليه، ثم أقبل بشر علي وقال: لو خطبت إلى غد ما تركت مطالبتك بما قلت فدع عنك الهذيان وأقبل علي. قال عبد العزيز: فقلت له: تكلم بما شئت حتى أجيبك. فقال بشر: تعبد الله الخلق أن يعرفوا الموصل والمفصل وما يضر الخلق أن لا يعرفوا ذلك ولا يتعلمونه.

فقال له المأمون: قد رجعنا إلى الكلام الأول.

فقال بشر: أدهشني بكلامه وخطبه عن تمام الكلام في هذا وهو يتوهم أنه كسر قولي بهذا المفصل والموصل الذي لا يحتاج إلى معرفته/ ولا يطالب أحد به.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر بل قد تعبد الله الخلق أن يعرفوا ذلك ويتعلمونه لئلا يصلوا ما فصل الله ويفصلوا ما وصل الله عز وجل.

قال : ما الحجة في ذلك والدليل على صدق قولك.

قال عبد العزيز: فقلت له أما سمعت ما قرأت عليك من كتاب الله وما تلوت عليك من الآيات المحكمات فيمن وصل ما أمر الله به أن يوصل ومن قطع ما أمر الله به أن يوصل وما وعد الله هؤلاء من حسنى وعقبى الدار، وما توعد الله به هؤلاء من اللعنة والعذاب وسوء الدار.

فقال بشر: دع ذكر ما مضى فمالك فيه حجة واحتج الساعة بشيء أفهمه.

قال عبد العزيز: فقلت له صدقت أنك ما فهمت ما مضى ولو فهمت ما قلت ما قلت، وأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين إن في بعض ما مضى لكفاية وبلاغ ولكن بشر

يزعم أنه لم يفهم شيئا مما مضى وأنا أتكلم في ذكر المفصل والموصل من القرآن وأحتج للعرب في صحة لغاتها ومذاهبها في كلامها وخطابها.

قال عبد العزيز فقال المأمون: إن كان بشر لم يفهم ما مضى فكذلك لا يفهم إعادة ما يأتي فدع إعادة شيء قد مضى وظهرت لك الحجة فيه فإن هذا وقت الصلاة.

فقلت يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تأذن لي أن أتكلم بشيء لم أتكلم به في هذا المعنى أقيم به الحجة على بشر وأرجو أن يستحسنه أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من غير إطالة الكلام. فقال: تكلم وأوجز.قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر فقلت: زعمت يا بشر إن الله لم يتعبد الخلق بمعرفة الموصل والمفصل فمن زاد فيه شيئا أو نقص منه كان كافراً. قال بشر: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين وهو يدعيه علي.

فقلت له: اخبرني عمن قال إن الله عز وجل لم يتعبد الخلق بمعرفة شيء، من هذا أو غيره أو زاد فيه أو نقصه كان كافراً، أيكون صادقا أو كاذبا؟ فقال: كاذبا وإنما أقول كل شيء إذا زيد فيه أو نقص منه أو غير عما هو عليه كان فاعل ذلك/ كافرا لأن الله تعبد الخلق بمعرفته وعلمه.

فقلت له: قد وافقتني وأجبت نفسك عني وأقررت بما أنكرت.

فقال بشر: دع الكلام والتشبيه عنك وأقم الشاهد والدليل على ما تقول قال عبد العزيز فقلت له: قال الله عز وجل: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فأخبر الله عز وجل أنه لا إله إلا هو وشهد بذلك لنفسه وشهدت له الملائكة وأولو العلم بمثل ذلك فلو قال رجل شهد الله أنه لا إله وقطع الكلام والصلة عامداً كان كافراً حلال الدم لأنه أعظم على الله عز وجل الفرية وأبطل الربوبية وجحد أن يكون الله تعالى الها واستشهد ملائكته وأولو العلم على قوله، فإذا وصل الكلمة كما وصلها الله عز وجل فقال: شهد الله أنه لا إله هو والملائكة وأولو العلم كان صادقا وكان قد قال ما قال الله عز وجل وشهد به لنفسه وشهدت به الملائكة وأولو العلم وكذلك قوله تعالى: {اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} وكذلك كل ما في القرآن من التهليل فعلى هذا المعنى من فصله من صلته وزاد فيه أو نقص منه كان كافراً، وقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} لو أن رجلا قال: إن الله لا يستحيي وقطع الكلام عامداً كان كافرا لأنه زعم أن الله لا يستحيي، ومن قال هذا فقد أعظم الفرية إذ أخبر عن الله أنه أخبر عن نفسه أنه لا يستحيي فقد كفر وحل دمه بقوله هذا وكذلك قوله في سورة الأحزاب: {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} فلو قال رجل: والله لا يستحيي وقطع الصلة عامدا كان كافرا حتى يصل ما وصل الله في الحرفين فيقول في الأول أن يضرب

مثلا ويقول في الآخر من الحق فيكون قد وصل ما وصل الله ولم يقطعه وإن لم يصله كان كافرا حلال الدم، وقال الله عز وجل: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ} فلو قال رجل: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها وقطع الصلة عامدا كان كافرا حلال الدم لأنه زعم أن الله لا يعلم الغيب، ومن زعم هذا فقد رد خبر الله عز وجل ورد قول الله عز وجل بشهادته لنفسه بعلم الغيب بقوله: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} وقوله عز وجل: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ} وقوله: {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} فمن قال إن الله لا يعلم الغيب فقد كفر وحل دمه، فإذا وصل ما وصل الله عز وجل ولم يقطعه فقال: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو كان صادقا وكان قد قال ما قال الله عز وجل ووصل ما وصل الله عز وجل ومثل هذا في القرآن كثير.

قال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، قال عبد العزيز فقلت لبشر: استمع لما في مسألتك. فقال بشر: هاته، قال عبد العزيز وأما المفصل الذي لا يجوز صلته فقول الله عز وجل: {لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ} هاهنا تم الكلام ثم يبتدي القاري فيقول: {وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فلو قال رجل للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله قطع الكلام عامدا كان كافرا حلال الدم لأنه زعم أن لله مثل السوء وشبهه جل ذكره بالذين لا يؤمنون بالآخرة وأدخله معهم في المثل السوء، فإذا فصل الكلام كما فصله الله ولم يصله بما لم يصله الله به فقال: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء وقطع الكلام كان صادقاً وكان قد وقف على تمام الكلام وفصل ما فصل الله عز وجل ولم يصل ما فصل الله قال الله عز وجل: {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى} هاهنا تم الكلام ثم يبتدي القاري فيقرأ: {وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا} فلو قال رجل: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله وقطع عامدا كان كافرا حلال الدم لأنه قد أعظم الفرية على الله عز وجل وزعم أن الله قد أخبر أن كلمته سفلى مع كلمة الذين كفروا فشبه الله تعالى بالذين كفروا فإذا فصل الكلام من الصلة فقال وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ووقف على ذلك وقطع الصلة كان صادقا وكان فصل ما قد فصل الله عز وجل.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز وقد أبلغت فلا تحتاج إلى زيادة، ثم أقبل على بشر فقال: يا بشر هل عندك شيء تحتاج تسأل عنه عبد العزيز أو تحتج به عليه فقد ظهرت حجته ووضح قوله عندنا. قال بشر: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك هذا يريد نص التنزيل بكل شيء يتكلم به أو يلفظ به وليس كل ما يتكلم به الناس ويحتجون به يجدونه في نص التنزيل وإنما يجدونه في التأويل وهذا لا يقبل التأويل ويبطل التفسير حتى

كأنه كان يشاهد التنزيل وهذا ما لا أسوغه أنا للمناظرين ولا أطيقه للمتكلمين إذ كان الناس لا يجدون علم ما يختلفون فيه ويتنازعون من أمر دينهم في كتاب الله عز وجل بنص التنزيل ولو كان هذا كما يقول عبد العزيز لبطل التفسير كله وبقي الناس في حيرة من أمر دينهم والناس جميعا يوافقوني على قولي ويخالفون عبد العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك كل ما يتكلم به الناس من علم دينهم وما يختلفون فيه ويتنازعون فيه فهو موجود في القرآن وفي غيره من كتبه لقوله: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} وقوله: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ} فليس من شيء يحتاج إليه يا أمير المؤمنين إلا وهو موجود في القرآن عقله من عقله وجهله من جهله.

قال عبد العزيز: فجثا محمد بن الجهم على ركبتيه وقال يا عبد العزيز زعمت أن كل شيء يتكلم به الناس ويحتاجون إلى معرفته موجود في كتاب الله بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير فأوجدنا أن هذا الحصير مخلوق أو غير مخلوق في كتاب الله تعالى بنص التنزيل ووضع يده على حصير مرمي/ كان تحتنا مبسوطاً في الإيوان فقلت له: نعم علي أن أوجدك ذلك. قال عبد العزيز فأقبلت عليه فقلت له: أخبرني عن هذا الحصير أليس هو من سعف النخل وجلود الأنعام؟ قال: بلى. قلت: فهل فيه شيء غير هذا؟ قال: لا. فقلت له: هل هاهنا شيء غير هذا قال: لا. فقلت له بل هاهنا شيء صار به حصيرا يجلس عليه. قال وما هو؟ قلت: الإنسان الذي صنعه وألفه وأحكمه قال: نعم.

قال عبد العزيز: فقلت له قال الله عز وجل وقد ذكر الأنعام فقال: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ} وأما السعف فإن الله ذكره فقال: {أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ} وقال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ} فقد كمل خلق الحصير بنص القرآن بلا تأويل ولا تفسير، فهل عندك مثل هذا في خلق القرآن تذكره وتحتج به وإلا فقد بطل ما تدعونه في خلقه وصح ولم يزل صحيحا أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق من كل جهة. قال فصاح المأمون: يا محمد بن الجهم مالك وللكلام خل بين الرجل وصاحبه حتى يكلمه وأقبل على بشر فقال: يا بشر هل عندك شيء تناظر به عبد العزيز قبل أن نصرفه ونقوم فقد طال المجلس وصليت الظهر. فقال بشر: يا أمير المؤمنين عندي أشياء كثيرة إلا أنه يقول بنص التنزيل وأنا أقول بالنظر والقياس فليدع مطالبتي بنص التنزيل ويناظرني بغيره فإن لم يدع قوله ويرجع عنه ويقول بقولي ويقر بخلق القرآن الساعة فدمي حلال.

فقال المأمون: لهذا مجلس تناظرون فيه. قال عبد العزيز فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إن رأيت أن تأذن لي فأناظره كما سأل على جهة النظر والقياس وأدع مطالبته بالقرآن ونص التنزيل ويكون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه الشاهد علينا والمحتفظ لكلامنا فإن أقام بشر علي الحجة كما زعم وأقررت بشيء مما قال ورجعت عن شي مما قلت/ فدمي حلال كما قال بشر ,إن ثبتت الحجة عليه من القياس والنظر كما ثبتت عليه من القرآن والسنة وشهد عليه أمير المؤمنين بذلك فقد حل دمه بما شرط على نفسه.

قال عبد العزيز: فقال المأمون أنا الشاهد عليكما والحاكم بينكما فأوجزا واقتصرا ولا تطيلا فيخرج وقت الصلاة. قال عبد العزيز لبشر: أتسألني أم أسألك؟ فقال: سل أنت فطمع في هو وجميع أصحابه وتوهموا أني إذا خرجت عن التنزيل لم أحسن أن أتكلم بشيء غيره. قال عبد العزيز فقلت لشر: تقول إن كلام الله مخلوق. فقال: إن القرآن مخلوق، قال عبد العزيز فقلت له يلزمك واحدة من ثلاث لا بد أن تقول أن الله عز وجل خلق القرآن وهو عندي أنا كلامه في نفسه ، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائما بذاته ونفسه فقل ما عندك.

قال بشر: أقول إنه مخلوق وإنه خلقه كما خلق الأشياء كلها. قال عبد العزيز فقلت: يا أمير المؤمنين تركنا القرآن والسنن والأخبار عند هربه منها وناظرناه بالقياس والكلام لما ادعاه وذكر أنه يقيم الحجة علي به وإني أقر معه بخلق القرآن، فقد رجع بشر إلى الحيدة عن الجواب وانقطع الكلام فإن كان يريد مناظرتي على أنه يجيبني عما أسأله عنه وإلا فأمير المؤمنين أعلا عينا في ما يراه في صرفي فإنما يريد بشر أن يقع معه من لا يفهم فيحيد عن دينه ويحتج عليه بما لا يعقله فتظهر حجته عليه فيبيح بذلك دمه.

قال فأقبل عليه المأمون فقال: أجب عبد العزيز عما سألك فقد ترك قوله ومذهبه وناظرك على مذهبك وما ادعيت أنك تحسنه وتقيم الحجة به عليه.

فقال بشر: قد أجبته ولكنه يتعنت. فقال له المأمون: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقول واحدة من ثلاث.

قال : هذا بشر من مطالبته بالتنزيل ما عندي غير ما أجبت به.

قال عبد العزيز: فأقبل علي المأمون فقال يا عبد العزيز تكلم أنت في شرح هذه المسألة وبيانها ودع بشرا فقد انقطع عن الجواب من كل جهة.

فقلت يا أمير المؤمنين سألته عن كلام الله عز وجل أمخلوق هو قال: نعم. فقلت له ما صح يلزمك في هذا القول وهو واحدة من ثلاث لابد منها أن تقول إن الله خلق كلامه في نفسه، أو

خلقه في غيره، أو خلقه قائما بذاته. فإن قال إن الله خلق كلامه في نفسه فهذا محال لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر معقول لأن الله عز وجل لا يكون مكانا للحوادث ولا يكون فيه شيء مخلوق ولا يكون ناقصاً فيزيد فيه شيء مخلوق، ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء إذا خلقه تعالى الله عن ذلك وجل وتعاظم. وإن قائل: خلقه في غيره فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله لا يقدر أن يفرق بينهما فيجعل الشعر كلاما لله تعالى ويجعل قول الكفر والفحص وكل قول ذمه الله وذم قائله كلاما لله عز وجل وهذا محال لا يجد السبيل إليه ولا إلى القول به لظهور الشناعة والفضيحة على قائله تعالى الله عنه ذلك علوا كبيراً.

وإن قال: خلقه قائما بنفسه وذاته وهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد إلى القول به سبيلا في قياس ولا نظر ولا معقول لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد ولا العلم إلا من عالم ولا القدرة إلا من قادر ولا رئي ولا يرى كلام قط قائم نفسه يتكلم بذاته وهذا مالا يعقل ولا يعرف ولا يثبت في نظر ولا قياس ولا غير ذلك فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقا ثبت أنه صفة لله عز وجل وصفات الله عز وجل كلها غير مخلوقة فبطل قول بشر يا أمير المؤمنين من جهة النظر كما بطل من جهة القرآن والتنزيل.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز فقال بشر: تسأل عن غير هذه المسألة فلعله يخرج بيننا شيء يسمع فقلت نعم أنا أدع هذه المسألة وأسأل عن غيرها/ فقال: سل يا عبد العزيز.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: تقول إن الله كان ولا شيء، وكان ولما يفعل شيئا ولما يخلق شيئا. قال: بلى. فقلت له: بأي شيء حدثت الأشياء بعد إذ لم تكن شيئا أهي أحدثت أنفسها أم الله أحدثها؟ قال: الله أحدثها. فقلت له: فبأي شي أحدثها؟ قال: أحدثها بقدرته التي لم تزل. قلت له: صدقت أحدثها بقدرته أفليس تقول إنه لم يزل قادرا؟ قال: بلى. قلت له: فتقول إنه لم يزل يفعل؟ قال: لا أقول هذا. قلت له: فلا بد من أن يلزمك أن تقول إنه خلق بالفعل الذي كان عن القدرة وليس الفعل لأن القدرة صفة الله ولا يقال لصفة هي الله ولا هي غير الله.

قال بشر: ويلزمك أيضا أن تقول إن الله لم يزل يفعل ويخلق وإذا قلت ذلك فقد أثبت أن المخلوق لم يزل مع الله سبحانه وتعالى.

قال عبد العزيز فقلت له: ليس لك أن تحكم علي وتلزمني مالا يلزمني وتحكي عني ما لم أقل إذ لم أقل إنه لم يزل فاعلا يفعل فيلزمني مثل ما قلت وإنما قلت إنه لم يزل الفاعل سيفعل ولم يزل الخالق سيخلق لأنه الفعل صفة لله عز وجل يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع.

قال بشر: أنا أقول إنه أحدث الأشياء بقدرته فقل أنت ما شئت.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين قد أقر بشر أن الله كان ولا شيء معه وأنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن الأشياء بقدرته، وقلت أنا إنه أحدثها بأمره وقوله عز وجل عن قدرته فلم يخل يا أمير المؤمنين أن يكون أول خلق خلقه الله بقوله قاله أو بإرادة أرادها أو بقدرة قدرها فأي ذلك فقد ثبت إن هاهنا إرادة ومريد وقول وقائل ومقال وقدرة وقادر ومقدور عليه وذلك كله متقدم قبل الخلق وما كان قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء وكسرت والله يا أمير المؤمنين قول بشر ودحضت حجته إقراره بلسانه فقد كسرت قوله بالقرآن والسنة واللغة العربية، والنظر والمعقول، ولم يبق إلا القياس، وأنا أكسره بالقياس إن شاء الله تعالى.

قال عبد العزيز: وكان المأمون قد جلس منا مقعد الحاكم من الخصمين. فقال: هاته يا عبد العزيز وأوجز، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو كان بشر غلامان، وأنا لا أجد علمهما من أحد من الناس إلا من بشر، يقال لأحدهما خالد، وللآخر يزيد، وكان بشر غائبا عني فكتب إلي ثمانية عشر كتابا يقول في كل كتاب منها، أدفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب.

وكتب إلي أربعة وخمسين كتابا (يقول في كل كتاب) أدفع إلى يزيد، ولم يقل: يزيد غلامي، هذا الكتاب، ثم كتب إلي كتابا جمعهما فيه فقال: أدفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وإلى يزيد ولم يقل، يزيد غلامي.

ثم قدم بشر من سفره، فقال: أليس تعلم أن يزيد هذا غلامي؟ فقلت له: قد كتبت إلي أربعة وخمسين كتابا (تقول في كل كتاب منها) أدفع هذا الكتاب إلى يزيد ولم تقل غلامي، ولم أسمعك تقول إنه أحد غلاميك، وأنا لا أجد علمه عن أحد غيرك. وكتبت إلي ثمانية عشر كتابا_ تقول في كل واحد منها_ أدفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب فعلمت إنه غلامك، ثم كتبت إلي كتابا جمعتهما فيه فقلت: أدفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وإلى يزيد ولم تقل غلامي، فمن أين أعلم أن يزيدا غلامك وأنت لم تقل بي قبل هذا الوقت إنه غلامك وليس أعلم خبرهما من غيرك.

فقال بشر فرطت، فحلفت أنا إن بشرا فرط، وحلف بشر إني أنا فرطت حيث لم أعلم إن يزيدا غلامه من كتبه، فأينا المفرط يا أمير المؤمنين. فقال: بشر المفرط، فقال بشر أي شي هذا مما نحن فيه.

قال عبد العزيز: إن الله أخبر في كتابه عن خلق الإنسان في ثمانية عشر موضعا، ما ذكره في موضع منها إلا أخبر عن خلقه. وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا من كتابه فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ولا أشار إليه بشي من صفات الخلق، ثم جمع بين القرآن والإنسان في موضع واحد وأخبر عن خلق الإنسان، ونفى الخلق عن القرآن. فقال عز وجل: {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ

الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ} ففرق بين القرآن وبين الإنسان، فزعم بُشر يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل فرط في الكتاب، وكان يجب عليه أن يخبر عن خلق القرآن، وقال الله عز وجل {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} فهذا كسر قول بشر في القياس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، ثم أمر لي بعشرة ألاف درهم، فحملت بين يدي وانصرفت من مجلسه على أحسن حال وأجملها، قد أعز الله دين الإسلام وعز أهله وأذل الكفر وأهله فلله الحمد والشكر على نعمه كلها وعلى مننه وتوفيقه وتسديده.

قال عبد العزيز: فسر المسلمون جميعا بما وهبهم الله من إظهار الحق وقمع الباطل، وانكشف عن قلوبهم ما كان قد اكتنفها من الغم والهم والحزن وجعل الناس يجيئون إلي أفواجا حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفا على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا، فقالوا: لا بد أن تملى علينا ما جرى لنعرفه ونتعلمه، فتهيبت ذلك، وتخوفت سوء العاقبة، فلما ألحوا علي قلت: أنا أذكر بعض ما جرى مما لا يكون علي حجة في ذكره فرضوا بذلك، فأملين عليهم أوراقا يسيرة مقدار عشر أوراق مختصرة مما جرى لأقطعهم بها عني وعن ملازمة بابي، ولم يتهيأ لي شرح هذا كله لما تخوفت على نفسي مما يلحقني بعضه، وأنا أذكر ما لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب تلك الأوراق التي كتبها الناس عني في كتاب مفرد بعد هذا إن شاء الله تعالى "آخر كتاب الحيدة" .

قال عبد العزيز الكناني: وكان خلق ظهري وأنا في مجلس أمير المؤمنين المأمون أناظر بشرا المريسي على ما سأذكره في هذا الكتاب رجل ممن يعرف بالكلام والنظر، فجعل كلما سكت بشر وانقطع يحرضه على الكلام، وإذا أردت أنا أن أتكلم لا يزال يهذي خلفي ويقرب رأسه من أذني ليسمعني ويدهشني ويقطعني بذلك عن حجتي، فشكوت إلى أمير المؤمنين ذلك فصاح به وباعده عني، فلما قلت لبشر: ما من شيء كان أو هو كائن مما يحتاج الناس إلى معرفته وعلمه إلا وقد ذكره الله عز وجل في كتابه عقله من عقله، وجهله من جهله، فإذا ذلك الرجل يضرب يده على فخذه ويقول: يا سبحان الله تزعم أن كل ما هو كائن مما يحتاج إليه قد ذكره الله ما أعظم هذا وكيف يعلم ما هو كائن فيذكره؟

قال عبد العزيز: فالتفت إليه فقلت له أنت جهمي قدري أيضا وأنت تهذي دائما، ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك إن هذا الذي شكوت إليك أذاه منذ اليوم. هو جهمي قدري قد جمع الأمرين من جهتين، ينكر أن يكون الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، فقال

المأمون: هذا قوله، فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أن يأذن لي حتى أكذبه وأكسر قوله وأدحض حجته وأبطل مذهبه بنص التنزيل الساعة.

فقال المأمون: لهذا وقت غير هذا ومجلس غير هذا تتكلم معه ومع غيره في القدر خاصة.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس أطول إنما أحتج عليه بآية واحدة. فقال المأمون: قل ما تريد.

قال عبد العزيز فقلت له: أتنكر أن الله يعلم ما يكون فبل أن يكون. قال: نعم. أنا أنكر هذا. فقلت: والله يا أمير المؤمنين لقد علم الله ما لم يكن، ولا يكون أن لو كان كيف كان يكون. فصاح الرجل ما أجراك على الكذب الحمد لله الذي أخذك بلسانك.

فقال لي المأمون: أعد هذا الكلام يا عبد العزيز. فقلت له: نعم والله لقد علم الله ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف كان يكون.

فقال لي المأمون: يا عبد العزيز هذا شيء تقوله من نفسك أو شيء تحكيه عن غيرك، فقلت له: هذا شيء أخبرنا به في كتابه الذي أنزله على نبيه- صلى الله عليه وسلم -، فقال لي المأمون: وأين ذلك من كتاب الله عز وجل.

قال عبد العزيز فقلت له: قال الله عز وجل: {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} في قولهم هذا، وهذا ما لم يكن ولا يكون لأنهم لا يردون لا هم ولا غيرهم، فأخبر عز وجل بعلمه السابق فيهم أن لو ردوا ما كانوا فاعلين، ولن يردوا أبدا، فهذا ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون.

فقال لي المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، وما قلت في يومك هذا أحسن ولا أدق من هذا. فقلت: قد أكذبت والله أهل هذه المقالة وكسرت قولهم ودحضت حجتهم وأبطلت مذهبهم بنص التنزيل بلا تأويل ولا تفسير والحمد لله رب العالمين.

2- نص مناظرة الكناني مع المريسي (من كتاب الإبانة):

جاء في كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (479/5):" أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين علي بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن علي بن البسري، قال: أخبرنا أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة رضي الله عنه إجازة، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال: حدثنا أبو أيوب عبد الوهاب بن عمرو النزلي، قال: حدثني أبو القاسم العطاف بن مسلم، قال: حدثني الحسين بن

بشر، ودبيس الصائغ، ومحمد بن فرقد، قالوا: قال لنا عبد العزيز بن يحيى المكي الكناني: أرسل لي أمير المؤمنين المأمون فأحضرني، وأحضر بشر بن غياث المريسي فدخلنا عليه، فلما جلسنا بين يديه قال: إن الناس قد أحبوا أن تجتمعا وتتناظرا، فأردت أن يكون ذلك بحضرتي فأصلا فيما بينكما أصلا إن اختلفتما في فرع رجعتما إلى الأصل، فإن انقضي فيما بينكما أمره إلا كانت لكما عودة. قال عبد العزيز:" قلت: يا أمير المؤمنين إني رجل لم يسمع أمير المؤمنين كلامي قبل هذا اليوم، وقد سمع كلام بشر ودار في مسامعه، فصار دقيق كلامه جليلا عند أمير المؤمنين وفي بعض كلامي دقة، فإن رأى أمير المؤمنين أن أتكلم فأقدم من كلامي شيئا يتبين به الكلمة التي تدق على سامعها ولا تغبي إذا طرت على أهل المجلس قال: ونزهته أن أواجهه بها ", فقال: قل يا عبد العزيز. قال: " قلت: يا أمير المؤمنين إنه من ألحد في كتاب الله جاحدا أو زائدا، لم يناظر بالتأويل ولا بالتفسير ولا بالحديث ", قال: فبم يناظر؟ قلت له: بالتنزيل. قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم" كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ" (الرعد:30). وقال: " إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ " (الأنبياء:45)، وقال لليهود حين ادعت تحريم أشياء لم يحرمها: " قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "(آل عمران:93)، وإنما يكون التأويل والتفسير لمن قرأ التنزيل ، فأما من ألحد في تنزيل القرآن وخالفه ، لم يناظر بتأويله ولا بالحديث. قال عبد العزيز: فقال المأمون: أو يخالفك في التنزيل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، يخالفني في التنزيل، أو ليتركن قوله, قال: فقال: سله. قلت له: يا بشر ما حجتك بأن القرآن مخلوق؟ انظر أحد سهم في كنانتك فارمني به، ولا تكن بك حاجة إلى معاودة، فقال: قوله: " خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ " (الزمر : 62). قال: فقلت للمأمون: يا أمير المؤمنين من أخذ بمكيال فعليه أن يعطي به, فقال لي: ذاك يلزمه. فقال له: أخبرني عن قوله: خالق كل شيء، هل بقي شيء لم يأت عليه هذا الخبر؟ فقال ل: لا. قلت له: أخبرني عن علم الله الذي أخبر عنه في خمسة مواضع، فقال: في البقرة: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ " (البقرة: 255)، وقال في النساء: " لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ " (النساء: 166)، وقال: " فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ " (هود:14)، وقال في فاطر: " وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ "(فاطر:11)، وقال في سجدة المؤمن: " وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ " (فصلت: 47). أفمقر أنت أن لله علما كما أخبر عن علمه أو تخالف التنزيل ؟ قال عبد العزيز: فحاد بشر عن جوابي وأبى أن يصرح بالكفر، فيقول: ليس لله علم، فأرجع بالمسألة وعلم ما يلزمه فأقول له:

أخبرني عن علم الله داخل في قوله خالق كل شيء، فلزم الحيدة واجتلب كلاما لم أسأله عنه، فقال: معنى ذلك لا يجهل، فقلت: يا أمير المؤمنين, فلا يكون الخبر عن المعنى قبل الإقرار بالشيء يقر أن لله علما، فإن سألته ما معنى العلم ليس هذا مما أسأله عنه، فيجيب بهذا إن كان هذا جوابا حاد عن الجواب ولزم سبيل الكفار، فقال لي بشر: وتعرف الحيدة ؟ قال: قلت: نعم، إني لأعرف الحيدة من كتاب الله وهي سبيل الكفار التي اتبعتها, فقال لي المأمون: والحيدة نجدها في كتاب الله ؟ قلت: نعم، وفي سنة المسلمين، وفي اللغة. فقال لي: فأين هي من كتاب الله ؟ قال عبد العزيز: قلت: إن إبراهيم عليه السلام قال لقومه: " هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (الشعراء: 72–73)، فكانوا بين أمرين: أن يقولوا: يسمعوننا حين ندعو أو ينفعوننا أو يضروننا، فيشهد عليهم من يسمع قولهم أنهم قد كذبوا، أو يقولوا: لا يسمعوننا حين ندعو ولا يضروننا ولا ينفعوننا، فينفوا عن آلهتهم المقدرة، فبأي الخبرين أجابوا كانت الحجة عليهم لإبراهيم عليه السلام، فحادوا عن جوابه واجتلبوا كلاما من غير فن كلامه، فقالوا: قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ " (الشعراء: 74)، ولم يكن هذا جوابا عن مسألة إبراهيم، ويروى أن عمر بن الخطاب، قال لمعاوية وقد قدم عليه فنظر إليه يكاد يتفقا شحما، فقال: ما هذه الشحمة يا معاوية، لعلها من نومة الضحى ورد الخصم ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إذا تصوننى يرحمك الله. فقد صدق بشر أن الله لا يجهل، إنما سألته أن يقر بالعلم الذي أخبر الله عنه، فأبى أن يقر به وحاد عن جوابي إلى نفي الجهل، فليقل: إن لله علما وأن الله لا يجهل، ثم التفت إلي بشر, فقلت: يا بشر أنا وأنت نقول أن الله لا يجهل، وأنا أقول أن لله علما, وأنت تأبى أن تقول، فدع ما تقول، وأقول ما لا يقول ولا أقول، وإنما مناظرتي إياك فيما أقول ولا تقول، أو تقول ولا أقول، قال: وهو في ذلك يأبى أن يقر أن لله علما، ويقول: إن الله لا يجهل، فلما أكثر، قلت: يا أمير المؤمنين إن نفي السوء لا يثبت المدحة، وكنت متكئا على أسطوانة، قلت: هذه الأسطوانة لا تجهل ولا تعلم، فليس نفي الجهل بإثبات للعلم، فإثباته ما أثبت الله أولى به لأن على الناس أن يثبتوا ما أثبت الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا حيث أمسك الله. ثم قلت: يا أمير المؤمنين لم يمدح الله ملكا ولا نبيا ولا مؤمنا بنفي الجهل، بل دل على إثبات العلم، فقال تعالى للملائكة: " كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ "(الانفطار: 11–12)، ولم يقل: لا يجهلون. وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: " عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ " (التوبة: 43). وقال: " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ "(فاطر: 28)، ولم يقل: الذين لا يجهلون، فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، فما اختار بشر لله اختار الله لنفسه، ولا من حيث اختار

لملائكته ولرسله وللمؤمنين ؟ فقال لي أمير المؤمنين: فإذا أقر أن لله علما يكون ماذا ؟ قلت: يا أمير المؤمنين اسأله عن علم الله، أداخل هو في جملة الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله خالق كل شيء وزعم أنه لم يبق شيء إلا وقد أتى عليه هذا الخبر، فإن قال: نعم ، فقد شبه الله بخلقه الذين أخرجهم الله من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، وكل من تقدم وجوده علمه فقد دخل عليه الجهل فيما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين الذين أخرجهم الله من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، فيكون بشر قد شبه الله بخلقه، فقال لي أمير المؤمنين: أحسنت يا عبد العزيز، ثم التفت إلى بشر، فقال: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تقر أن لله علما، ثم قال لي أمير المؤمنين: تقول إن الله عالم ؟ قلت: نعم. قال: وتقول أن لله علما ؟ قلت: نعم. قال: تقول: أن الله سميع بصير ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين, قال: فتقول: أن لله سمعا وبصرا كما قلت أن لله علما ؟ قال: قلت: لا يا أمير المؤمنين, فقال لي: فرق بين هذين، قال: فأقبل بشر، فقال: يا أمير المؤمنين يا أفقه الناس يا أعلم الناس يقول الله عز وجل: " بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ " (الأنبياء: 18). قال: قلت: قد قدمت إلى أمير المؤمنين فيما احتججت به أن على المؤمنين أن يثبتوا ما أثبت الله وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا ما أمسك الله، فأخبرني الله أنه عالم، فقلت: إنه عالم بقوله: " عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ "(التغابن: 18)، وأخبرني أن له علما بقوله: " فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ " (هود: 14)، وأخبرني أنه سميع بصير، فقلت بالخبر, ولم يخبرني أن له سمعا وبصرا، فأمسكت, فقال المأمون: ما هو مشبها، لا تكذبوا عليه. فقال لي بشر: فما معنى العلم, لو أن رجلين وردا عليك فقالا ما معنى العلم ؟ فحلف أحدهما بالطلاق أن العلم هو الله، وقال الآخر: أن العلم غير الله، ما كان جوابك ؟ قلت: أما مسألتك إياي ما معنى العلم، فإنك تسألني عما لم يخبرني الله به ولم يخبر أحدا، فأمرتني أن أقول على الله ما لم أعلم كما أمر الشيطان، فأولى الأمرين بي أن أمسك عما حرم الله علي أن أقول به، وأمرني الشيطان أن أقوله. قال الله عز وجل: " قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (الأعراف: 33). وقال: " إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "(البقرة: 168). ثم أقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين, إن بشرا قد علم أنه قد أفحم فلم يكن عنده جواب، فيسأل عما لم يكن له أن يسأل عنه ولا يكون لي أن أجيب عنه، فأراد أن يقول: إن عبد العزيز سأل بشرا عن مسألة فلم يجبه، فأنا وبشر يا أمير المؤمنين من مسألتي ومسألته على غير السواء، سألته عما أعلمه الله به, ووقعه عليه بالإعلام وتعبده بالإيمان, لقوله: " وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ " (الشورى: 15)، فأبى أن يقر به، وسألني عن معنى العلم وقد ستر الله ذلك عني وعنه، وإنما يدخل النقص علي لو كان بشر يعلم أو أحد من العلماء ما العلم، فأما ما نجتمع أنا وبشر والخلق في الجهل بمعرفته، فلم يكن الضرر داخلا علي دونه، وهذه مسألة لا يحل لمؤمن أن يسأل عنها ولمؤمن أن يجيب فيها، لأن الله عز وجل أمسك عن أن يخبر كيف علمه، فلم يكن لأحد أن يتكلفه ولا يخبر عنه ولا لسائل أن يسأل عنه، فلما كان علينا أن نقول سميعا بصيرا ، قلنا، وليس لنا أن نقول: سمع وبصر. قال عبد العزيز: وقلت لبشر: حين تسألني ما معنى العلم, وتشير علي أن أقول على الله ما لم يقله، هل تجوز هذه المسألة في خلق من خلق الله ؟ قد قال الله عز وجل: " إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ " (آل عمران: 44)، فلو ورد علي ثلاثة نفر فحلف أحدهم أن الأقلام خشب، وحلف الآخر أنها قصب، وحلف الآخر أنها خوص، كان علي أن أميز بين قول هؤلاء ؟ وقال الله عز وجل: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا "(الأنعام: 76)، فلو ورد علي رجلان فحلف أحدهما أنه الزهرة ، وحلف الآخر أنه المشتري ، أكان علي أن أنظر بين هذين أيهما المصيب من المخطئ ؟ وقال الله عز وجل: " فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ "(الأعراف: 44)، فلو أن ثلاثة نفر حلفوا فقال أحدهم : المؤذن ملك، وقال الآخر: هو إنسي، وقال الآخر: هو جني، كان علي أو على أحد من الناس أن يقضي بينهم إلا أن يكون الله أخبر في كتابه كيف ذلك وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا لم يوجد شيء من هذا عن الله ولا عن رسوله، لم يكن لأحد أن يصل الخبر بتفسير من تلقاء نفسه، فإذا كان هذا لا يجوز في خلق من خلق الله، كيف تجوز المسألة في الله وقد حرم الله عز وجل على الناس أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ؟ قال عبد العزيز: ورأيته قد حار في يدي، فقلت: يا أمير المؤمنين, احتج بشر بقوله تعالى: " خالق كل شيء "، فليعط بالمكيال الذي أراد أن يأخذ به إن كان صادقا, قال الله عز وجل: " تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ " (المائدة: 116)، وقال: " كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ " (الأنعام: 54), وقال: " وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ " (آل عمران: 28), وقال: " وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي " (طه: 41)، فأخبر أن له نفسا. وقال: " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " (آل عمران: 185)، فلو أن ملحدا ألحد علي وعلى بشر، فقال: قد أخبر الله أن كل نفس ذائقة الموت، وأن له نفسا، ما كانت الحجة لي وله عليه. قال: فقال بشر: إن كنت تريد نفس ضمير أو توهم جارحة ؟ فقلت: كم ألقي إليك أني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عني، وإنما أقول: إن لله نفسا كما قال، فليكن معناها عندك ما شئت، أهي داخلة في قوله:" كل نفس ذائقة الموت" ؟ إلى كم تفر إلى المعاني ؟ انظر هل أجري معك حيث تجري ؟ قال: فقال المأمون: ويحك يا عبد العزيز

كيف هذا ؟ قلت: يا أمير المؤمنين, إن الله عز وجل أنزل القرآن بأخبار خاصة وعامة، ففيها ما يكون مخرجها مخرج العموم ومعناها معنى العموم، ومنه خبر مخرج لفظه مخرج خاص ومعناه معنى خاص، منهما خبران محكمان لا ينصرفان بإلحاد ملحد، ومن القرآن خبر مخرج لفظه خاص ومعناه عام، وخبر مخرج لفظه عام ومعناه خاص، وفي هذه دخلت الشبه على من لم يعرف خاص القرآن وعامه، فأما الخبر الذي مخرجه عام ومعناه عام، فقوله : " وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ "(النمل: 91), فجمع هذا الخبر: الخلق والأمر, فلم يبق شيء إلا وقد أخبر أنه له، فمخرجه عام ومعناه عام، أما الخبر الذي مخرجه خاص ومعناه خاص؛ فما قدم في عيسى عليه السلام أنه خلق من غير أب، وفي آدم عليه السلام، وقال: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى " (الحجرات: 13)، فلم يتوهم مؤمن أن الله عز وجل عنى آدم وعيسى, وأما الخبر الذي مخرجه خاص ومعناه عام، فهو قوله: " وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى " (النجم: 49)، فهو رب الشعرى وغير الشعرى. وأما الخبر الذي معناه خاص، فهو قوله: " إِلَّا آَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ " (القمر: 34)، إنما كان معناه خاصا، لأن امرأة لوط لم تعن، ولما أنزل الله عز وجل القرآن على معاني هذه الأخبار، لم يتركها أشباها على الناس، ولكن بيانها خاص لقوم يفهمون، وإذا أنزل الله خبرا مخرج لفظه خاص ومعناه عام، بين في أكثر ذلك ما بينه بأحد بيانين: إما أن يستثني من الجملة شيئا فيكون بيانا للناس أكملهم. أو يقدم خبرا خاصا فلا يعنيه، فإذا أنزل خبرا عاما لم يتوهم عالم أنه عني في خبره العام خلاف ما خصه ونصه. وأما الخبر الذي بين له على العموم ثم يستثني ما لم يعنه، فهو قوله: " فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا " (العنكبوت: 14)، فعقل المؤمنون أن الألف سنة لم يستكملها نوح في قومه قبل الطوفان بقول الله عز وجل:" إلا خمسين عاما "، فكان ابتداء لفظه عاما ومعناه خاص بالاستثناء. وأما الخبر الخاص الذي لا يجري عليه الخبر العام، فهو كقوله في إبليس: " لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ " (ص: 85)، وقال: " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ " (الأعراف: 156)، فعقل أهل العلم عن الله أنه لم يعن إبليس بقوله: " ورحمتي وسعت كل شيء "، لما قدم فيه من الخبر الخاص باليأس من رحمة الله, لأن من سنته أن لا يترك الذي لا يعني حتى يخرجه بالاستثناء أو محاشاة، فيقدم فيه خبرا, كقوله: " إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ "(العنكبوت: 31), قال إبراهيم عليه السلام : " قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ "(العنكبوت: 32)، فاستثنى لوطا من أهل القرية، واستثنى امرأة لوط من آل لوط, وقال في موضع آخر: " إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ " (النمل: 57), وقال: " إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا

امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ "(العنكبوت: 33)، فخص المرأة بالهلاك، وأنزل خبرا مخرجه مخرج عام، ومعناه خاص، فقال: إلا آل لوط نجيناهم بسحر "، فعقل المؤمنون عن الله أنه لم يعن امرأة لوط بالنجاة، لما قدم فيها من الخبر الخاص بالهلكة، وكذلك حين قدم في نفسه خبرا خاصا، فقال: " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ " (الفرقان: 58). ثم قال: " كل نفس ذائقة الموت ", لم يكن لأحد أن يتوهم على الله أنه عنى نفسه، وكذلك حين قدم في قوله خبرا خاصا، فقال: " إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (النحل: 40)، فدل على قوله باسم معرفة, وعلى الشيء باسم نكرة, فكانا شيئين متفرقين، فقال: " إذا أردناه " ولم يقل: إذا أردناهما, ولم يقل: أن يقول لهما ثم قال: كن فيكون، ففرق بين القول والشيء المخلوق. ثم قال خالق كل شيء، فعقل أهل العلم عن الله أنه لم يعن قوله في جملة الأشياء المخلوقة حين قدم فيه خبرا أنه خلق الأشياء بقوله، وإنما غلط بشر يا أمير المؤمنين ومن قال بقوله بخاص القرآن وعامه. قال عبد العزيز: ثم أقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين إن بشرا خالف كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم, فقال: أوفعل ذلك ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أوقفك عليه الساعة. فقال لي: كيف ؟ قلت: إن اليهود ادعت تحريم أشياء في التوراة، فقال الله عز وجل: " قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ", فإذا تليت التوراة فلم يوجد ما ادعوا، كان إمساك التوراة مسقطا لدعواهم، وكذلك يقال لبشر: اتل بما قلت قرآنا, وإلا فإن إمساك القرآن بما تدعي مسقط لدعواك، وكذلك تنظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كانت معه سنة من رسول الله وإلا كان إمساك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مسقط لدعواه، وأما خلافه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فإن أصحاب محمد اختلفوا في الحلال والحرام ومخارج الأحكام، فلم يخطئ بعضهم بعضا فهم من أن يبدع بعضهم بعضا أبعد، وهم من أن يكفر بعضهم بعضا بالتأويل أبعد، وبشر ادعى على الأمة كلها كلمة تأولها، ثم زعم أن من خالفه كافر، فهو خارج من إجماع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قال بشر: ما ادعيت إلا نص التنزيل. قال: قلت له: هات، فأنا أول من يقول بقولك إن كان معك تنزيل ومن خالف فكافر. قال: فقال محمد بن الجهم: أولا تقبل منه إلا نص القرآن ؟ قلت: لا، لأنه إذا تأول فلخصمه أن يتأول معه. قال: فقال لي محمد بن الجهم: ومن أين لك من القرآن أن هذا الحصير مخلوق ؟ قلت: هو في القرآن من حيث لا تعلم، وقد أخبر الله أنه خلق الأنعام وخلق الشجرة، وهذا الحصير من الشجر ومن جلود الأنعام، فمعك أنت شيء تخبرني أن القرآن من ذلك الشيء الذي خلقه الله ؟ قال بشر: معي نص القرآن. قال: فقلت: فكيف لم تأتني به أولا حين قلت لك: ارمني بأحد سهم في

كنانتك ؟ قال: فقال نعم، قول الله عز وجل: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا "(الزخرف: 3), قلت: لا أعلم أحدا من المؤمنين لا يقول إن الله قد جعل القرآن عربيا وكل المؤمنين يقولون: إن الله قد جعل القرآن عربيا، فقد قالوا معك بالتنزيل ولم يخالفوا التنزيل، وأنت إنما كفرت القوم بمعنى جعل لأن معنى جعل عندك معنى خلق. قال بشر: ما بين جعل وخلق فرق. قلت لبشر: أخبرني عن جعل عندك حرف محكم لا يحتمل إلا معنى خلق ؟ قال: نعم، لا يعقل جعل في لغة من اللغات إلا معنى خلق. قلت: فأخبرني عن قول الله عز وجل: " وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا " (النحل: 91)، معناه معنى خلقتم ؟ أخبرني عن قول الله عز وجل: " وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ " (البقرة: 224)، معناه: لا تخلقوا؟ أخبرني عن قوله: " لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا " (النور: 63). معناه: لا تخلقوا ؟ . قال: فقال لي المأمون: فما معناه ؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين, هذا رجل جاهل بلغة قومك، إن جعل في كتاب الله يحتمل معنيين: معنى خلق، ومعنى تصيير غير خلق، فلما كان خلق حرفا محكما لا يحتمل معنيين، ولم يكن من صناعة العباد، لم يتعبد الله الخلق به، فيقول: اخلقوا أو لا تخلقوا، إذ لم يكن الخلق من صناعة المخلوقين، ولما كان جعل يحتمل معنيين: معنى خلق وهو معنى تفرد الله به دون الخلق، ويحتمل معنى غير الخلق، خاطب الخلق بالأمر به والنهي عنه، فقال: اجعلوا ولا تجعلوا ؟ ألم تسمع إلى قوله: " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا " وقوله: " وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً " (يونس: 87)، ولما كان جعل يحتمل معنيين من الله: معنى خلق، ومعنى تصيير غير خلق، لم يدع ذلك لبسا على المؤمنين, حتى جعل على كل كلمة علما ودليلا، ففرق بين معنى جعل الذي يكون على معنى خلق وبين جعل الذي معناه غير معنى خلق، فأما معنى جعل الذي هو على معنى خلق، فإن الله عز وجل أنزل القرآن به مفصلا وهو بيان لقوم يفهمون، وأنزل القول مفصلا يستغني السامع إذا أخبر عنه أن يوصل الكلمة بكلمة أخرى من ذلك قوله: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ "(الأنعام: 1)، فسواء قال: جعل أو خلق. وقوله: " وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً " (النحل: 72), وقوله: " وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ " (النحل: 78)، فهذا وما كان على مثاله على معنى خلق. وأما جعل الذي معناه على غير معنى الخلق, فهذا من القول الموصل، ألم تسمع إلى قوله: " وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " (القصص: 51)، كقوله: " يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ " (ص: 26)، فلما قال: " جعلناك خليفة " لم يدع الكلمة إذ لم تكن على معنى خلق حتى وصلها بقوله (خليفة), وقوله: " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ " ، فلم يأمرها أن تلقيه في اليم

إلا وهو مخلوق، ثم قال: " إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ "(القصص: 7)، فقد كان في وقت مخلوقا ولم يكن مرسلا حتى جعله مرسلا. وقوله: " فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا " (الأعراف: 143)، وقد كان الجبل مخلوقا قبل أن يجعله دكا، فهذا وما على مثاله من القول الموصل، فنرجع أنا وبشر يا أمير المؤمنين، فيما اختلفنا فيه من قول الله: " إنا جعلناه قرآنا عربيا "، فما كان من القول الموصل، فهو كما قلت أنا: إن الله جعله عربيا، بأن صيره عربيا، وأنزله بلغة العرب، ولم يصيره أعجميا فينزله بلغة العجم. وإن كان الموصل كقوله: " وجعل الظلمات والنور " ، فهو كما قال بشر. وإنما دخل عليه الجهل لقلة معرفته بلغة أهل اللسان، فلو أن رجلا قال: اللهم اجعل لي ولدا، لكان يعقل من بحضرته أنه سأل ربه أن يخلق له ولدا، إذ لم يصل الكلمة بكلمة ثانية، ولو قال: اللهم اجعل ولدي، كان هذا الكلام لا يتم بهذا الإخبار عنه، حتى يقول: اجعله صالحا، اجعله تقيا، فيعقل عنه أنه إنما أراد أن يصيره بارا، ولم يرد أن يخلقه، لأن الله قد خلقه. ألم تسمع إلى قول الله: " وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ " (البقرة: 127)، ولم يرفعا القواعد إلا وهما مخلوقان، وحين قالا: " واجعلنا "، لم يدركا المسألة حتى قال مسلمين لك. فهذا وما كان على أمثاله في القرآن على غير معنى الخلق. ثم أقبل المأمون على بشر، فقال: كلم عبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين لم أكلمه ؟ هذا رجل يقول بالأخبار وأنا أقول بالقياس. فقال له المأمون: وهل ديننا إلا الأخبار ؟ قال: فأردت أن أعلمه أن الكلام في القياس لم يفتني في الموضع الذي يجب لي القول به، وكان جلس أمير المؤمنين مجلس الحاكم من الخصم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو كان لبشر غلامان، وأنا لا آخذ علمهما عن أحد من الناس إلا عنه، يقال لأحدهما خالد والآخر يزيد، فكتب إلي ثمانية عشر كتابا يقول في كل كتاب منها: ادفع هذا الكتاب إلى خالد غلامي، وكتب إلي مائة وأربعة وخمسين كتابا يقول في كل كتاب منها: ادفع هذا الكتاب إلى يزيد، ولا يقول: غلامي، وكتب إلي كتابا، فقال: ادفع هذا الكتاب إلى يزيد وإلى خالد غلامي، وكتب إلي كتابا واحدا يقول فيه: خالد غلامي ويزيد، ولم يقل: غلامي، فكتبت إليه: إني قد دفعت الكتاب إلى يزيد وإلى خالد غلامك، فلقيني فقال: لِمَ لم تكتب إلي أنك دفعت الكتاب إلى خالد ويزيد غلامي، فقلت له: قد كتبت إلي مائة كتاب وأربعة وخمسين كتابا تقول: ادفع هذا الكتاب إلى يزيد، ولا تقول فيها: غلامي، وكتبت إلي ثمانية عشر كتابا تقول فيها: إلى خالد غلامي. فقال لي بشر: فرطت، فحلقت أنا: إن بشرا فرط, وحلف بشر أني فرطت، أينا كان المفرط يا أمير المؤمنين ؟ فقال المأمون: إذا كان هكذا، فبشر المفرط. فقلت: يا أمير المؤمنين, إن الله عز وجل

أخبرنا عن ذكر القرآن في أربعة وخمسين ومائة موضع، فلم يخبر عن خلقه في موضع واحد، ثم جمع بين القرآن والإنسان في موضع واحد، فقال: " الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " (الرحمن:1-4)، قال في كتاب الحيدة: " ففرق بين القرآن وبين الإنسان، فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل فرط في الكتاب، وكان يجب عليه أن يخبر عن خلق القرآن، وقال الله عز وجل : " مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ " فهذا كسر قول بشر في القياس. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

3- نص مناظرة المأمون للفقهاء:

إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل عن حمّاد بن زيد قال : بعث إليَّ يحيى بن أكثم وإلى عدّة من أصحابي ، وهو يومئذ قاضي القضاة ، فقال : إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غدا مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب ، فسمّوا من تظنّونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين.

فسمّينا له عدة ، وذكر هو عدة ، حتى تم العدد الذي أراد ، وكتب تسمية القوم ، وأمر بالبكور في السَحَر ، وبعث إلى من لم يحضر ، فأمره بذلك ، فغدونا عليه قبل طلوع الفجر ، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا ، فركب وركبنا معه حتى صرنا إلى الباب ، فإذا بخادم واقف ، فلما نظر إلينا ، قال : يا أبا محمد ، أمير المؤمنين ينتظرك ، فأدخلنا ، فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها ، فلم نستتم حتى خرج الرسول ، فقال : ادخلوا فدخلنا فإذا أمير المؤمنين جالس على فراشه ، وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته ، فوقفنا وسلّمنا ، فرد السلام وأمر لنا بالجلوس ، فلما استقرّ بنا المجلس انحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته ثم أقبل علينا ، فقال : إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك ، وأما الخفُّ فمَنَعَ من خلعه علّة ، من قد عرفها منكم فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فسأعرفه بها ، ومدّ رجله ، وقال: انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم.

قال : فأمسكنا فقال لنا يحيى : انتهوا إلى ما أمركم به أمير المؤمنين فتنحينا فنزعنا أخفافنا وطيالستنا وقلانستنا ورجعنا ، فلما استقر بنا المجلس قال : إنما بعثت إليكم معشرَ القوم في المناظرة ، فمن كان به شيء من الأخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول ، فمن أراد منكم الخلاء فهناك ، وأشار بيده ، فدعونا له ، ثم ألقى مسألة من الفقه.

فقال : يا محمد ، قل ، وليقل القوم من بعدك ، فأجابه يحيى ، ثم الذي يلي يحيى ، ثم الذي يليه ، حتى أجاب آخرنا ، في العلّة وعلّة العلة وهو مطرق لا يتكلم ، حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى.

فقال : يا أبا محمد ، أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة. ثم لم يزل يردُّ على كل واحد منا مقالته ، ويخطّئُ بعضنا ويصوّب بعضنا ، حتى أتى على آخرنا.

ثم قال : إني لم أبعث فيكم لهذا ، ولكنني أحببت أن أنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به.

قلنا : فليعمل أمير المؤمنين وفّقه الله.

فقال : إن أمير المؤمنين يدين الله على أنّ عليّ بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ خيرُ خلق الله بعد رسوله ــ صلّى الله عليه وآله ــ وأولى الناس بالخلافة له.

قال إسحاق : فقلت : يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في عليّ ، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة.

فقال : يا إسحاق ، اختر ، إن شئت سألتك أسألك ، وإن شئت أن تسأل فقلْ.

قال إسحاق : فاغتنمتها منه ، فقلت : بل أسألك يا أمير المؤمنين.

قال : سل.

قلت : من أين ؟

قال أمير المؤمنين : إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقّهم بالخلافة بعده ؟

قال : يا إسحاق ، خبّرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان ؟

قلت : بالأعمال الصالحة.

قال : صدقت.

قال : فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ، أيُلْحق به ؟

قال : فأطرقت.

فقال لي : يا إسحاق ، لا تقل نعم ، فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاةً وصدقة.

فقلت : أجل يا أمير المؤمنين ، لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ الفاضل أبدا.

قال : يا إسحاق ، فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدْوتك من فضائل عليّ بن أبي طالب ، فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر ، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي ، فقل إنه أفضل منه ، لا والله ، ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده ، فقل إنهما أفضل منه ، ولا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ، فإن وجدتها مثل فضائل عليّ ، فقل إنهم أفضل منه ، لا والله ، ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بالجنة ، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه.

قال : يا إسحاق ، أيّ الأعمال كانت أفضل ، يوم بعث الله رسوله ؟

قلت : الإخلاص بالشهادة.

قال : أليس السبقُ إلى الاسلام ؟

قلت : نعم.

قال : اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول : (والسابقونَ السّابقون ، أُولئك المقرّبون)، إنما عنى مَنْ سَبق إلى الاسلام ، فهل علمت أحدا سبق عليّا إلى الاسلام ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن عليا أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال : أخبرني أيهما أسلم قبل ، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال.

قلت : عليّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة.

فقال : نعم ، فأخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم : لا يخلو من أن يكون رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ دعاه إلى الاسلام ، أو يكون إلهاما من الله.

قال : فأطرقت.

فقال لي : يا إسحاق ، لا تقل إلهاما فتقدّمه على رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ لأنّ رسول الله لم يعرف الاسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالى.

قلت : أجل ، بل دعاه رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ إلى الاسلام.

قال : يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ حين دعاه إلى الاسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه ؟

قال : فأطرقت.

فقال : يا إسحاق ، لا تنسب رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ إلى التكلّف ، فإن الله يقول : (وما أنا من المتكلفين).

قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، بل دعاه بأمر الله.

قال : فهل من صفة الجبار جل ثناؤه أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم ؟

قلت : أعوذ بالله !

فقال : أفتراه في قياس قولك يا إسحاق : « إن عليا أسلم صبيّا لا يجوز عليه الحكم » ، قد كُلّف رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ، فهو يدعوهم الساعة ويرتدُّون بعد ساعة ، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شي ولا يجوز عليهم حكم الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ أترى هذا جائزا عندك أن تنسبه إلى الله عزّ وجلّ ؟

قلت : أعوذ بالله.

قال : يا إسحاق ، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ عليّا على هذا الخلق ، أبانه بها منهم ليعرّف مكانه وفضله ، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا ؟

قلت : بلى.

قال : فهل بلغك أن الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ دعا أحدا من الصبيان من أهله وقرابته ــ لئلا تقول إن عليا ابن عمه ــ ؟

قلت : لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل.

قال : يا إسحاق ، أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه ؟

قلت : لا.

قال : فدع ما قد وضعه الله عنّا وعنك.

قال : ثم أيّ الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الاسلام ؟

قلت : الجهاد في سبيل الله.

قال : صدقت ، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ما تجد لعليّ في الجهاد ؟

قلت : في أي وقت ؟

قال : في أي الأوقات شئت !

قلت : بدر ؟

قال : لا أريد غيرها ، فهل تجد لأحد إلاّ دون ما تجد لعليّ يوم بدر ؟

أخبرني : كم قتلى بدر ؟

قلت : نيف وستون رجلاً من المشركين.

قال : فكم قتل عليّ وحده ؟

قلت : لا أدري.

قال : ثلاثة وعشرين ، أو اثنين وعشرين، والأربعون لسائر الناس.

قلت : يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ في عريشه.

قال : يصنع ماذا ؟

قلت : يُدبّر.

قال : ويحك ! يُدبّر دون رسول الله أو معه شريكا ، أو افتقارا من رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ إلى رأيه ؟ أي الثلاث أحب إليك ؟

قلت : أعوذ بالله أن يُدبّر أبو بكر دون رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ أو يكون معه شريكا ، أو أن يكون برسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ افتقارٌ إلى رأيه.

قال : فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك ؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ أفضل ممن هو جالس ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ الجيش كان مجاهدا.

قال : صدقت ، كلٌ مجاهد ، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ وعن الجالس ، أفضل من الجالس ، أما قرأت كتاب الله : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما).

قلت : وكان أبو بكر وعمر مجاهدين.

قال : فهل كان لأبي بكر وعمر فضلٌ على من لم يشهد ذلك المشهد ؟

قلت : نعم.

قال : فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر.

قلت : أجل.

قال : يا إسحاق ، هل تقرأ القرآن ؟

قلت : نعم.

قال : اقرأ عليَّ (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) فقرأت منها حتى بلغت : (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) إلى قوله : (ويطعمون الطّعام على حبّه مسكينا ويتيما وأسيرا).

قال : على رسلك ، فيمن أُنزلت هذه الآيات ؟

قلت : في عليّ.

قال : فهل بلغك أن عليّا حين أطعم المسكين واليتيم والأسير.

قال : إنما نطعمكم لوجه الله ؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليّا ؟

قلت : لا.

قال : صدقت ، لأن الله جل ثناؤه عرف سيرته يا إسحاق ، ألست تشهد أن العشرة في الجنة ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين.

قال : أرأيت لو أنّ رجلاً قال : والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا ، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله ، أكان عندك كافرا ؟

قلت : أعوذ بالله !

قال : أرأيت لو أنه قال : ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا ، كان كافرا ؟

قلت : نعم.

قال : يا إسحاق ، أرى بينهما فرقا يا إسحاق ، أتروي الحديث ؟

قلت : نعم.

قال : فهل تعرف حديث الطير؟

قلت : نعم.

قال : فحدّثني به قال : فحدّثته الحديث.

فقال : يا إسحاق ، إني كنت أكلّمك وأنا أظنك غير معاند للحق ، فأمّا الآن فقد بان لي عنادك ، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح.

قلت : نعم ، رواه من لا يمكنني ردّه.

قال : أفرأيت من أيقن أن هذا الحديث صحيح ، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة : من أن تكون دعوة رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ عنده مردودة عليه ، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه ، أو أن يقول إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول ، فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول ؟

فأطرقت... ثم قال : يا إسحاق ، لا تقل منها شيئا ، فإنك إن قلت منها شيئا استنبْتُك ، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله.

قلت : لا أعلم وإن لأبي بكر فضلاً.

قال : أجل ، لو لا أن له فضلاً لما قيل إن عليا أفضل منه ، فما فضله الذي قصدت له الساعة ؟

قلت : قول الله عز وجل : (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا)، فنسبه إلى صحبته.

قال : يا إسحاق ، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك ، إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافرا ، وهو قوله : (فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً ، لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا)

قلت : إن ذلك صاحب كان كافرا ، وأبو بكر مؤمن.

قال : فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافرا ، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمنا ، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث.

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن قدر الآية عظيم ، إن الله يقول : (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا)!

قال : يا إسحاق ، تأبى الآن إلا أن أخرج إلى الاستقصاء عليك !

أخبرني عن حزن أبي بكر : أكان رضا أم سخطا ؟

قلت : إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ خوفا عليه وغما ، أن يصل إلى رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ شيء من المكروه.

قال : ليس هذا جوابي ، إنما كان جوابي أن تقول : رضا ، أم سخط. قلت : بل كان رضا لله.

قال : فكان الله جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله عز وجلّ وعن طاعته !

قلت : أعوذ بالله !

قال : أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله ؟

قلت : لله بلى.

قال : أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ قال : « لا تحزن » ، نهيا له عن الحزن ؟

قلت : أعوذ بالله !

قال : يا إسحاق ، إن مذهبي الرفق بك ، لعل الله يردّك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل ، لكثرة ما تستعيذ بـــه. وحدّثنـــي عـــن قـــول الله : (فأنزل الله سكينته عليه) من عنى بذلك ، رسول الله أم أبا بكر ؟

قلت : بل رسول الله.

قال : صدقت.

قال : حدّثني عن قول الله عز وجل : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله : (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين).

أتعلم مَنْ المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضع ؟

قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين.

قال : الناس جميعا انهزموا يوم حنين ، فلم يبق مع رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ إلاّ سبعة نفر من بني هاشم : عليّ يضرب بسيفه بين يدي رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله ، والخمسة محدقون به خوفا من أن يناله من جراح القوم شيء ، حتى أعطى الله لرسوله الظّفر ، فالمؤمنون في هذا الموضع عليٌّ خاصة ، ثم من حضره من بنيهاشم.

قال : فمن أفضل ، من كان مع رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ في ذلك الوقت ، أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعا لينزلها عليه ؟

قلت : بل من أنزلت عليه السكينة.

قال : يا إسحاق ، من أفضل ، من كان معه في الغار ، أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه ، حتى تمّ لرسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ما أراد من الهجرة ؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر عليّا بالنوم على فراشه ، وأن يقي رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بنفسه ، فأمره رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بذلك ، فبكى عليٌّ ــ عليه السلام ــ ، فقال له رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ : ما يبكيك يا عليٌّ ، أجزعا من الموت ؟

قال : لا ، والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، ولكن خوفا عليك ، أفتسلم يا رسول الله ؟

قال : نعم.

قال : سمعا وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله ، ثم أتى مضجعه واضطجع ، وتسجّى بثوبه ، وجاء المشركون من قريش فحفّوا به ، لا يشكّون أنه رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ، وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربةً بالسيف ، لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه ، وعليٌّ يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ، ولم يزل عليٌّ صابرا محتسبا ، فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح ، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا : أين محمد ؟

قال : وما علمي بمحمد أين هو ؟ قالوا : فلا نراك إلا مغرّرا بنفسك منذ ليلتنا ، فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص ، حتى قبضه الله إليه.

يا إسحاق ، هل تروي حديث الولاية ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين.

قال : أروه ، ففعلت.

قال : يا إسحاق ، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه ؟

قلت : إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي ، وأنكر ولاء علي ، فقال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ».

قال : في أي موضع قال هذا ، أليس بعد منصرفه من حجة الوداع ؟

قلت : أجل.

قال : فإنّ قتل زيد بن حارثة قبل الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا ؟ أخبرني : لو رأيت ابنا لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول : مولاي مولى ابن عمي ، أيها الناس فاعلموا ذلك ، أكنت منكرا ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون ؟

فقلت : اللهم نعم.

قال : يا إسحاق ، أفتنزّه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ ؟ ويحكم ! لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم ، إن الله جل ذكره قال في كتابه : (اتّخذوا أحبارهم

ورهبانهم أربابا من دون الله) ولم يصلّوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم ، يا إسحاق ، أتروي حديث : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد سمعته وسمعت من صحّحه وجحده.

قال : فمن أوثق عندك ، من سمعت منه فصحّحه ، أو من جحده ؟

قلت : من صحّحه.

قال : فهل يمكن أن يكون الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ مزح بهذا القول ؟

قلت : أعوذ بالله !

قال : فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه ؟

قلت : أعوذ بالله !

قال : أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمّه ؟

قلت : بلى.

قال : فعليٌّ أخو رسول الله لأبيه وأمّه ؟

قلت : لا.

قال : أو ليس هارون كان نبيّا وعليٌّ غير نبيّ ؟

قلت : بلى.

قال : فهذان الحالان معدومان في عليّ وقد كانا في هارون ، فما معنى قوله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » ؟

قلت له : إنما أراد أن يطيّب بذلك نفس عليّ لمّا قال المنافقون : أنه خلّفه استثقالا له.

قال : فأراد أن يطيّب نفسه بقول لا معنى له ؟

قال : فأطرقت.

قال : يا إسحاق ، له معنى في كتاب الله بيّن.

قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : قوله عز وجل حكايةً عن موسى أنه قال لأخيه هارون : (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين).

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن مــوسى خلّف هارون في قومه وهو حيٌّ ، ومضى إلى ربه ، وإن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ خلّف عليّا كذلك حين خرج إلى غزاته.

قال : كلا ، ليس كما قلت ، أخبرني عن موسى حين خلّف هارون هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل ؟

قلت : لا.

قال : أو ليس استخلفه على جماعتهم ؟

قلت : نعم.

قال : فأخبرني عن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ حين خرج إلى غزاته ، هل خلّف إلاّ الضعفاء والنساء والصبيان ، فأنّى يكون مثل ذلك ؟

وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه ، لا يقدر أحد أن يحتج فيه ، ولا أعلم أحدا احتج به وأرجو أن يكون توفيقا من الله.

قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله : (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنّك كنت بنا بصيرا) « فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى ، وزيري من أهلي ، وأخي ، شدّ الله به أزري ، وأشركه في أمري ، كي نسبح الله كثيرا ، ونذكره كثيرا » ، فهل يقدر أحد يدخل في هذا شيئا غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي ــ صلّى الله عليه وآله ــ وأن يكون لا معنى له ؟

قال : فطال المجلس وارتفع النهار.

فقال : يحيى بن أكثم القاضي : يا أمير المؤمنين ، قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير ، وأثبتّ ما يقدر أحد أن يدفعه.

قال إسحاق : فأقبل علينا وقال : ما تقولون ؟

فقلنا : كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله.

فقال : والله لو لا أن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ قال اقبلوا القول من الناس ، ما كنت لأقبل منكم القول ، اللهم قد نصحت لهم القول ، اللهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي ، اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب عليٍّ وولايته !

4- نص مناظرة المأمون لعلي الرضا:

قال المأمون لعليّ بن موسى الرِّضا: بِمَ تَدَّعون هذَا الأمر؟ قال: بقرابة عليّ مِن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبقرابة فاطمة منه " ؟ فقال له المأمون: إنْ لم يكن ها هنا إلا القرابة، فقد خَلف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من أهل بَيته مَن كان أقربَ إليه من عليّ، أو

مَن في مِثل قُعْدُده، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيان، فإذا كان الأمر كذلك، فإن عليًا قد ابتزَهما حقهما وهما صحيحان، واستولى على ما لا يَجب له. فما أجابه علي بن موسى بشيء

5- نص مناظرة المأمون للمرتد الخراساني:

وقال المأمون للمُرتد الخراسانيّ الذي أسلم على يَدَيه وحمله معه إلى العِراق فارتدَ عن الإسلام: أَخبرني ما الذي أَوْحَشك مما كنتَ به آنساً من دِيننا ؟ فو اللّه لأن أستحييك بحق، أحبّ إليَّ من أن أقتلُك بحق، وقد صِرْتَ مُسلماً بعد أن كنت كافراً، ثم عُدت كافراً بعد أن صِرْت مُسلماً، وإن وجدتَ عندنا دواءً لدائك تداويتَ به، وإن أخطأك الشفاء، وتَباعد عنك، كنتَ قد أبليتَ العُذْر في نَفْسك، ولم تُقَصرِّ في الاجتهاد لها، فإن قتلناك قَتَلْناك في الشَّريعة، وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار واليَقين، ولم تُفَرِّط في الدُّخول من باب الحزْم؛ قال المرتد: أوْحشني منكم ما رأيتُ من كثرة الاختلاف في دِينكم؛ قال المأمون: لنا اختلافان: أحدُهما كاختلافِنا في الآذان، وتكبير الجنائز، وصلاة العِيدين، والتشهّد، والتَّسليم من الصلاة، ووُجوه القرآت، واختلاف وُجوه الفُتيا، وما أشبه ذلك، وهذا ليس باختلاف، وإنما هو تخيير وتَوْسعة وتخفيف من السنَّة، فمن أذَّن مَثنى وأقام مَثْنى لم يَأثم، ومَن ربع لم يأثم. والاختلاف الآخر كنَحْو اختلافنا في تأويل الآية من كتاب الله، وتأويل الحديث عن نبيّنا، مع اجتماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عَينْ الخبر، فإن كان إنما أوْحشك هذا، فينبغي أن يكون اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل متفقاً على تأويله كما يكون متفقاً على تَنزيله، ولا يكون بين اليهود والنَّصارى اختلافٌ في شيء من التأويلات، ولو شاء الله أن يُنزّل كُتبه مُفَسَرة، ويجعل كلامَ أنبيائه ورسله لا يُختلف في تأويله لفَعل، ولَكنَّا لم نجد شيئاً من أمور الدَين والدُنيا وقع إلينا على الكِفاية إلا معِ طُولِ البحث والتَحْصيل والنَّظر، ولو كان الأمر كذلك لسَقَطت البَلْوى والمِحن، وذهَب التفاضل والتبايُن، ولمَا عُرف الحازم من العاجز، ولا الجاهل مِن العالم، وليس على " هذا " بُنِيت الدنيا. قال المُرتد: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأن المَسيح عبدُ اللّه، وأنَّ محمداً صادق، وأنك أمير المؤمنين " حقّا ".

6- مناظرة المأمون لبعض الخوارج.

وعن يحيى بن أكثم قال: كان المأمون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء، فجاء رجل قد شمر ثيابه، ونعله في يده، فوقف على طرف البساط، وقال: السلام عليكم.

فرد المأمون، فقال: أتأذن لي في الدنو ؟ قال: ادن، وتكلم، قال: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة أم بالغلبة والقهر ؟ قال: لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى أمر الأمة من عقد لي ولأخي، فلما صار الأمر إلي، علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين على الرضى بي، فرأيت أني متى خليت الأمر، اضطرب حبل الاسلام، ومرج عهدهم، وتنازعوا، وبطل الحج والجهاد، وانقطعت السبل، فقمت حياطة للمسلمين، إلى أن يجمعوا على من يرضونه، فأسلم إليه.

فقال: السلام عليك ورحمة الله.

وذهب، فوجه المأمون من يكشف خبره، فرجع، فقال: مضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا في هيئته، فقالوا: لقيت الرجل ؟ قال: نعم، وأخبرهم بما جرى، فقالوا: ما نرى بما قال بأسا، وافترقوا.

فقال المأمون: كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة:

تمهيد: الخطاب الأدبي مفهومه ومميزاته

1- مفهوم الخطاب الأدبي:.....2

2- **مميزات الخطاب الأدبي:**.....7

الفصل الأول

الخطاب الحجاجي وفن المناظرات

أولا: مفهوم الحجاج:

1- تعريف الخطاب الحجاجي:

أ) الحجاج في القرآن الكريم:.....11

ب) الحجاج في اللغة:.....13

ج) الحجاج في الاصطلاح:.....14

ثانيا: أنواع الخطاب الحجاجي:

أ) الخطاب الحجاجي البلاغي:.....21

ب) الخطاب الحجاجي التداولي:.....23

ج) الخطاب الحجاجي الفلسفي:.....25

ثالثا: خصائص النص الحجاجي:.....26

رابعا: البناء الحجاجي في الخطاب:

1- أطراف الحجاج:.....28

2- الأطروحة أو الإشكالية:.....33

3- الحجج:.....34

خامسا:العلاقات الحجاجية:.....47

سادسا: الأساليب الحجاجية:.....48

سابعا: الروابط والعوامل الحجاجية:

1- الروابط الحجاجية:.....57

2- العوامل الحجاجية:.....60

ثامنا: فن المناظرات:

1- تعريف المناظرة:

أ) المناظرة في اللغة:.....62
ب) المناظرة في الاصطلاح:.....64
2- نشأة فن المناظرات:.....67
3- نماذج من المناظرات
أ) من القرآن الكريم:.....71
ب) من السنة النبوية:.....73
ج) من التاريخ الإسلامي:.....75

4- بنية المناظرة:
أ) مراحلها:.....79
ب) موضوعاتها:.....81
ج) البناء الحجاجي في المناظرة:.....83

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية على نص المناظرات بلاط المأمون – أنموذجا –

أولا: عصر المأمون:.....88
ثانيا:المناظرات في بلاط المأمون:
1- مناظرة الكناني للمريسي في القول بخلق القرآن:.....99
2- مناظرة المأمون لفقهاء عصره
في فضل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):.....101
3- مناظرة المأمون لعلي الرضا
في فضل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):.....105
4- مناظرة المأمون للمرتد الخراساني:.....105
5- مناظرة المأمون لبعض الخوارج:.....106
ثالثا: بنية المناظرات:
1- الأطراف المنتجة لها:.....107
2-التوطئة:.....111

3- مراحل المناظرة:
أ) الأطروحة أو الإشكالية:.....115
ب) موضوعات المناظرات:

* المناظرة في العبارة: 119
* المناظرة في النصوص المنقولة:.....126
* المناظرة في التعريفات:.....132
* المناظرة في التقسيمات:.....135
4- الحجج:.....136
أ) الحجج شبه المنطقية:.....143
ب) الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية.:.....149
ج) الحجج المؤسسة على بنية الواقع:.....151
د) الحجج التي تستدعي القيم:.....152
هـ) الحجج التي تستدعي المشترك:.....155
5- الأساليب الحجاجية في المناظرة:
أ) الشرح عن طريق القياس المنطقي:.....157
ب) الحجاج المغالط:.....159
* سبل التغليط بالأقوال اللغوية:.....162
* سبل التغليط بالأحوال (خارج لغوية):.....163

6- الروابط والعوامل الحجاجية:
أ) الروابط الحجاجية: 165
ب) العوامل الحجاجية:.....173
7- مرحلة النتائج(المقاطع):
أ) التسليم في الضروريات: 181
ب) التسليم في الظنيات:.....185
ج) الحيدة عن الجواب:.....187
د) التعنت والمكابرة:.....189
خاتمة:.....191
ثبت المصادر والمراجع:.....195
ملحق:.....201
فهرس الموضوعات:.....306

ملخص

ملخص:

جاءت هذه الدراسة الموسومة (بنية الخطاب الحجاجي في فن المناظرة – بلاط المأمون أنموذجا –), تهدف إلى معرفة البناء الداخلي لنصوص أشهر المناظرات التي عرفت في قصر الخلافة العباسية زمن المأمون, باعتباره عصرا لنهضة علمية عربية لم يعرف لها مثيلا من قبل.

عالجت هذه الدراسة ظاهرة الحجاج على مستويات الخطاب عموما, ثم على مستوى نص المناظرة بوجه أخص, لتصل في الأخير إلى تحديد بنيته في هذا فن. ويمكننا تلخيص أهم مباحثها في النقاط التالية:

قدم بين يدي البحث بمقدمة تفصيلية تُعرف بأهم المباحث والمطالب التي استوعبتها الدراسة, ثم افتتح البحث بتمهيد ذُكرت فيه مفاهيم الخطاب وأهم مميزاته, ثم انقسم باعتبار الموضوع إلى فصلين؛ أحدهما نظري خصص لذكر أهم المفاهيم والمبادئ, التي تصلح أن تَكُون هيكلا تُبنى عليه الدراسة التطبيقية.

كانت البداية في الفصل النظري مع تحديد مفهوم الحجاج وتبيين أنواعه وخصائصه, ثم تلاها ذكر بنيته التي تتأسس على الحجج بكل أنواعها, وبعدها تم تحديد الأساليب المستعملة في العملية الحجاجية, ثم الروابط والعوامل الحجاجية التي تربط الحجج ببعضها, وتقرن الحجج بنتائجها, لنصل في نهاية هذا الفصل إلى التعرف على فن المناظرة من خلال مفاهيمها ونشأتها وتحديد بنيتها, وأهم المناظرات المذكورة في التراث الإسلامي.

وأما الفصل التطبيقي فكانت بدايته بالتعرف على شخصية الخليفة العباسي المأمون, باعتبارها المحور الذي تدور حوله معظم نصوص المناظرات المدروسة في هذا الجانب, ثم تلاها ذكر تلك المناظرات من جهة التعريف بها والتحقيق في صحة نسبتها إلى قائليها, لنصل إلى تحديد بنية تلك المناظرات من الناحية التطبيقية, والخروج في الأخير بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي حققها البحث.

وجاءت الدراسة مذيلة بفهارس متنوعة: فهرس للأعلام, وثان للفرق والطوائف, وثالث للموضوعات, وثبت للمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

Argumentative speech structure within the artistic debate (The case study of the Maamoum's court

Abstract

This study aims to know the internal construction of the texts of the well known debates in the palace of the time of the Abbasid Caliphate El Maamoun. This period is a standing mark of the Arab Renaissance of scientific institution on the principles of science and knowledge

This study addresses the phenomenon of argumentation at the levels of discourse in general, then at the level of the text of correspondence in particular. As a final step to determine the structure in the art of debate, the whole study can be summarized taking into consideration all its chapters in the following few lines:

I started with a detailed introduction in which I defined the most important chapters included in the study, then I tackled a preface where I shed light on the concepts of discourse and its most important features. Then I divided the study into two chapters; The first one is theoretical where I mentioned the most important theoretical concepts, which serve as a frame of thought to the whole study.

The study starts with a theoretical chapter in which I have defined the concept of argumentation and explained all its characteristics. Later, I

mentioned its stylistic structures, which are basic on all kinds of argumentation. Then I determined methods used in the argumentative process and the links and factors of argumentation that links arguments to each other. Finally, at the end of this chapter I try to identify the art of debate through its concepts and origins and determine its structure through the mentioning of the most important debates in the Islamic heritage

At the beginning of the application chapter I studied the character of the Abbasid Caliph al-Ma'mun, as a central personality around which most of the texts of the debates examined in this chapter are studied. Then I mentioned the debates through defining and investigating the truth of their origins, so that we can determine the structure of the debates, in practice, and later conclude by stating the most important results achieved through this research.

The study was appended to a variety of indexes: Index to personalities, and a second for groups and communities, and a third of the topics, and sources and references adopted in the search.